مع العدد هدية
الفردوس (مجلة الطفل المسلم)

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

منبر الإسلام

السنة (٧١) العدد (٦) جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ
مايو ٢٠١٢م - الثمن ١٥٠ قرشاً

مقارنات ظالمة

لحرابة بين حكم الله وتطبيق البشر

شروط الإمامة فى الإسلام

غابت الرؤية .. فهل من فجر جديد؟

- فتنة الرئاسة والدستور .. وضرورة وحدة الصف
- السنن الكونية تنقاد للمسلم وغير المسلم
- الصكوك الإسلامية وسبل تطبيقها فى مصر

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : محمد عبد الفضيل القوصى

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : محمد نجيب عوضين المغربى

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير التنفيذى

إسماعيل الفخرانى

مجلس التحرير

الدكتور : أحمد محمد الطيب
الدكتور : أحمد كمال أبو المجد
الشيخ : محمد عبدالمجيد زيدان

بيوت الله فى الأرض المساجد تقف بمآذنها الشامخة لتعانق عنان السماء وتبقى شاهداً على عظمة الحضارة الإسلامية التى بلغت حد الإبهار، وعلى تاريخها العظيم الذى يسجل بأحرف من نور فى كل العصور الإنسانية.

الفردوس «مجلة الطفل المسلم»

عندما يأتى الربيع تتفتح الزهور وتتألق بألوانها الرائعة ورائحتها الفواحة، وتبدو من فرط جمالها ضاحكة باسمة، ليبتسم لابتسامتها الكون كله

الاشتراكات

يخاطب بشأنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وترسل على مكتب بريد جاردن سيتى - القاهرة

عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.
عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية
عن سنة كاملة : ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية عن سنة كاملة : ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا.
عن سنة كاملة : ٦٥ خمسة وستون دولاراً أمريكياً لأمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

العنوان البريدى : ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة.
رقم الهاتف : ٢٧٩٥٨٦٦٤ - ٢٧٩٥٨٦٥٩ - ٢٧٩٤١٦٢٧ (٢٠٢) - فاكس : ٢٧٩٥٨٦٦٣ - ٢٧٩٥٤٠٠٥ (٢٠٢)

قيمة الاشتراك السنوى للسلسلة الواحدة (١٢ عدداً)

الاشتراكات لسلسلتى قضايا ودراسات إسلامية

أولا: داخل مصر (٣٠ جنيها مصريا).

ثانيا: خارج مصر كالآتى: دول عربية وإفريقية (٩ دولارات أمريكية) دول أوروبية (١١ دولاراً أمريكيا).
دول أمريكا وكندا وآسيا (١٤ دولاراً أمريكيا) أمريكا الجنوبية وإستراليا: (٢٢ دولاراً أمريكيا).

اقرأ لهؤلاء

حديث الشهر «مقارنات ظالمة»	٢
د. محمد عبد الفضيل القوصى «وزير الأوقاف»	
أنت تسأل والأمين العام يجيب	٥
د. محمد نجيب عوضين المغربى	
السُّنن الكونية تنقاد للمسلم وغير المسلم	١٠
فضيلة الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان	
مصر بين الفتنة وواجب الدعاة	١٥
إسماعيل الفخرانى	
ويسألونك عن الإمام	١٦
د. محمد عمارة	
غابت الرؤية فهل من فجر جديد ؟!	١٩
مصطفى إبراهيم خيان	
فتنة الرئاسة والدستور وضرورة وحدة الصف	٢٦
أحمد فاروق الهلباوى	
حد الحرابة - حكم ربانى لأمان المجتمع	٣٠
محمد كامل شاهين	
خطورة الشائعات ومنهج الإسلام فى مواجهتها	٣٩
د. محمد عثمان الخشت	
الصكوك الإسلامية وسُبل تطبيقها فى مصر	٤٤
د. سمير عبد المجيد رضوان	
آيات من القرآن فى خلق الأرحام	٥٠
د. عبد المعبود عمارة	
دور الوقف فى نهضة الأمة	٨٢
د. أحمد عمر هاشم	

افتتاحية العدد

عزيزى القارئ

هذه هى مصرنا الغالية تقف فى مفترق طرق وعرة تدعونا جميعًا للتوحد تحت رايتها، فى وقت تتربص بها قوى الشر وتيارات البغى والشرك.

تدعونا أن نطرح خلافاتنا ومصالحنا الضيقة جانبًا لنقف على قلب رجل واحد، ننافح عنها ونذود عن حياضها ونتصدى لكل محاولات الوقيعة بين أبنائها، ونعيد سويًا بناءها ومجدها.

فما أن استبشر الشعب خيرًا بزوال الغمة وانقشاع الكرب والبلاء، وبدا الطريق ممهدًا لإعادة صياغة دولة عصرية تقوم على العلم والإيمان .. حتى رأينا القوم أحزابًا وشيعًا، كل يعجب برأيه ويراه صوابًا لا يحتمل الخطأ، ورأى غيره خطأ لا يحتمل الصواب وصار الكل - إلا من رحم ربى - يقعد للآخر كل مقعد، يعد عليه أنفاسه، ويحسب خطواته.

يتمثلون الفروسية الزائفة، ويتراشقون بسهام العمالة المسمومة، ويضرب بعضهم أعناق بعض ليعيدوا سيرة الجاهلية الأولى .. وفى خلفية المشهد تمتد أيد آثمة فى الظلام تسكب الزيت على النار لتحرق الوطن.

نحن لا نخشى على هذا الوطن من أعدائه، فكم دولة بغت عليه وجارت، ثم زالت، وإنما نخشى عليه من أبنائه الذين يتناحرون ويتراشقون ويكيل بعضهم لبعض التهم بالخيانة والعمالة، هؤلاء أشد خطرًا وبأسًا عليه من أعدائه، وهؤلاء نذكرهم بقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١)

التحرير

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Addresses : www.islamic-council.org
www.islamic-council.com
E-mail Address: Islamic_council_eg@yahoo.com
Postal Address : 9, El-Nabatât St., Garden City, Cairo, A.R.E.
Tel. : (+202) 27947776 / 27958664 Fax : (+202) 27954005

الصفحة الرسمية للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية
http://www.facebook.com/islamic.council.eg
http://www.facebook.com/supreme.islamic.council.eg
الصفحة الرسمية للأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
http:// www.facebook.com/Prof.Dr.MuhammadNaguib.Awadain

... أنباء وأخبار	٩٩
... استراحة المنبر	١٠٦
... يسألونك فى الدين والحياة	١٠٩
... نافذة على القراء	١١٥

حديث الشهر

مقارنات ظالمة

د. محمد عبدالفضيل القوصى - وزير الأوقاف

كثيراً ما تدفع الغيرة على الإسلام بعض المتحمسين له - ممن لاينقصهم حسن المقصد، ولا تعوزهم سلامة النيات إلى المسارعة اللاهثة بعقد المقارنات والتماس أوجه التشابه بين بعض جوانب الإسلام ونظامه الاجتماعى من جهة.

وبين كل مستحدث طارئ من أفكار العصر الرائجة التى يغرم بها الناس زمناً ما، من ثم ينفضون عنها غير مأسوف عليها، من جهة أخرى.

بعض المتعجلين يعقدون المقارنات بين نظام الإسلام وكل مستحدث طارئ ظنّاً أن فى صنيعهم ما يسهم فى صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان

لقد عشنا زمنًا راجت فيه أفكار الاشتراكية، وهلل لها أنصارها وحواريوها، فرأينا من هؤلاء المتعجلين من يكد ذهنه ويعتصر عقله ليربط بين بعض جوانب الاشتراكية وبين الإسلام، اجتزاء للنصوص تارة، واقتطاعا لها من سياقاتها تارة أخرى، بل وجدنا منهم من طوع سيرة الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى، ووضع على لسانه وفكره ما يوحى بإنكار الملكية الفردية وغيرها من المقولات ذات اللون المميز!

ثم أتى بعد ذلك حين من الدهر راجت فيه الأفكار الليبرالية، وحرية رأس المال، فإذا بمتعجلين آخرين يصنعون نفس الصنيع، ثم دار الزمن دورته، وبسطت العولمة رواقها على العالم طوعا أو كرها فإذا بفئة من المتعجلين المحدثين يقارنون بينها وبين عالمية الإسلام، حتى أصبحنا نتوقع ردود أفعال مشابهة مع كل طارئ مستحدث فى عالم متسارع الخطى، حافل بكل جديد!!

ولا يشك أمرؤ فى أن هؤلاء المتعجلين صنعوا ما صنعوا اعتقاداً منهم أن صنيعهم هذا إسهام على نحو ما فى إبراز صلاحية الإسلام الدائمة لكل زمان ومكان، وفى

إظهار مسايرته للمعارف والمنجزات البشرية فى كل آن.

لكنهم بهذا الصنيع ينزلقون إلى مزالق عدة:

ذلك أنهم بتلك المقارنات المتسرعة يفقدون الجوانب الإسلامية التى يقومون بمقارنتها: سمة المبادأة ويجعلونها أقرب إلى أن تكون رد الفعل ورجع الصدى لما سبق أن جهر به قوم آخرون، انطلقوا من رؤى ذهنية مغايرة، ومن مواقع مذهبية مختلفة، بل وكأن هؤلاء المتعجلين قد ترقبوا ما استحسنه الآخرون لكى يستحسنوه، وما استقبحه الآخرون لكى يستقبحوه، وفى هذا الاتجاه غفلة بائسة عن حقيقة كبرى من حقائق الحضارة الإسلامية، وهى أنها كانت دوما حضارة بادئة فاعلة، تطرح مقولاتها المتفردة، بعد أن تهضم ما جاءت به قرائح الأمم الأخرى، وتتمثل رحيقها، دون استعلاء، أو استعداء، أو استجداء!!

ومن جهة ثانية فإن تلك المقارنات تنطوى على مخاطرة فكرية جلية، فكثيرا ما قورنت بعض الجوانب الإسلامية بنظريات وتجارب بشرية على مستويات عدة، ثم إذا بتلك النظريات والتجارب وقد ظهر عوارها، وانكشف نقصها وخللها، وهجرها أصحابها إلى غير رجعة!!

المنظومة الإسلامية ذات شخصية متفردة وليست مجرد حاصل جمع لمجموعة من الوصايا التى لا رابط بينها ولا ضابط

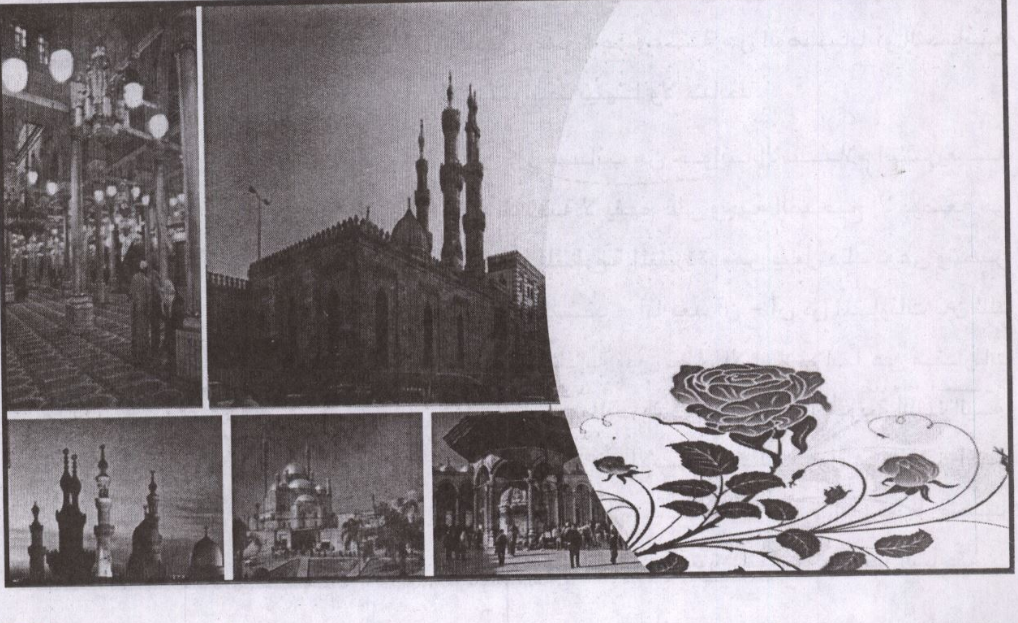

ومن جهة ثالثة فإن مقارنة جانب من جوانب الإسلام كالعالمية مثلا بما تتوهم مشابهته له من الأفكار الوافدة كالعولمة مثلا ينطوى على عزل لتلك العالمية الإسلامية عن سياقها الحى، وعلى بتر لها عن منظومتها العضوية وعلى تجريد عن سماتها المتفردة.

إن أية شعيرة من شعائر الإسلام مهما بدت ضئيلة الحجم لا تفهم على حقيقتها إلا حين توضع فى سياقها الميتافيزيقى والقيمى والتشريعى، فإماطة الأذى عن الطريق مثلا وهى أدنى شعب الإيمان تجسد - على صغرها - مسئولية المسلم نحو وطنه، كما تمثل

عقد المقارنات بين بعض جوانب الإسلام وبين التجارب والنظريات البشرية ينطوى على مخاطر فكرية جلية

أيضا أداء المسلم لرسالته الحضارية فى الكون، وهى فوق هذا وذاك - لو خلصت فيها النية وكانت تنال لأمر الله تعالى - ارتفاع من عالم الشهادة إلى عالم الغيب لتنال بها الدرجات، ويؤجر عليها صاحبها بالثواب الجزيل.

الحضارة الإسلامية كانت دومًا حضارة بادئة تطرح مقولاتها المتفردة بعد أن تهضم ما جاءت به قرائح الأمم الأخرى

وهكذا يرفع هذا التصرف البسيط المسلم طبقا عن طبق، ومنزلة فوق منزلة، ومرد ذلك إلى أن المنظومة الإسلامية ذات شخصية متفردة، وليست مجرد حاصل جمع لمجموعة من الوصايا أو النصائح التى لا رابط بينها ولا ضابط.

إن كل جانب من جوانب الإسلام التشريعية أو الأخلاقية لا يفهم على وجهه الصحيح إلا بوضعه فى قلب تلك المنظومة المتفردة، ومن يفعل ذلك بوعى وتبصر، فسوف يكتشف - آنا بعد آن - أن كل المقارنات بين تلك النظم البشرية وبين نظام الإسلام: إنما هى مقارنات ظالمة، فليست الحرية فى الإسلام كالحرية الليبرالية، ولا المساواة فى الإسلام كالمساواة فى الاشتراكية، ولا عالمية الإسلام كالدولة المعاصرة التى تجعل مصير الإنسانية فريسة لقوى السوق المتوحشة وآلياتها الساحقة.

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾

أنت تسأل والأمين العام يجيب

د/ محمد نجيب عوضين المغربى

الحرابة بين حكم الله وتطبيق البشر

■ **السؤال: بمناسبة ما يدور من جدل حول مشروع قانون يدعو لتطبيق حد الحرابة بقصد القضاء على جريمة البلطجة التى نشرت الفوضى فى الأمة وروعت الآمنين وهددت الأعراض والأموال والأنفس فما مدى ملاءمة هذا المشروع الداعى لذلك ومناسبته لأيامنا؟**

أحمد الشربينى - طالب بكلية الآداب

■ **الجواب :**

اختص الله نفسه بوضع العقوبة لنوع من الجرائم والتى بسببها يهتز أمن المجتمع بأسره وينزع الاستقرار منه لذا لم تترك العقوبة للسلطة التقديرية للقاضى، وإنما وضع الحد من عند الله، لأنه خالق الإنسان العالم بتكوينه والنفس الجامحة للبعض بتجاوز الحدود وإيذاء الناس والإضرار بهم.

ومن بين هذه العقوبات العقوبة التى قررها الله سبحانه للبغاة أو المحاربين أو المفسدين فى الأرض .. وهم فئة خارجة تستهدف إزهاق الأرواح أو الاعتداء على الأعراض أو السرقة مع الإكراه أو المقترنة بالقتل أو الترويع والتهديد ونشر الخوف، وقد وضح قول الله تعالى **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ**

﴿خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ • إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة الآية ٣٤).

فقد وضع الله بنفسه جزاء هؤلاء العصاة الخارجين عن الانصياع لسيادة الدولة وطاعة الحاكم واحترام المحكومين .. وذلك تحقيقا للزجر والردع .. وليس لقائل أن يقول كما يزعم بعض الخائفين من عودة سيادة الشرع ومرجعيته أن تطبيق مثل هذه العقوبات يتعارض مع حقوق الإنسان ويزيد من أعداد العجزة مقطوعى الأيدى والأرجل. كما أن قبول التوبة ممن رجع وأناب يؤدى إلى إفلات البعض من العقاب بحجة التوبة.

ونسأل هؤلاء هل أنتم راضون عن استمرار هؤلاء وأعمال البلطجة أم يثوب كل عاقل للقضاء على هذه الظاهرة للاطمئنان على الولد والزوجة والمال. ويا حبذا لو كان العقاب محددا من عند الله فنقول لهم «أأنتم أعلم أم الله»؟ وأين كان هؤلاء من حقوق الإنسان؟! أم أن المسألة فيها انتقائية فأين كنتم وقد انتهكت حقوق الإنسان أمامكم لإخواننا وأشقائنا فى العراق والبوسنة والشيشان وغيرها.

كما أن العقوبة للزجر، لأنها لو طبقت مرة ستغلق الباب فورا للردع الشديد فيها وفتح باب التوبة بضوابطه دليل على أن الإسلام لا يقصد التشفى بل العلاج، كما أن العقوبة لا تطبق إلا بعد التحقيق وثبوت الجريمة وأدلة الإثبات، ونقول لهؤلاء إن الرافضين لتطبيق الجزاء الرادع على هؤلاء يعلمون بضعف الجزاء القانونى الوضعى - ورفضه للجزاء السماوى، إنما هو رفض لكل ما له مرجعية من عند الله لمجرد الرفض لكل ما له مصدر دينى خوفا من النجاح. فتستكمل باقى الجزاءات السماوية الحافظة لأمن المجتمع وهذا يزعجهم فهل هم راضون عن هذه الفوضى وهل يرفض أى شريف عاقل حلا لاستقرار المجتمع.

«درجة التكليف»

■ **السؤال : ما «الدرجة» التى وردت فى قوله تعالى ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (سورة البقرة: الآية ٢٢٨)؟

على عبد الرحمن - منيا القمح شرقية

■ **الجواب :**

أقول للسائل الكريم هذه الآية تعالج وضعًا فى العلاقة الزوجية وهو وضع الطلاق والانفصال بين الزوج والزوجة فقد سبق هذا الجزء من الآية قوله تعالى: **﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾** (سورة البقرة: الآية ٢٢٨) فوضع الطلاق يشوبه التوتر والانفعال من غضب ورغبة فى التشفى والانتقام والتعريض بما دار خلال الحياة الزوجية ولما كان الإسلام منهج حياة ويحرص على المعاملة الحسنة بين الناس وبخاصة لو كانت قد بنيت على ميثاق غليظ وعهد كريم كعقد الزواج، والمرأة خلال وبعد طلاقها تكون أشد توترًا وانفعالاً سواء كان الأمر بيدها وبسببها أو من جانب الزوج.

لهذا كانت واجبات ومسئوليات الزوج خلال هذه الفترة العصيبة أكثر من المرأة فأعطت الرجل بعد هدوئه حق مراجعة زوجته فى الطلاق الرجعى خلال العدة تصديقًا لقوله تعالى: **﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾**.

ثم جاء مفهوم «الدرجة» التى يسأل السائل عن دلالتها فى قوله تعالى﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أى زيادة فى الواجبات الملقاة على عاتقه من حسن المعاملة - فالقرآن لم يكتف بالمماثلة فى المعاملة بين الزوجين بل طلب من الزوج درجة أعلى مما هو واجب عليه، ودليل على ذلك أنه يطلب من الزوج أن يكون فى الفرقة محسناً كما كان فى العشرة محسناً لقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (سورة البقرة: الآية ٢٢٩).

كما يطلب منه أن يكرم المرأة بالتسامح كما فى تركه لنصف المهر إن طلق المرأة قبل الدخول بها وهذا من جانب الرجل وليس من جانب المرأة.

كما يقدم لها متعة إن طلقت بسببه كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة البقرة: الآية ٢٣٦).

كما نصحه المولى عز وجل عامة بقوله: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة البقرة: الآية ٢٣٧).

فالدرجة ليست درجة تمييز وإنما تكليف بالمزيد من الإحسان على الرجل لصالح المرأة إحساناً وتهذيباً بما له من قدرة على التحمل والعطاء.

إعادة النظر فى بعض قوانين الأحوال الشخصية

■ السؤال: بعد قيام ثورة التغيير أما حانت الفرصة لإعادة النظر فى بعض موضوعات قوانين الأحوال الشخصية والتى صدرت تحت ضغط سياسى من ذوى السلطة بالمخالفة للراجح من أقوال الفقهاء وبما لا يتناسب مع إنهاء حالة الاحتقان بين الزوجة والعمل على لم شمل الأسرة واستقرارها؟

محمد سيد سلامة - قرية كوم بنى مراس مركز المنصورة

■ الجواب:

من المعلوم أن قضايا الأسرة وما يتعلق بها من مسائل التركات والوصايا والولاية على النفس والمال من القضايا المهمة التى تمس استقرار الأسرة وبالتالى المجتمع وتعود أهمية هذه القوانين إلى أن مصدريتها تعود إلى أحكام الشريعة الإسلامية والذى يمثل جزء منها ثوابت كعدد مرات الطلاق أو الزوجات أو العدة. وأحكام الميراث. ومنها فروع تقبل الاجتهاد كمسائل الرؤية والحضانة ونحوهما وقد اعترت هذه القوانين موجات عديدة ارتبطت بالظروف السياسية، وتدخل الحكام فى سن بعض هذه القوانين فمرة تتغلب كفة الرجال المطلقة على النساء وفترة تتغلب فيها المرأة على الرجل رضاءً وقضاءً.

وأدى هذا الخلل فى التوازن إلى وجود نوع من الاحتقان فى الحياة المجتمعية واستقرار الأسرة سواء بين الزوجين أو بعد الطلاق - والضحية فى النهاية الأولاد .. فمروراً بقوانين الأحوال الشخصية ابتداء من القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٠ ومرورا بالقانون ٤٤ لسنة ١٩٧٧ المعدلين بالقانون ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ وما تبعهما من تعديلات فى بعض المواد كتغير سن الحضانة أكثر من مرة وصدور القانون لسنة ٢٠٠٠ والمسمى بقانون تبسيط إجراءات مسائل الأحوال الشخصية والذى نظم مسألة الخلع .. وقد شاب هذه القوانين وتعديلاتها مع أنها كانت تعد فى عتبة رجال الفقه المتخصصين المحايدين - وجود ضغط

قوى من منظمات المجتمع المدنى وسيدات الحكم دون اعتداد بمصلحة المجتمع أو الاعتماد على الآراء الراجحة فى الفقه الإسلامى، ومن أسن هذه القوانين: الشقة للزوجة الحاضنة جبرا ونسب إلى من ضغطت لإصداره - ووقوع الخلع من القاضى وتجاهل صفة الرضا به فيه وأيضا نسب إلى السيدة الحاكمة - والتعديل الجائر الذى ضيع السلطة الأبدية فى قضية الحضانة والذى جعل الأبناء ذكورا وإناثا تمتد حضانتهم حتى سن الرشد ٢١ سنة للذكر والزواج للفتاة دون إرادة ولا توجه من الأب كل هذه المخالفات تستلزم الاستعمال إلى إعادة النظر فى تصحيح هذه الأمور والعمل بالراجح ومصلحة الأسرة بعيدًا عن السلطة والهوى تحت رعاية فقهية وقانونية صحيحة دون توسع فى الأخذ بالرجوع استنادا إلى سلطة ولى الأمر فى تقييد المباح أو تغيير الأحكام بتغير الزمان حتى يعود الأمر إلى حاكم عادل محايد يحقق الاستقرار للأسرة والمجتمع.

أختى فى الرضاعة

■ السؤال: تقدمت للزواج من ابنة جارتنا فأخبرنى الأهل أن أمها قد أرضعتنى أربع رضعات ثم أرضعتنى رضعة خامسة بعد أن فطمتنى أمى عن الرضاع بشهرين .. فهل يحل لى الزواج من هذه الفتاة أم أنها أصبحت أختى من الرضاع؟

م . ع . م - فارسكور بدمياط

■ الجواب :

اعلم يا أخى أن الرضاع يسبب الحرمة المؤبدة تصديًا لقوله تعالى: **﴿وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم﴾** - وقوله **﴿وأخواتكم من الرضاعة﴾**، وقول النبى ﷺ: **«يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»**، وقوله ﷺ: **«يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة»**.

ذلك لأن الرضاع يمثل علاقة عاطفية وبدنية بين الرضيع ومرضعته فهى تصبح كأمه، لأنها تطعمه الطعام الرئيسى الذى يكون جسمه فينبت اللحم وينشز العظم، لذا فلكى يكون الرضاع محرمًا لا بد أن يشكل عددًا معينًا من الرضعات الكاملات المشبعات المتفرقات والذى ينصرف الرضيع بعد كل رضعة عن الرضاع لحدوث الشبع لديه بقوله ﷺ واصفًا الرضاع المحرم بقوله: **«ما أنبت اللحم وأنشز العظم»** لذا يرى جمهور الفقهاء - وهو الراجح والمفتى به - أن الرضعات المحرمات عددهن خمس، وذلك لحديث عائشة رضى الله عنها: «كان نزل من القرآن عشر رضعات يحرمن فنسخن بخمس رضعات ومات النبى ﷺ وهن فيما يتلى من القرآن».

ولكى تتحقق الحكمة من الرضاع لابد أن يتم فى مرحلة تأثر الرضيع بغذائه الرئيسى وهو لبن الأم والذى يعتمد عليه فى تربيته لذا وجب أن يكون الرضاع فى الحولين أى فى عامى الرضاعة والتى يغلب فيهما استمرار الرضاع فى الغالب حتى يفطم الصغير ويعتمد على الغذاء غير اللبن لذا جاء قوله تعالى: **﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾** (سورة البقرة: الآية ٢٣٣).

وقول النبى ﷺ: **«لارضاع إلا ما كان فى الحولين»** وعليه نقول للسائل أن الرضاع بعد الفطام لا يؤثر فى الحرمة لقوله ﷺ: **«لارضاع بعد فطام»** حتى ولو فطم قبل العامين وتحول للغذاء فالراجح

أنه لا يعتد بهذا الرضاع فى التحريم .. وعليه فإن كنت قد عزمت على هذه الفتاة للزواج منها فلا حرج حيث لا حرمة بأربع رضعات ولا يعتد بالخامسة التى تمت بعد الفطام.

تنقية القوانين

■ السؤال: انتشرت فى الآونة الأخيرة وبعد ثورة التغيير دعوة لضرورة تنقية القوانين مما أصابها من عوار وعيوب لكى تتلاءم مع هوية الأمة وعاداتها وتقاليدها وإلى التأصيل الشرعى لهذه القوانين فما مدى سلامة هذه الدعوة؟

مجدى عثمان - جرجا بسوهاج

■ الجواب :

المولى عز وجل خلق الإنسان وجعله خليفة له فى الأرض ليعمرها ويديرها وأعطاه المنهج الذى يسير عليه، لأنه ما من أمر إلا وله خطة تديره وتنظم حركته. وظل هذا المنهج يتدرج منذ بعثة الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى أن اكتمل بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه لتشمل أمر الدين والدنيا فالدين المعاملة. وبالتالى ينبغى عندما توضع القوانين وهى القواعد المنظمة لسلوك الأفراد والتى يخضعون لها ويجبرون على اتباعها عند المخالفة والاقتضاء. إما أن تقتبس مباشرة من الثوابت والأمور المقطوع بها أو يضعها المشرع الوضعى مع مراعاة عدم مخالفتها لأوامر الشرع ونواهيه وأن تسد باب الذرائع، وبالتالى فنحن لا نطالب بإقصاء البشر عن تنظيم القوانين ولا بإهمال العمل بكل القوانين فهذا عمل يحتاج إلى جهد وعمل مؤسسى كبير لإفراغ الحكم الشرعى فى صورة مواد وتقنيات - وإن كانت هناك مشروعات كاملة لذلك قد أعدت فى العهود السياسية السابقة لكن كان مصيرها الإهمال والحفظ فى الأدراج ولنضرب للسائل الكريم نماذج لصور صارخة لمخالفة القانون الوضعى لأعراف وتقاليد وضوابط الأديان والعوار الشديد الذى يلحقها، ففى القانون المدنى يعرف العقد بأنه توافق إرادتين لإحداث أثر يقره القانون، أما فى الفقه الإسلامى فالعقد هو الربط بين اثنين أو أكثر لإحداث أثر يقره الشرع. فبالرغم من اقتراب المعنى فى كلا التعريفين إلا أنه يحض الكثيرين على أنه ليس كل ما يقره القانون يوافق الشرع وليس كل ما يقره الشرع يعمل به القانون. ومن الأمثلة على ذلك الاتفاق فى العقود على شرط الفائدة الربوية فى المعاملات. وفى باب الجنايات هل يتصور أن القانون الجنائى الوضعى يفرق بين الذكر والأنثى فى مفهوم الزنا فبالنسبة للرجل لا يعد تصرفه كذلك إلا إذا وقع الفعل فى فراش الزوجية فقط وعام بالنسبة للمرأة - كما أن القانون الجنائى بمفهوم نصوصه يسمح للمرأة التى بلغت سن الرشد الجنائى وهو ١٨ عام أن تتصرف فى حريتها على جسدها طالما لم تبلغ بتصرفها حد الاتجار أو الحصول على مقابل مادى لأنها بالغة ولا شأن لأحد بها - ولم تتحرك جمعيات المجتمع المدنى ولا المجالس القومية الخاصة لكرامة المرأة بالمطالبة بضرورة الإسراع بتوضيح هذه النصوص ومفهومها وكأن عرض المرأة لا يهمهن، ولا شك فى مدى الحاجة الماسة لتنقية القوانين الوضعية.

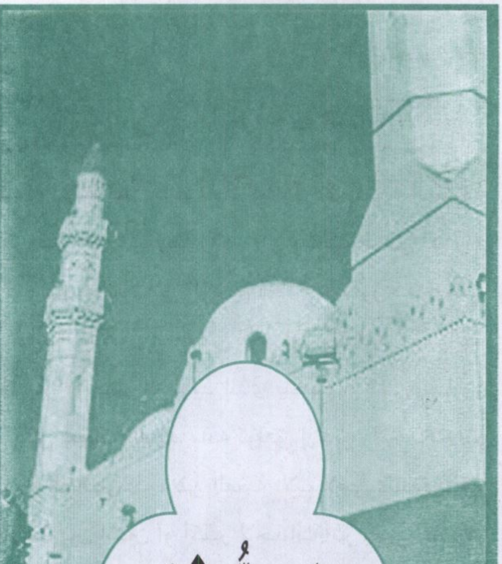

السُّنن الكونية تنقاد للمسلم وغير المسلم

فضيلة الشيخ
محمد عبد المجيد زيدان

يقول سبحانه فى محكم كتابه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٣٧) قد خلت من قبلكم سنن.. وهى هى التى تحكم الحياة. وهى هى التى قررتها المشيئة الإلهية العليا فما تم منها فى غير زماننا فسوف يتم فى زماننا وما انطبق منها على مثل حالنا فهو كذلك سينطبق على حالنا ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾، فالأرض كلها واحدة، وهى مسرح لكل البشرية المتحدة المنشأ والمصير، سيروا فيها ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، وهى عاقبة تشهد بها آثارهم فى هذه الأرض وسيرهم التى يتناقلها خلفهم هناك وما جرى للمكذبين بالأمس سيجرى مثله للمكذبين اليوم؛ لأن سنة الله لا تتخلف فى أمثالهم من المكذبين الذين كانوا يواجهون الرسول ﷺ ومن معه من المجاهدين.

إن الأخذ بالأسباب سنة إلهية من سنن الله فى كونه والسنن الإلهية لا تتخلف عن المسلم وغير المسلم على حد سواء وقد جعل الله لكل شىء سببًا فالمجاهد عليه أن يعد العدة وأن يبذل كل ما فى وسعه حتى يكتب الله له النصر. والمسلمون الأوائل عندما أدركوا هذا المعنى كتب الله لهم النصر والظفر على أعدائهم ولما تخلفوا عن ذلك لم يجنوا إلا الهزيمة والخسران، لأن القرآن أرشدنا إلى الأخذ بأسباب النصر فى قوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (سورة الأنفال الآية: ٦٠) فإعداد القوة سبب فى إرهاب العدو حتى لا يطمع فى المسلمين، لذا فعندما غفل المسلمون عن الأخذ بالأسباب فى غزوة أحد وخالف الرماة الأمر فى عدم ترك أماكنهم كانت الهزيمة ولم ينفع المسلمين حينئذ أنهم يحاربون مع رسول الله ﷺ فقد أصيبوا فى أرواحهم وأبدانهم بأذى كثير قتل فيهم سبعون صحابيًا جليلاً وكسرت رباعية الرسول ﷺ وشج وجهه وأصيب

بالجراح الكثيرون، لأن السنن الإلهية تنقاد للمسلم والكافر ولهذا عندما قال المسلمون: كيف نهزم ونحن نحارب مع رسول الله ﷺ؟ قال الله لهم: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أى سبب الهزيمة يرجع إليهم هم. والقرآن الكريم هنا يرد المسلمين إلى سنن الله فى الأرض فهم ليسوا بدعا فيها وهذه الحياة متصلة الأواصر، والنواميس التى تحكمها واحدة لا تتخلف والأمور لا تمضى جزافًا إنما تتبع تلك النواميس الثابتة فإذا هم درسوها وأدركوا مغازيها تبينت لهم الأهداف وتكشفت لهم المصائر واطمأنوا إلى ثبات النظام الذى تتبعه الأحداث واستشرفوا ما يخبئه لهم المستقبل على ضوء ما كان فى الماضى ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين لينالوا النصر والتمكين بدون أسباب النصر وقوانينه، وهكذا اقتدى المسلمون فى العصر الحديث بسابقيهم فكتب الله لمصرنا العزيزة النصر على عدوها فى معركة العاشر من رمضان حيث أعَدّ جيشنا الباسل عدته وأخذ بأسباب النصر فحقق الله له النصر على الأعداء الذين زعموا أن جيشهم لا يقهر، وإذا بالجيش المصرى يزلزل أركانهم ويخترق حصونهم وتعالى صيحات الجنود وهى زاحفة «الله أكبر الله أكبر» فيهزم الأعداء وينتصر الجيش المصرى، ويكذب الأسطورة التى نسجها أعداء الحق فتهاوت حصونهم واحدًا تلو الآخر، ذلك أن سلاح الإيمان تمكن من قلوب أبطال مصر وقاتل الجنود بعزم وإصرار وثبات وصدق إيمان وحملوا أرواحهم على أيديهم فى سبيل الله وحماية للوطن فكتب الله لهم النصر.

إننا فى حاجة إلى عقليات متحررة من الأوهام والخرافات والدجل والجمود والجهل والتقليد الأعمى نزن الشىء بميزان العقل قبل أن تسلم به. ذلك لأن الآفة التى تشد المسلمين إلى التخلف تتمثل فى التقليد الأعمى وفى حصاد الثقافة السيئة، يقول الإمام الغزالى: (ولو لم يكن فى مجارى هذه الكلمات

المناخ الجديد الذى أفرزته رياح الثورة المباركة ينبغى أن يكون دافعًا لنا لإحداث التغيير الحقيقى وإجهاض محاولات الوصاية الأجنبية

إلا ما يشكل فى اعتقادك الموروث لتتدب للطلب - أى البحث - فناهيك به نفعًا فالشكوك هى الموصلة للحقائق فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال).

إن من سنة الله تعالى أن تصابوا وتصيبوا، على أن تكون العقبى بعد الجهاد الطويل لكم ولهذا قال ربنا: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٤٠) إشارة إلى غزوة بدر وقد مس القرح فيها قريشًا وانهزموا وسلم المسلمون وانتصروا وما فى هذه الآية الكريمة إشارة إلى مطلع غزوة أحد هذه وقد انتصر فيها المسلمون أول الأمر حتى هزم المشركون وتابعهم المسلمون يضربون أقفيتهم لولا أن الرماة خرجوا على أمر رسول الله ﷺ واختلفوا فيما بينهم فأصاب المسلمين ما أصابهم فى نهاية المعركة جزاء وفاقا لهذا الاختلاف، وذلك الخروج وتحقيقًا لسنة من سنن الله تعالى التى لا تتخلف إذ كان اختلاف الرماة وخروجهم ناشئين من الطمع فى الغنيمة والله قد كتب النصر لمن يجاهد فى سبيله لا ينظرون إلى شىء من عرض الدنيا من الزهيد أو الثمين وتحقيقًا كذلك لسنة أخرى من سنن الله فى الأرض مداولة الأيام بين الناس فتكون لهؤلاء يومًا وأولئك يومًا وبذلك يتبين المؤمنون.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ • وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران الآيتان: ١٤٠، ١٤١)، فالشدة بعد الرخاء، والرخاء بعد الشدة، هما اللذان يكشفان عن معادن

النفوس فيتبين المؤمنون حقًا ويمتازون من المنافقين المستورين، والله يعلم هؤلاء وهؤلاء ولكن انكشافهم يجعل هذا العلم متعلقًا بأعمالهم بعد أن كان متعلقًا بنواياهم، والإسلام يعتبر العمل دائمًا ويحاسب عليه فهو يجرى هنا على قانونه.

إن مداولة الأيام وتوالى الشدة والرخاء وسيلة عملية لا تخطىء ومحك صادق لا يظلم والرخاء فى هذا كالشدة فكم من نفوس تصبر للشدة وتتماسك ولكنها تتراخى بالرخاء وتنحل. والنفس المؤمنة حقًا تصبر للضراء ولا تستخفها السراء وتتجه لله فى الحالين وبهذا تستحق صفة الإيمان باتجاهها إلى الله فى جميع الأحوال ويقينها أن ما أصابها من خير أو شر فبإذن الله، فمداولة الأيام لمعرفة المؤمنين وكشف المنافقين وترتيب الجزاء على ما يكشف عنه الابتلاء فكل هذا عدل **﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**، لقد كان الله قادرًا على أن يمنح النصر لنبيه ولدينه منذ أول لحظة ولكن الذين يتلقون النصر رخيصا، يبيعونه رخيصا، والذين لا يصمدون للابتلاء ولا يصبرون للشدة لا يصلحون حملة للدعوة ولا حماة لها حين تتعرض بعد ذلك للاضطهاد؛ لأن كل دعوة جديدة لا بد أن تجد معارضين ومضادين فإذا لم يكن أصحابها مؤمنين بها إلى الحد الذى يضحون فيه بأنفسهم ولا يضحون بها لم يكونوا أهلاً للنصر لأنهم ليسوا أهلاً للثبات عليها والاستمرار فإذا داهمتهم الشدة فصبروا وأوذوا فى أعز شىء لديهم فصمدوا وبذلوا كل ما فى طوقهم من جهد جاءهم النصر من عند الله عن استحقاق وجاءهم الجزاء عن صبرهم وجهادهم عن استحقاق كذلك.

ومن سنة الله أنه لا بد لحملة كل دعوة من الجهاد ولا بد من تمحيص دعواهم فى الاستعداد للتضحية قال تعالى: **﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾**، وقال جل شأنه: **﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾** فالنصر لا يأتى رخيصًا ولا هينًا والجهاد ليس دعاوى وليس كلامًا وما يستحق النصر إلا الذين يؤدون ثمنه فيبرهنون على أنهم أهل له وأهل للدعوة التى يحملونها يقول ربنا سبحانه: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾** (سورة آل عمران الآية: ١٤٢)، إنها لتربية عالية لنفوس المؤمنين على احتمال الشدائد وتثبتها على الإيمان أيًا كانت النوائب، لأن أية فكرة أو عقيدة أو اتجاه أو عمل إنما تحيا وتتحقق وتؤثر بمقدار ما تحمل من قوة كامنة. هذه القوة تتوقف على مقدار ما فيها من حق أى بمقدار ما فيها من التقاء من سنن الكون التى أرادها الله سبحانه لهذا الكون، من ثم فالله خالق هذه السنن وهو الذى يمنح الفكرة أو العقيدة أو الاتجاه بتلك القوة ويمنحها ذلك السلطان الذى تنفذ به وتتحقق وتؤثر فى محيط الحياة. يمنحها القوة والسلطان بمقدار ما فيها من اتفاق مع السنن الكونية التى قررها سبحانه، لقد صارع الإسلام الظلمة والظالمين تثبيتًا لأمر الله تعالى فى الأرض، ومن سنته فى الكون أن الحق لا بد أن ينتصر فى النهاية وإن غلب على أمره فى البداية فمرونة الإسلام لا تسمح للمتطرفين والمتعصبين بإفساد هذه المرونة وقابليتها والتضييق فيها لإحراج الناس حتى يفروا، لقد ظل رسول الله ﷺ يعلن للناس يسر الإسلام وبعده عن المشقة والحرج لأنه يطمح إلى تحرير العقل من العبودية الفكرية التى تفرض نفسها على الإنسان بدون شعور فى كثير من الأحايين لأن العبودية فى الفكر تقتل الشخصية الفردية والجماعة، وإن الشباب هو عماد الحركات التحررية فى كل جيل وهو الذى يتعلق بالتفتح والانطلاق، وهو الذى يحطم الأغلال ويكسر القيود وهو الذى ينزل إلى الميدان لينازل عدو أمته.

لقد كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يدعو إلى الأخذ بالأسباب مع حسن التوكل على الله فلقد قال الله

سبحانه لمريم البتول: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًا﴾ (سورة مريم الآية: ٢٥)، والله سبحانه وتعالى قادر على أن ينزل عليها الرطب من غير أن تهز النخلة لكنه قال لها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أخذ بالأسباب، وحينما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ: على ناقة وقال: يا رسول الله أدعها وأتوكل؟- أى يتركها من غير قيد ويتوكل على الله فى حفظها - فقال له ﷺ: **«اعقلها وتوكل»** فأمر بأن يتخذ السبب ويتوكل على الله لأن اتخاذ سبب الحفظ لا ينافى التوكل على الله، ومن أروع ما قاله السادة الصوفية قولهم: «المتوكل كالطفل لا يعرف شيئًا إلا ثدى أمه كذلك المتوكل لا يهتدى إلا إلى ربه ولذلك هم يقولون: كن كما كنت فى بطن أمك مدبَّر - بفتح الباء - غير مدبر - بكسر الباء - مرزوقًا من حيث لا تحتسب» والله سبحانه يقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (سورة الملك الآية: ١٥)، فكما أن اتخاذ الأسباب لازم فى أمر الرزق فالرسول ﷺ يقول: **«لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»** ففى هذا الحديث الشريف يبين لنا رسول الله ﷺ أن الغدو سبب العطاء من الله عز وجل فالمؤمن إذا اتخذ الأسباب متوكلاً على الله يكون كالطير لا يدرى ما يتم به القضاء فالأخذ بالأسباب لازم فى جميع الأمور الدنيوية والدينية لأنه سنة إلهية من سنن الله فى الكون.

إن سنن الله فى الكون وفى الإنسان تدعونا - نحن المسلمين - أن ننهض بعد طول رقاد ونستيقظ بعد طول سبات ونزيل الغشاوة التى حجبت عنا الرؤية السليمة، ولن تتبدل أحوالنا إلا طبقًا لقانون التغيير الإلهى القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (سورة الرعد الآية: ١١) فتلك سنة الله فى خلقه التى لن تجد لها تبديلاً ولن تجد لها تحويلاً يقول ربنا: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

ليس أمامنا من سبيل لمواكبة مستجدات العصر والاستفادة من متغيراته سوى الأخذ بأسباب النهضة والتقدم

(سورة آل عمران الآية: ١٤٠) فصيغة المضارع فى «نداولها» تدل على التجدد، والاستمرار للإعلام بأن تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة إلى أن يأتى أمر الله، يقول الإمام محمد عبده رحمه الله: «أن مداولة الأيام سنة من سنن الله فى اجتماع البشر فلا غرو أن يكون لصاحب الحق العاقبة له وإنما الأعمال بالخواتيم» وقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ تومئ إلى شئ مطوى كان معلومًا لهم وهو أن لكل دولة سببًا، فكأنه قال: إن لكل دولة سببًا تقضى إليها كالاجتماع والثبات وصحة النظر وقوة العزيمة وأخذ الأهبة وإعداد ما يستطاع من القوة، فعليكم أن تقوموا بهذه الأعمال وتحكموها أتم الإحكام.

ومن السنن الإلهية التدرج فى الكون فالله سبحانه خلق السماوات والأرض فى ستة أيام من أيام الله فقد خلق الأرض فى يومين ثم جعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام، أما السماوات فقضاهن سبع سماوات فى يومين، كذلك سنة التدرج فى خلق الإنسان الأول فقد بدأ بالتراب الذى أضيف إليه الماء فصار طينًا ثم تحول هذا الطين إلى حمأ - أسود - مسنونًا أى منتنًا بسبب التغير فلما يبس هذا الطين دون أن تمسه النار سمى صلصالاً يحدث صوتًا ورنينًا بسبب يبسه، وبعد هذه المراحل المتدرجة فى خلق الجانب المادى لهذا الكائن نفخ الله سبحانه فيه الروح فغدا إنسانًا هو آدم عليه السلام، وفى النبوات والرسالات كانت سنة التدرج أيضًا فقد جاء الإسلام الخاتم الذى

صدق بكل الأديان السماوية السابقة وكانت معجزته عقلية بعد أن بلغت الإنسانية رشدها كما أن شريعة الإسلام اكتملت بالتدرج فالتدرج سنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل، فالهدوء يا شباب الثورة فواجبنا أن نجتهد جميعًا فى طرح ما ينتظرنا فى المستقبل من تحديات ومصاعب تعترض أحلامنا وطموحاتنا المشروعة، ولكن هناك فرق بين الطرح الأمين بهدف التنبيه ودق أجراس الخطر مبكرًا وبين الرغبة فى التخويف والترهيب وإطفاء الأنوار وفتح أبواب اليأس والقنوط على مصاريعها إن بإمكاننا أن نتخطى معظم مصاعب الغد، بأن نبدأ مبكرًا بالاستعداد لها بمهل وتدرج فنحن فى حاجة إلى أطباء يعرفون جيدًا كيف يصفون الدواء السليم بأكثر من حاجتنا إلى أطباء مهرة فى التشخيص فقط دون وصف العلاج السليم علينا أن نحيى فى وطننا قيمة العمل والانتماء والجدية فى التخطيط والتنفيذ، إننا ندفع اليوم ثمن التخلف الحضارى الذى زرعه بداخلنا الحكم الدكتاتورى طيلة ستة عقود فبات حتمًا علينا أن نقتلع هذا النبت الشيطانى بداخلنا ونتحلى بالشجاعة لنواجه الحقائق فلله الحمد والمنة، فقد بدأت عجلة العدالة لتطهر البلاد من منظومة الفساد التى هيمنت على كل شىء فالمناخ الجديد الذى أفرزته رياح ثورة يناير المباركة لا بد أن تكون دافعًا لإحداث التغيير الحقيقى لتحقيق النهضة المطلوبة وإجهاض محاولات التدخل والوصاية الأجنبية وهذا التغيير المنشود لن يتحقق بصيغة القرار وإنما التغيير الذى يمكن أن يدوم ويحقق الأهداف والمقاصد يولد من خلال تفاعل وحوار وتوافق تشارك فيه كل القوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية بروح الرغبة فى صد واحتواء المخاطر والتهديدات، لأن التغيير رحلة عمل ينبغى قبل الانطلاق إليها أن نعرف جيدًا من أين نبدأ وإلى أين سننتهى وكما يقول الشاعر الحكيم:

تهدأ الأمور بأهل الرأى ما صلحت
وإن تولت فبالأشرار تنقاد

إن مصر بلا شك أكبر دول الشرق الأوسط تعدادًا وأقدمها تاريخًا وهى البوصلة الحقيقية لما يجرى فى المنطقة من تحول ديمقراطى، وهناك دول فى عصرنا الحاضر استطاعت أن تنهض بسرعة وتخرج من دائرة الفقر والبطالة والجهل إلى دائرة الرخاء والإنتاج فهناك الصين والهند وماليزيا وكوريا وغيرها وهذه الدول لم تهبط عليها الخيرات فجأة من السماء أو من الأرض بمعجزة البترول ولم تتلق معونات من دول أخرى أكثر غنى وثروة لتساعدها فمن لم يساعد نفسه لا يساعده أحد ولكن هذه الدول اتجهت إلى أبنائها وشبابها وركزت على الطاقات التى كانت مهدرة معطلة وقسمتهم إلى جماعات حسب طاقاتهم وإمكاناتهم وعلمهم وأخذت تعلمهم وتدربهم بما يتناسب مع كل واحد منهم وفى سنوات قليلة نهضت هذه الدول. وفى مصر لدينا أكثر من ثلاثين مليونًا من الشباب فى سن العمل والإنتاج ومن بينهم خريجو جامعات فلماذا لا نفعل معهم كما فعلت هذه الدول الناهضة مع شبابها؟!

وصدق الشاعر الحكيم فى قوله:

ولم أر فى عيوب الناس شيئًا
كنقص القادرين على التمام

إن العالم يتطور ويتقدم باستمرار وبسرعة مذهلة فى كل الميادين وليس لنا من سبيل لمواكبة مستجداته والاستفادة من متغيراته سوى الأخذ بأسباب النهضة والتقدم من حسن استغلال الوقت والعمل بصيغ أفضل وجهود أكبر كما أمرنا ديننا؛ حتى نؤمّن لأنفسنا القدرة على مواصلة التفانى فى خدمة مصر والرفع من شأنها ودعم مسيرتها حتى تتبوأ منزلتها التى هى بها جديرة فى السباق العالمى نحو الرقى والتقدم وما ذلك على الله بعزيز وعاشت مصر وطنًا نعيش فيه ويعيش فينا إلى الأبد وزادها الله خيرنا وكفاها شرنا آمين يارب العالمين والله الموفق.

مصر بين الفتنة وواجب الدعاة

إسماعيل الفخرانى

تعيش مصر الآن مرحلة من أصعب مراحل تاريخها المعاصر، حيث تتسارع الأحداث ويشتد غموضها، وتتسابق التيارات السياسية والدينية ويستعر لهيبها، وتتصارع القوى الخارجية والداخلية للهيمنة على مصر، لما لها من قدر وميزان وتاريخ وحضارة وقوة.

أحداث يصعب عندها وضوح الرؤية مما جعل الجميع يعيش مرحلة من الظلام والذى عنده تكثر الإشاعات والمؤامرات ويسود الهلع وتنتشر الفوضى هذا المناخ يفرض على الأئمة والدُعاة والخُطباء فى المقام الأول أن يهبوا لنجدة الوطن بأداء رسالتهم والتى أراها الرسالة الشرعية والوطنية الكبرى التى يضطلع بها كل مخلص لدينه ووطنه ولا أحسب أن هناك أهلاً لحمل هذه الرسالة أسبق من أهل الدين ورسالة الدعوة.

على مر التاريخ لا تجد أزمة وطنية كبرى إلا وكان أهل الدين والدعاة والمصلحون هم قادة الإصلاح فيها لما حباهم الله من حكمة وسكينة وشريعة وعلم نافع.. والآن جاء دورهم لرأب هذا الصدع الكبير فى بنيان الأمة وتذكير الفرقاء بفريضة الوحدة الوطنية والإسلامية والتحذير من التنازع والتشرذم، **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾** و «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

إن على الأئمة والدعاة أن يجعلوا من أولويات الدعوة الآن التماسك الوطنى فى وجه المؤمرات، وتناسى التكالب على الدنيا ومناصبها، حتى لا نكون لقمة سائغة لدى أعدائنا فى الخارج والداخل، عليهم أن يذكروا الناس بحديث النبى ﷺ: **«والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تفتح عليكم فتتنافسوها، كما تنافسوها من كانوا قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم».**

على الأمة والدعاة الآن أن يتبوءوا مكانهم اللائق والمنوط بهم فى صدارة الأمة لتذكير الناس بالمخاطر التى تحدق بالوطن، لا يخشون فى الله لومة لائم، فهذه درجة كبرى من درجات الجهاد فى سبيل الله، مهما كلفهم ذلك من ابتلاء، فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، والحمد لله نحن الآن نعيش مرحلة من الحرية، وخير من يفهم الحرية هم أئمتنا ودعاتنا، يفهمونها حرية منضبطة بضوابط الشرع والقانون والعلم، لهذا فإن عليهم الالتزام بمنهج النقد البناء والقول الصادق والرأى السديد بما لا يخرج عن حدود وأدب وضوابط النقد والخلاف - أُهيب بأئمتنا ودعاتنا أن ينفروا بل ويتعصبوا ولكن لمن؟ لله ولرسوله ﷺ وللحق والحقيقة، والوطن والوطنية وللحكمة والرشاد دونما محاباة لفريق على الآخر أو تحيز لجماعة على حساب أخرى. هذا المنهج هو الذى سيجد الآذان المصغية والقلوب المتفتحة والعقول النابهة وفضلاً عن هذا فإن هذا المنهج هو الذى سيعيد للدعاة والأئمة مكانتهم التى سُلبت عبر عشرات السنين تحت مقولات زائغة - لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة» لا بل الدين منهج حياة شامل لكل جوانبها، ولكن بضوابط وحدود وآداب وحكمة وأولويات».

إن الوطن فى خطر وإن حُب الوطن من الإيمان وإن دعاة الإيمان هم الأئمة والمصلحون، وها هو الميدان يناديكم، فى المساجد والشوارع والميادين إنها فتنة ولن يخمدها إلا منهج الله **﴿وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله﴾** ولا يعلم حكم الله بحق إلا الأئمة والمصلحون، وما أصابتنا الفتن إلا بإقصاء هؤلاء الأئمة عن ميادين الإصلاح لعقود طويلة عندما غُيّب منهج الله وخالف الناس أوامره سبحانه فعشنا وما زلنا قول الله تعالى **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾**، هذا هو واقعنا وهذا التحذير هو الذى سيصيبنا وسنعيش فتنة على فتنة، إذا نكص الدعاة عن أداء رسالتهم وإذا خالفنا أمر الله وابتعدنا عن منهجه وتجاهلنا رسالة الإسلام وشريعته السمحاء بكل حكمة وقوة ورفق وسلام وإصلاح بين الناس وتوحيد صفوفهم ولم شملهم ورأب صدعهم وجمع كلمتهم. لتكون كلمة سواء فى سبيل مرضاة الله ورفعة الوطن وحمايته من الفتن.

ويسألونك عن الإمام

د. محمد عمارة

الشائع فى التراث السياسى الإسلامى، وفى مباحث علم الكلام أن مصطلح الإمام مرادف لمصطلحى : الخليفة، وأمير المؤمنين... وأن «الإمامة» هى : الخلافة، وإمارة المؤمنين .. لكن هذا الشائع ليس بدقيق!.

فدولة الخلافة ونظامها بدأت عقب وفاة الرسول ﷺ. وكان «الخليفة» أو خليفة رسول الله، هو لقب أبى بكر الصديق، أول الخلفاء... ولا نجد له فى وثائق عصره لقبًا سواه.

وبعد أبى بكر اختار عمر بن الخطاب - وهو الخليفة الثانى - لنفسه لقب : «أمير المؤمنين» لأسباب وملابسات ذكرها المؤرخون .. ومصطلح «الأمير» لم يكن مستحدثًا، فلقد عرفته الدولة العربية الإسلامية منذ العهد النبوى، بل وكان مألوفًا فى الحياة السياسية العربية قبل ذلك العهد... لكنه كان مخصصًا بوظيفة أو إقليم، فهناك أمير الجيش، أو أمير الصدقات، أو أمير إقليم من الأقاليم أو مصر من الأمصار.. إلخ. فلما كانت معركة «القادسية»، وفيها احتشد جمهور المؤمنين لقتال الفرس، سمى الناس أمير الجيش - سعد بن أبى وقاص - بأمير المؤمنين، فوجد الخليفة عمر أنه الأحق بهذا اللقب، وأنه هو الأوفق بالمنصب الذى يتولاه.. ولقد زاد فى تزكية هذا اللقب عند عمر أنه مشتق من «الأمر»، وهو المصطلح الدال على السياسة فى القرآن والأدب السياسى لذلك العصر ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الشورى الآية : ٣٨)

و «الائتمار» هو التشاور، فهو بعيد عن شبهة خلط سلطة الخليفة بالسلطان الدينى للنبوة الذى انقضى بوفاة الرسول، عليه الصلاة والسلام... ولقد كان عمر حريصًا على اتقاء هذه الشبهات.. فاختار عمر لنفسه لقب «أمير المؤمنين»، ولم نجد له فى وثائق عصره لقبًا سواه.

ولقد استمر عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب على نهج عمر، وإن وجدنا عثمان يتلقب بلقب الخليفة فى بعض الأحيان... وشاع اللقبان فى الدولة الأموية وما تلاها.

حتى كان النصف الثانى من القرن الهجرى الأول، عندما تبلور للشيعة، كفرقة، فكرها النظرى فى المنصب الأعلى بالدولة، وهو الفكر الذى انفردت فيه من دون فرق الإسلام بالقول بالطبيعة الدينية لهذه السلطة ولصلاحيات صاحبها، وبأن هذا المنصب والتعيين فيه إنما هما من شئون السماء، لا مدخل فيهما للبشر، لا بالاختيار

ولا بالمحاسبة ولا بالعزل، لأن السماء قد اختارت أصحاب هذا المنصب وعينتهم وأوصت بذلك إلى الرسول، عليه الصلاة والسلام... بعد أن تبلور الشيعة فكرها النظرى هذا، وانفردت بصبغ هذه السلطة بالصبغة الدينية، وجدناها قد اختارت لصاحب هذا المنصب لقبًا يدل على الطبيعة الدينية لسلطات صاحبه، وهو لقب «الإمام»!.. فمصطلح «الإمام» يستخدمه القرآن فى مقام المسئوليات الدينية، لا السياسية، فهو خاص بالنبوة والتقوى أكثر مما هو دال على صاحب السلطان السياسى غير الدينى... ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة : ١٢٤) - أى نبيًا ... ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء : ٧١) - أى بنبيهم، أو كتاب دينهم.

ولما كان الشيعة هم طلائع المؤلفين فى هذا الفن، ولما كان هذا المصطلح - الإمام - والإمامة - هو الذى شاع فى تآليفهم - ولما كانت كتابات خصومهم - وفى طليعتهم المعتزلة - قد جاءت، فى هذا المبحث ردًا عليهم وجدلا معهم، فلقد استخدم هؤلاء الخصوم ذات المصطلح فى أغلب الأحيان.. وهكذا شاع فى التراث السياسى الإسلامى وفى مباحث علم الكلام مصطلح «الإمام، والإمامة» للدلالة على «الخليفة، والخلافة - وأمير المؤمنين، وإمارة المؤمنين»، وذلك رغم الفروق الدقيقة، والجوهرية، بين هذه المصطلحات!..

ولا أدل على هذه الفروق من استخدامات الشيعة أنفسهم فهم قد يلقبون الحكام من غيرهم بالخلفاء، ولكنهم لا يلقبونهم بالأئمة.. وأئمتهم أئمة حتى ولو لم يتولوا السلطة الزمنية، لأن لهم، وفق

الذين أوجبوا الثورة عند الاقتضاء طريقا للتغيير انطلقوا من الموقف القرآنى الداعى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

نظريتهم، السلطة الدينية بالنص والتعيين من السماء، فإذا أصبحوا حكامًا زمنيين لقبوهم أيضًا بأمراء المؤمنين.. فأئمة الشيعة الإسماعيلية كانوا أئمة حتى أبى عبد الله، مؤسس الدولة الفاطمية، فلما ظهرت دعوته بالقيروان سنة ٩٠٩م وأصبحت له سلطة زمنية تلقب بالخليفة وبأمير المؤمنين أيضًا.

وفى شروط الإمام - (جريًا على الشائع فى استخدام المصطلح!) - كما فى مصطلحه وطبيعة سلطاته نجد الخلاف الأساسى فى التراث الإسلامى بين الشيعة وبين سائر فرق الإسلام غير الشيعية.

فالإمامة، عند الشيعة، امتداد للنبوة، وهى تقاس عليها، ومهام الإمام هى مهام النبى، بل أعم!.. ولذلك فإن من شروط الإمام :

١ - أن يكون معصومًا من الخطأ، صغيرًا كان الخطأ أو كبيرًا..

٢ - وأن يكون أفضل الخلق فى الدين..

٣ - وأن يكون عالمًا بالسياسة، وبجميع أحكام الشريعة، وحجة فيها، بحيث لا يحتاج إلى غيره.. وأن يكون أشجع الخلق.. إلخ.

أما عند غير الشيعة من الفرق فإن الإمامة هى مستوى أعلى فى «الحكم»، وعليه تقاس، ولا علاقة لطبيعتها بطبيعة النبوة، ومن ثم فإن شروط الإمام هى الشروط الواجب توافرها فى إنسان يتولى

منصب الحاكم الأعلى فى الدولة.. وبعد الاتفاق على طبيعة السلطة اختلفوا فى تعداد الشروط، تبعًا للإجمال والتفصيل، وانطلاقًا من مواقع اجتماعية متباينة وأفكار سياسية متايرة.. وجمهور المتكلمين ومفكرى السياسة فى التراث الإسلامى يشترطون فى الإمام :

١ - العدالة : بمعنى أن لا يكون فاسقًا، سواء فسق رأى أو جارحة.. والفاسق هو من يرتكب ذنبًا من الكبائر دون توبة... وهذا الشرط لا يشترطه أحمد بن حنبل، إذ يطلب الاعتراف بإمامة الفاسق إذا تغلب على السلطة، ويرى ذلك ضررًا أخف من ضرر الثورة والمقاومة!.

٢ - العلم : المؤدى إلى الاجتهاد فى الأمور الطارئة والمحدثة والأحكام.

٣ - سلامة الحواس : من السمع والبصر واللسان، ليتأتى له مباشرة سلطانه..

٤ - سلامة الأعضاء : بحيث تسلم من النقص الذى يعوقه عن مهامه.

٥ - الرأى : بمعنى أن يكون ذا قدرات تفضى به إلى حسن سياسة الرعية وتدبير مصالحها.

٦ - الشجاعة والنجدة: المؤدية إلى حماية الوطن وجهاد العدو.

٧ - النسب القرشى : بأن يكون من قريش.. وقدامى المتكلمين، خوارج ومعتزلة، لم يشترطوا هذا الشرط.. وهو لم يظهر فى هذا المبحث إلا بعد أن ظهرت الشعوبية والعداء للعرب، وبعد تغلب الأسر غير العربية على أطراف الدولة وسيطرتهم الفعلية على الخلافة وطمعهم فيها، فى العصر العباسى الثانى، فكان ظهور هذا

جاء شرط النسب القرشى فى الإمام كرمز للولاء للعروبة ورفضًا للسلطة غير العربية على الأمة

الشرط رمزًا للولاء للعروبة، ورفضًا للسلطة غير العربية على الأمة العربية!.

وجمهور المتكلمين ومفكرو السياسة، من غير الشيعة، متفقون على حق الأمة، ممثلة فى «أهل الحل والعقد»، فى الرقابة على تصرفات الإمام... والتيار الغالب منهم يجعل الثورة واحدة من الطرق التى على الأمة أن تسلكها لخلع الإمام إذا ما كفر، أو فسق، أو ضعف عن النهوض بالمهام التى أوكلتها إليه الأمة والنهوض بها.. يرى ذلك : الخوارج، والمعتزلة، والزيدية، وكثير من المرجئة، وعدد من أئمة الأشعرية.. ويعارض ذلك أهل الحديث، بزعامة أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ/٧٨٠-٨٥٥م) وجمهور من أئمة الأشعرية .. والذين أوجبوا «الثورة» - عند الاقتضاء - طريقًا للتغيير انطلقوا إلى قولهم هذا من الموقف القرآنى والأصل الإسلامى الذى يوجب على المسلمين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو الموقف والمبدأ الذى يجعل «الفعل» مقدمًا على «القول» إذا ما وازن الإنسان بين أدوات التغيير... فقد ورد فى القرآن الكريم : ﴿**وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ (آل عمران : ١٠٤) - والرسول ﷺ يقول : **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».**

بعد أن غابت الرؤية وتصارعت الأجندات

هل من فجر جديد؟!

المطالب الفئوية والإضرابات حجر عثرة فى طريق المستقبل

د. أحمد عمر هاشم:

واجبنا أن نقتفى أثر الرسول ﷺ الذى صنع مجتمعاً مثالياً لم تعرف له البشرية مثيلاً

تحقيق

مصطفى إبراهيم خيان

نادى المنادى يؤذن لفجر يوم جديد، تنكشف فيه الغمة، ويذهب الكرب، وينقشع ظلام الليل البهيم، واشرأبت الأعناق نحو آفاق الغد القريب تقتفى آثار صبح وشيك؛ تنسج من خيوطه لباس عز وكرامة، لأمة فقدت النطق وأصابها صمت مطبق، بعد أن غابت عن الوعى، وعاشت فى التيه سنين عددا، ترتدى ثياب الذل والخنوع والمهانة.

وحين أوشك الليل الطويل أن ينجلى، وراحت شمس الحرية تتسلل خلف الستار الظلام، لتشرق بالأمل فى النفوس المعذبة..

وحين وقف الخلق جميعا ينظرون كيف يبنى هذا الشعب الأبى الأمجاد ويصنع الحضارة ويكتب التاريخ.

إذ بسماء مصر الطاهرة تتلبد بالغيوم، وبضباب كثيف يحجب الرؤية ويغشى الأبصار فى ظل تيارات عاصفة ورياح عاتية تكاد تقتلع النبت الجديد وتأتى على الأخضر واليابس.

بات القوم حائرين يضربون أخماس فى أسداس يتساءلون: أفى زمن الربيع العربى يذبل الزرع وتموت الزهور؟ وفى ظل نشوة الانتصار تأتى النكسات ويعود الفرسان يجرون أذيال الفشل الذريع؟

أيعجز المجتمع أن يستكمل حلمه الجميل فى غد أفضل، ليستيقظ على كابوس مزعج يمزق خيوط الأمل؟ أو كلما تقدمنا خطوة عدنا خطوات؟ وحين ترتفع رايات النصر ونستمع للحن الوفاء، إذ بآخرين يعزفون على أوتار الأزمات لنبقى دوماً ندور فى حلقة مفرغة.

وأمام صمت الحكماء وتراجع العقلاء وتطاول السفهاء تنازع القوم وتنادوا الحرة بينهم حتى وراح بعضهم يضرب أعناق بعض ليعيدوا سيرة الجاهلية الأولى.

ولنا أن نتساءل: من يعبث بهذا البلد وتمتد يداه ليفجر صراع الأجندات ويلعب على لغة المصالح؟

وهل عاد أبو جهل وأبو لهب ومسيلمة الكذاب ليزرعوا الصراع ويشعلوا نيران الفتنة..؟ أسئلة كثيرة وعلامات استفهام حائرة نبحث لها عن إجابات من خلال هذا التحقيق.

د/ عبدالحميد مدكور:

ضربت العشوائية كل مناحى الحياة فأصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا اليومية

الثورة المصرية كانت أملا راود الشعب طويلا

الإعجاب بالرأى

ما أشبه الليلة بالبارحة؛ فحين حاد المسلمون عن المنهج وتنكبوا الطريق وصاروا فرقا وشيعا، عمت الفوضى، وسادت الفرقة، ووقع الكرب والبلاء. واليوم تتعالى أصوات تريد زرع الفتن، وشق عصا الجماعة، والبحث عن أسباب الفرقة والنزاع والدعوة لتحقيق مصالح ذاتية ضيقة على حساب المصلحة العامة للأمة.

الدكتور **أحمد عمر هاشم** - رئيس جامعة الأزهر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية - يوضح فى البداية أن ما يجرى على ساحة الأحداث كثيرا ما يقع فى أعقاب الثورات؛ من بلبلة وتوتر وإثارة وقلق، ومن إعجاب كل فرد برأيه، وإصرار كل قوة على أن تمضى فى طريق مصلحتها الضيقة، حتى وإن كان فى اتجاه معاكس ومخالف لمصلحة الأمة؛ فكان من الطبيعى أن يشتد النزاع ويقع التناحر بين التيارات السياسة المختلفة، مرجعا ذلك إلى عدم وجود قيادة موحدة للثورة تجمع شتات المجتمع، فضلا عن عدم تقدير الأمور جيدا ووضعها فى نصابها الصحيح، والافتقاد إلى الحكمة والرؤية الصائبة فى معالجة كل القضايا والمشكلات، لافتا إلى ضرورة أن يسلم القصد، والنية، فى الإصلاح، وإلى توحد شتى قوى المجتمع تحت سقف وراية واحدة، مشيدا بما قدمه الأزهر وإخراجه وثيقة متوازنة أجمعت عليها مختلف قوى المجتمع وأطيافه، بهدف توحيد الصفوف ونبذ الفرقة والخلافات من أجل بناء مجتمع جديد يسوده الأمن والأمان ويعمه الرخاء والاستقرار.

المجتمع المثالى

ويرى الدكتور **عمر هاشم** أن علينا - فى معرض التوجه نحو المجتمع الجديد - أن نقتدى بسنة خير الأنام محمد ﷺ حين شيد مجتمعا مثاليّا يقوم على محاور ثلاثة: محور دينى يربط المخلوق بخالقه، فكانت تعاليم الكتاب والسنة هى النبراس الذى به تهتدى الأمة وتقتدى، وهى المنهج القويم الذى يسير على منواله المسلمون.

ومحور اجتماعى يربط المسلمين بعضهم ببعض، حيث أقام - عليه الصلاة والسلام - مجتمع المدينة العظيم الذى آخى فيه بين المهاجرين والأنصار فكان بحق أعظم صورة للمؤاخاة التى لم تعرف لها البشرية مثيلا خلال تاريخها الطويل؛ حتى أننا رأينا

د. عبدالرحمن البر:

أصحاب الأجندات الخاصة الذين اكتشفوا ضآلة حجمهم فى الشارع المصرى روجوا للشائعات وأكالوا الاتهامات لكل القوى الوطنية

الرجل من الأنصار لا يجد غضاضة فى أن يقتسم ماله وأملاكه بالسوية مع أخيه المهاجر، بل ويؤثره على نفسه وعلى أولاده.

أما المحور الثالث لهذا المجتمع المثالى، فيتمثل فى إقامة العلاقات الطيبة مع الآخرين؛ لتقوم على الود والاحترام المتبادل، وعدم الاعتداء، والدعوة للسلام، وهو ما يعرف اليوم بالعلاقات الدولية.

النبش فى الماضى

ويحذر الدكتور **أحمد عمر هاشم** من ظاهرة يراها تتفشى وتبرز وجهها القبيح، وهى تنطوى على حشد الأحزاب والتيارات السياسية المتنافسة لجهودها فى مواجهة الغير، وتربص كل منها بالآخر، طلبا للغلبة والانتصار لفصيل كدعوى الجاهلية الأولى، ولا يجد البعض غضاضة فى القدح فى الآخرين والطعن فى ذممهم، والبحث عن مسالبهم، والتفتيش فى ماضيهم؛ مستغلاً وسائل الإعلام الرخيصة، ليتراشق هؤلاء عبر شاشاتها وصحائفها بالكلمات الجارحة، والأقوال المبتذلة، وإلقاء التهم الجزاف على الآخرين دون سند من حقيقة، أو أساس من واقع.

متسائلا: إذا كانت تلك هى المثالب والمطاعن.. فأين هى جوانب الخير والإيجابيات فى حياتنا؟!

ويضيف إن علينا أن نبحث عن المشترك بيننا وهو بلا شك كثير لننميه، وأن ننحى ما اختلفنا فيه جانبا،ونتنادى جميعا لنقف صفا واحدا تحت راية واحدة ولينظر الجميع للصالح العام قبل مصالحه الضيقة.

الخروج على المألوف

ويتفق الدكتور **عبدالحميد مدكور** - أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية - مع الرأى السابق القائل بأنه فى أعقاب الثورات يسود نوع من الفوضى والتخبط وتتعرض البلاد للاضطرابات، ويحدث الارتباك فى شتى مناحى الحياة؛ معتبرا أن ذلك نوع من الرغبة فى التنفيس عما يعتمل فى الصدور الذى يؤدى إلى الخروج عن المألوف، خاصة فى مجتمع عانى طويلا من الكبت والقهر والحرمان، بل والتهميش وتغييب العقول بفعل فاعل، ووجد نفسه محروما من ممارسة حقوقه السياسية، والحق فى إبداء الرأى لسنوات طويلة، ومن ثم كان رد الفعل عنيفا ومتجاوزا كل الحدود، واختلط الحابل بالنابل ولم يعد - كما يضيف - الكثير من الناس يفرقون بين مطالب بحقوق مشروعة وبين من يطلب دون أن يقدم عملا يستحق عليه ذلك، أو بين إبداء الرأى الحر المجرد، وبين إلقاء التهم جزافا بحق الآخرين تحت ضغط الهوى والغرض؛ فخرجت علينا المظاهرات الفئوية فى موجات متلاحقة تحتج وترفض بطول البلاد وعرضها، وإن كان لبعض هذه المطالب مشروعيتها، فإن البعض الآخر منها ليس لها ما يبررها.

مصالح العباد

ويحذر الدكتور **مدكور** من تصاعد الاحتجاجات والإضرابات الفئوية التى بلغت - كما يؤكد - حدًّا لا يحتمل، مشيرا إلى أنه إذا كانت المطالبة بالحقوق حقا مشروعا فإن التجاوز فى الاحتجاجات وتعطيل

عجلة الإنتاج وقطع طرق المواصلات وتعطيل مصالح العباد، هو أمر مرفوض ومنهى عنه لأن من شأنه أن يدخل البلاد فى فوضى عارمة، تأتى على الأخضر واليابس، وتنذر بحدوث عواقب وخيمة لا قبل للمجتمع بها مؤكدا أن التعجل فى تحقيق المطالب يعبر عن أنانية مفرطة، ولن يزيد الأمور إلا تعقيدا ومزيدا من التدهور والانهيار.

قرارات متعجلة

ويضيف: إن مشكلات وقضايا متشابكة ومعقدة تراكمت عبر سنوات طويلة من الإهمال والتقاعس عن الحل والمعالجة السليمة، تحتاج للتدرج فى حلها وفى الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أفضل، كما هو منهج الإسلام فى العلاج والإصلاح، فلا يعقل أن نعالج مشكلات حادة ومزمنة أرهقت المجتمع وأصابته بأمراض مجتمعية خطيرة، بين يوم وليلة وبقرارات متعجلة أو حلول متسرعة، تضر ولا تنفع فى أغلب الأحيان، لتضع البلاد فى مآزق جديدة، تجعل العلاج متعسرا للغاية، كما أنه لو كانت لدينا القناعة الكافية فيما بين أيدينا والثقة فى أنفسنا وفى المستقبل ما تردت بنا الأوضاع إلى هذا الحد المخيف.

انفلات الزمام

ويشير بأصابع الاتهام إلى العشوائية التى ضربت بأطنابها فى مختلف مناحى الحياة، حتى صارت جزءا لا يتجزأ من حياتنا اليومية وسلوكا سائدا فى الشارع المصرى وفى المصنع وفى مكاتب العمل وبالتالى صار المجتمع يتخبط فى أغلب قراراته، فما يكاد يستقر به الحال حتى يعاود البعض الكرة مرة أخرى لينفلت الزمام وتسود الفوضى وهكذا، حتى صرنا فى ذيل قائمة دول العالم صناعيًا وزراعيًا وفى الكثير من أوجه الحياة الأخرى، فضلا عن تراجع مستوى الأفراد علميًا وتقنيًا، حتى أننا وجدنا العامل المصرى غير مرغوب فيه فى سوق العمل بالخارج، وصارت الدول العربية الشقيقة تستبدل العمالة المصرية بأخرى من دول جنوب شرق آسيا.

معالم الطريق

ويقول: إنه من المزعج حقًا ألا تكون لدينا خطط واضحة المعالم نعمل بها، أو برامج معدة سلفا نتحرك فى إطارها، بما يحمله ذلك من انعكاسات خطيرة، وتداعيات حادة على كل أوجه الحياة، ولعل التعليم هو أخطر المجالات التى تعبر عن عشوائية وسوء تخطيط وإدارة، رغم أنه يعتبر قاطرة للتنمية البشرية فى كل دول العالم التى تسعى لتحقيق الريادة والتقدم.

أما لدينا فقد صار التلميذ حقل تجارب، وكل وزير يتولى زمام الأور يهدم ما بناه سلفه، ثم يبدأ فى تشييد نظام جديد، ريثما يأتى غيره ليهدمه، وهكذا دواليك؛ فقد كان العمل جاريا بنظام التعليم الابتدائى المشتمل على ست سنوات دراسية، ثم جاء من يجعله خمس سنوات، ثم عدنا مرة ثالثة للنظام القديم، كذلك الثانوية العامة التى كانت تنتهى مرحلتها المؤهلة للالتحاق بالجامعة فى السنة الثالثة، ثم تحولت لسنتين واليوم تتجه النية لإعادتها لسيرتها الأولى.

أما على مستوى التعليم الجامعى فحدث ولا حرج؛ فقد تراجعت الجامعات الحكومية أمام طوفان التعليم الخاص

كثير من وسائل الإعلام يفتقد للشفافية ويسخر أدواته لتحقيق مصالحه الشخصية على حساب مصلحة الوطن العليا

د. نبيل السمالوطى:

لايزال المجتمع المصرى يعيش سنة أولى ديمقراطية يمارسها دون الالتزام بقواعدها السليمة

والجامعات الأجنبية بعد أن فتح لها الباب على مصراعيه دون ضابط أو رابط، فهناك الجامعة الأمريكية، والإنجليزية، والكندية، والروسية، والصينية وغيرها، وكل منها تبث برامجها وثقافاتها وأفكارها، وهى بالطبع تختلف وتتعارض فى الكثير من الأحيان مع فكرنا وثقافتنا العربية والإسلامية، ليخرج الطالب إلى الحياة العملية وقد تشبع بأفكار وثقافات غربية؛ فينصرف عن تاريخه وحضارته الأصيلة، وتضيع هويته، ويضعف انتماؤه وولاؤه.

أهل الاختصاص

ويقارن الدكتور **مدكور** بين حال الطالب المصرى والطالب اليابانى، ويرى أن الأول وفى ظل تعليم يعتمد على الحفظ والتلقين، يظل بحاجة إلى من يأخذ بيده ويوجهه حتى مرحلة ما بعد تخرجه، والتحاقه بسوق العمل، على حين أن الطالب اليابانى يمكنه وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره أن يضع لنفسه خطة يسير عليها وهدفا يسعى لتحقيقه فيتعلم لغة الآخرين ويجد ويجتهد لينال بعثة تخصصية فى دول العالم المتقدم، يعود بعدها وقد تمكن من أدواته وحقق طموحاته وهو لا يزال فى سنوات عمره الصغيرة داعيا إلى أن نمنح أهل الاختصاص فرصتهم كاملة فى هذا البلد لكى يعملوا ويؤدوا أدوارهم بكل جدية، كى نطوى سنوات طويلة تخلفنا فيها عن الركب، فنحن ـ كما يقول ـ لا نملك ترف التأخر ولا يليق بمصر أن تقبع فى هذه المكانة التى لا تليق باسمها ولا بشعبها.

محاولات الإقصاء

عضو مكتب الإرشاد بجماعة «الإخوان المسلمون» الدكتور **عبدالرحمن البر** ـ عميد كلية أصول الدين بالمنصورة وعضو اللجنة التأسيسية للدستور ـ ينعى على بعض القوى التى لا تريد بمصر خيرا تهييج الرأى العام وتأجيج الفتن، وإثارة البلبلة دون داع، إلا أنهم يريدون فقط الخروج على الإجماع الشعبى الذى كشف لهم عن حنقهم الحقيقى فى الشارع المصرى؛ الأمر الذى أثار ـ كما يقول ـ حتفهم وغضبهم فأرادوا أن يشعلوها نارا؛ فاختلقوا الأكاذيب وروجوا الشائعات، وراحوا يكيلون الاتهامات لكل القوى الوطنية التى أجمع عليها الشعب، و«الإخوان المسلمون» على وجه الخصوص، بدعوى سيطرة الإخوان على الساحة وهو بلا شك مخطط يدبر بليل لتنفيذ أجندة تهدف إلى إقصاء الإخوان عن المواقع التى شغلوها بإرادة شعبية خالصة، فى محاولة رخيصة لإعادة إنتاج النظام البائد مرة أخرى.

التوافق الشعبى

ويدق الدكتور **البر** ناقوس الخطر من محاولات بعض القابعين بالسجون التى تتربص بالقوى التى توافق عليها الشعب المصرى، لزرع الفتن وضرب التوافق الوطنى وإثارة البسطاء من الناس للتمرد مستغلين فى ذلك بعض وسائل الإعلام التى تروج لأفكارهم المسمومة وتحاول أن تضرب الثورة السلمية التى قام بها الشعب المصرى فى مقتل، ومن مصلحتهم وأد هذه الثورة لأنها جاءت على غير هوى منهم، فحطمت

أصنامهم وكشفت عن مخططاتهم، وقضت على أجنداتهم الخبيثة التى التقت بأجندات صهيونية وغربية تريد إحراق هذا الوطن.

ادعاءات باطلة

ويضيف: إن ما يروجه البعض من أن الإخوان يتحللون من قراراتهم هو محض افتراء، ذلك أن الإخوان يبنون آراءهم تأسيسا على الواقع بما يرون أنه يمثل صالح الشعب الذى أولاهم الثقة، لكن عندما نجد أن هناك التفافا على إرادة الشعب ومحاولات لضرب القوى الوطنية وتهميش دورها، فالمنطق يقتضى أن نراعى الأحداث والمستجدات على الساحة، حتى يمكن أن نؤدى الأمانة على وجهها الصحيح.

أما فيما يتعلق بالقول بأن الإخوان يسعون للسيطرة على كل المناصب والإمساك بشتى السلطات، فتلك ادعاءات باطلة يكذبها الواقع، وإلا فأين هم الإخوان من المناصب العليا، كرئيس مجلس إدارة شركة أو رئيس هيئة أو غيرها من المناصب القيادية العليا.

لافتا إلى أن القوى التى انسحبت من اللجنة التأسيسية للدستور اتخذت منذ البداية موقفا مبدئيّا بهدف ممارسة الضغط على مجلس الشعب ليذعن لطلباتهم، مع أن ذلك يعد حقّا أصيلا لمجلس الشعب الذى اختير أعضاؤه فى انتخابات نزيهة لم تعرفها مصر من قبل مؤكدا أنه لا سبيل للخروج بهذا المجتمع من أزمته إلا بالحوار الهادف وتغليب مصلحة

التفاف الشعب حول هدف واحد أول الطريق للاستقرار

الشعب والوطن على المصالح الشخصية، ومن ثم يتحقق التوافق الذى ينشده الجميع، ويخرج هذا الوطن من كبوته.

معايير الموضوعية

ويرى الدكتور **عدلى رضا** - أستاذ ورئيس قسم الإذاعة والتليفزيون بإعلام القاهرة ورئيس اللجنة الإعلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - أن وسائل الإعلام من فضائيات وإذاعات وصحف فى الغالب الأعم تفتقد للقواعد المهنية الإعلامية، وتفتقر للنزاهة والمصداقية، ولا تلتزم بمعايير الحيادية والموضوعية، وقد تجلى ذلك بوضوح فى أعقاب ثورة ٢٥ يناير، وانتظر المتابعون أن تقدم أعمالا متميزة تواكب الحدث، وتسمو بالذوق وترقى بالفكر وتحترم المتلقى، إلا أنها لم تفعل، بل على النقيض من ذلك؛ حشدت طاقاتها لضرب الآخرين، وسخرت أدواتها لتحقيق مآرب ومصالح شخصية وذاتية، على حساب مصلحة الوطن العليا، وعمدت إلى الضرب على أوتار الإثارة والتهييج الإعلامى، وفشلت فى تبنى القضايا القومية والوطنية، أو فى التعبير عن المرحلة التى يعيشها المجتمع.

الديمقراطية الحقيقية

ويشير إلى أن الإعلام القاصر أسهم بشكل خطير فى بث الفرقة وإشاعة الخلافات بين تيارات المجتمع المختلفة، ولم يستطع أن ينقل للشعب صورة الديمقراطية الحقيقية التى تقوم على بعد أساسى، فيه الرأى والرأى الآخر.

ويقول: إننا فى مصر لم نتعلم كيف نختلف؛ فكل من يخالفنا

يعد عدوًا ينبغى إقصاؤه وإبعاده ومهاجمته كل لا تقوم له قائمة، ولعل المثال الصارخ على ذلك، ما كان من أمر بعض مرشحى الرئاسة الذين هاجم بعضهم بعض على شاشات الفضائيات والصحف، ورمى كل الآخر بكل ما من شأنه التقليل من مكانة منافسه وتحقيره فى نظر الشعب بصورة مقززة للغاية وصلت إلى حد تبادل الاتهامات بالعمالة وبطبيعة الحال فإن كل هذا الصراع المفتعل ليس فى صالح مصر، ولكنه يصب بالضرورة فى مصلحة أعدائها والمتربصين بها.

سنة أولى ديمقراطية

المشهد الحالى بكل تداعياته وسلبياته وحالة الغموض التى تكتنفه يحتاج إلى نظرة تحليلية لأوجاع المجتمع من خلال دراسات مجتمعية متخصصة.

الدكتور **نبيل السمالوطى** - أستاذ الاجتماع وعميد كلية الدراسات الإنسانية بالمنيا سابقا - يوضح أن المجتمع المصرى يخوض تجربة ديمقراطية غير مسبوقة فى تاريخه، وعرف الشعب حرية التعبير وحرية تكوين الأحزاب، والائتلافات بعد سنوات طويلة من القهر خلف أسوار الاستبداد، ولذلك فقد انطلق يمارس الحرية بدون ضوابط أو معايير، فهو لا يزال فى سنة أولى ديمقراطية يمارسها، دون الانضباط بقواعد اللعبة؛ كأن يحترم حرية الآخر كما يجب أن تحترم حريته، وأن يستمع كما يحب أن يتكلم، وأن يراعى أدب الاختلاف، وأن تقدم الأحزاب برامج هادفة وجادة، وليست مجرد إثبات التواجد، على الساحة السياسية، ناعيا على كثير من الشباب الذى شارك فى الثورة أنهم لم يعتصموا بحبل الله المتين وصاروا يبحثون عن الزعامة والقيادة، فتكونت مئات الائتلافات الشبابية، ودبت الخلافات بينهم والكل يدعى أنه صاحب الحق وصاحب السبق.

وحذر من أن مصر لا تحتمل المزيد من الاختلافات والانقسامات داعيا القوى الإسلامية أن تتفهم قواعد اللعبة الديمقراطية ويقول: إنه على الرغم من حسن النوايا لدى هذه القوى فإن عليها أن تراعى أن تكون طوائف الشعب كافة ممثلة فى وضع دستور البلاد، بحيث يراعى تمثيل النقابات والهيئات والمؤسسات وأصحاب الخبرة والاختصاص، وذوى الاحتياجات الخاصة.

فالإسلام كما يرفض ديكتاتورية الأقلية، فإنه أيضا يرفض ديكتاتورية الأغلبية.

وعلى الأغلبية الإسلامية التى جاءت بإجماع شعبى كاسح أن تحتاط لما يمكن أن يحاك لها أو يدبر بليل، ليَجُر أفرادها إلى معارك جانبية تخصم من رصيدهم فى الشارع. وهو ما يحذر منه القرآن الكريم فى قول الله تعالى: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾**، فهناك قوى علمانية متربصة تسعى لإظهار مثالب الإسلاميين للانتقاص من قدرتهم ومكانتهم لدى المواطن البسيط.

تحقيق العدالة

ويوجه **الدكتور السمالوطى** إلى ضرورة الاعتصام بحبل الله، والرجوع إلى وسطية الإسلام واعتداله، مع الأخذ فى الاعتبار المتغيرات والمستجدات الدولية؛ فالدين الإسلامى - كما يضيف - قادر على مواجهة كل متغيرات ومستجدات الحياة لما يملكه من مرونة فائقة فى ذلك، ما دامت لا تتعارض مع ثوابت الدين وأسسه الراسخة.

وينبه إلى ضرورة الاحتياط مما يجرى تدبيره لمصر بالخارج، ذلك أن استقرار مصر وأمنها يعنى تحقيق العدالة الاجتماعية التى هى ضد المشروع الرأسمالى على طول الخط، وتأتى إسرائيل والغرب فى مقدمة الدول التى تريد أن تعبث بأمن واستقرار مصر، وأوضح مثال على ذلك التمويل الأجنبى الذى لم يقدم عبثا، وإنما لمحاولة تفتيت وحدة المسلمين وضرب استقرار البلاد.

فتنة الرئاسة والدستور.. وضرورة وحدة الصف

تحقيق / أحمد فاروق الهلباوى

الإسلام دين التوحيد والوحدة، لذا يجب على كل معتنق للإسلام تطبيق مفهوم الوحدة، خصوصًا فى وقتنا هذا، الذى تعمل فيه قوى الاستكبار العالمى على إضعاف المسلمين فى المنطقة ببث الفرقة المذهبية ويجب على كل مسلم إدراك أن مايفرق المذاهب الإسلامية أقل بكثير مما يجمعها، وأن عدو الإسلام لا ينظر إلى الفرد انطلاقا من هويته المذهبية بل يستهدفه لأنه مسلم لذا على المسلمين فى عالمنا العربى تحديدًا تفويت الفرصة على العدو بالعمل على إبراز القواسم المشتركة أكثر من إظهار التفرقة بين المسلمين.

ومن الطبيعى ونحن نعيش هذه الأيام الصعبة أن نتذكر ماحل بالمسلمين فى بداية القرن العشرين وما سعت إليه قوى الاستكبار فى العالم إبان معاهدة سايكس بيكو «١٩١٦» إلى تفتيت المنطقة على أساس طائفى ومذهبى لحماية الكيان الصهيونى، لأن المنطقة عندما تكون موحدة فكريًا وعمليًا من الصعب استمرار وجود هذا الكيان ومن على هذا المنبر وكواحد من الأزهريين أعلن أن الفرقة المذهبية فى عالمنا هدفها بث الضعف فى المنطقة لضمان سيطرة قوى الاستكبار اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا على شعوب العالم خصوصًا بعد فشل الخيارات العسكرية.

وليعلم الجميع أن أهم ما يساعد على بقاء وحدة المسلمين فى عصرنا الحاضر هو إبقاء قضية فلسطين قضية المسلمين والعرب الأولى والانصراف إلى تحريرها تاركين القضايا الصغرى جانبًا.

ومن المؤكد أن إلهاء الشعوب عن محاربة العدو الصهيونى هدفه ضمان استمرار احتلاله للأرض الفلسطينية وينبغى التركيز على إرساء مبدأ الوحدة الإسلامية والوقوف بقوة ضد ضرب وحدة المسلمين والوقوف ضد أى نزاع ضيق بين السنة والشيعة وضد كل مستكبر هدفه زعزعة استقرار وضرب وحدة المسلمين.

قرار الإخوان الأخير ملابسات وشبهات

أثار قرار الإخوان الأخير بترشيح أحد كوادرهم لانتخابات الرئاسة جدلاً واسعًا سواء على المستوى الشعبى أو الإعلامى أو على المستوى الداخلى للجماعة، ومع صدور القرار انطلقت حملة إعلامية شرسة ضد الإخوان وتعالوا بنا ندرس ما للإخوان وما عليهم فى هذا القرار.

يقول الأستاذ/ أنس عبدالقادر القيادى الإخوانى إن إصرار الحكومة على إفشال وتعويق عمل البرلمان يستدعى وجود سلطة تنفيذية رئيسًا وحكومة تتناغم وتتوافق مع البرلمان بما يحقق أهداف الثورة ويحافظ على مكتسباتها.

ويؤكدأن عدم إمكانية التوافق مع العديد من الأطراف التى كان جل هدفها تطويل الفترة الانتقالية حتى يظهروا عجز الإخوان فى أخذ أى قرار يظهر محاولات النجاح على الأرض.

ومن الضرورى تشكيل حكومة ائتلافية ذات صلاحيات حقيقية تعبر عن طموحات الشعب نظرًا للفشل الذريع للحكومة الحالية.

وكذلك التلويح والتهديد بحل مجلس الشعب والشورى المنتخبين ولأول مرة بإرادة شعبية حرة ومحاولة إجهاض الإنجاز الأكبر والأهم للثورة.

والدفع بمرشح رئاسى من بقايا النظام السابق فى محاولة لإنتاج نظام بائد مرة أخرى بشكل جديد.

وفى إيجاز سريع يمكن أن نقيم تجربة الأيام الأخيرة فى النقاط التالية:

فبغض النظر عما ذكره الأستاذ الفاضل من مواجهات الإخوان مع المشكلات السابق ذكرها إلا أننا ينبغى تذكر الآتى:

إن عمر الإخوان المديد فى الشارع السياسى وما واجهوه من صعوبات أقصد انكسارات ومحاولات لتكسير العظام من حكام نالوا منهم لأسباب معروفة ولولا هذه الضربات وتحملهم لها ما عاشوا فى الشارع السياسى وانتصروا وكبرت شوكتهم أقول مع كل هذا كنا ننتظر مواقف مثالية من الإخوان تستقيم وما يرفعونه من شعار الإسلام

أنس عبدالقادر: الدفع بمرشح رئاسى من بقايا النظام السابق محاولة لإنتاج نظام بائد آخر بشكل جديد

الذى هو مسئولية وشرف ووقار وأقف عند لفظة مسئولية» لأنها تعنى الصدق فى المواقف لأن تجربتهم محسوبة على الإسلام وها هى الأصوات الزاعقة خرجت علينا من جحورها لتعلن كذب الإسلاميين وعدم صدقهم فى وعودهم فيما اتخذوه على أنفسهم من شعارات الصدق والأمانة.

وأقول وبصدق إن المزاج العام للشعب المصرى يميل إلى أن الإسلاميين لما التمسوه فى الإسلام من صدق وأمانة وعزم وجهاد وتضحية وبذل بعد أن ذاقوا ألوان الظلم والاضطهاد والفقر والخنوع لحكام ظالمين متسلطين واستبداد استمر طوال عقود من الزمان وفى ظل أنظمة علمانية فاسدة حاربت الإسلام وأبعدته عن الحكم.

أقول أيضًا، يا من سيكون فى أيديكم حكم مصر أعلموا أن خطأكم محسوب عليكم وللأسف سيلصقه أولئك الأفاقون بالإسلام واستشعروا مسئولياتكم التاريخية وياحبذا لو اجتمعت القوى الإسلامية خلف مرشح واحد نقف وراءه وندعمه وسنكون ساعتها معتصمين بحبل الله المتين غير متفرقين ونحمد الله على نعمته اللهم آمين.

انتخابات الرئاسة

عن المعايير التى يجب أن يتسم بها المرشح للرئاسة أكد د/ كمال الهلباوى إن هناك معايير يجب أن يتسم بها كل مرشح للرئاسة ومنها:

فهمى هويدى: من الشجاعة أن تعترف الجماعة بخطئها فى تشكيل لجنة الدستور وعليها أن تعيد صياغة اللجنة مع بقية القوى الوطنية

القبول الشعبى العام وتبنى مطالب الثورة بالكامل، ولا مانع من ترشيح أى مواطن للرئاسة مادام تنطبق عليه المواصفات سواء كان مسلمًا أو مسيحيًا، ومن حق المرأة أن ترشح نفسها فالدين والجنس الأيديولوجيا لن تكون عائقًا أمام أى مواطن للترشح، وأن تكون لديه ثوابت وطنية محليًا وإقليميًا وعالميًا وأن يكون أمينًا ودقيقًا وطاهر اليد وعف اللسان، أما الدكتور عبدالستار المليجى عضو مجلس شورى الإخوان فيقول: للجميع أن يقفوا مع أنفسهم ويفكرون فى رئيس مصر القادم، والجميل والمخيف فى آن واحد هو أن شعب مصر بكل طوائفه متحد المذاهب والرؤى لاهم له ولا تفكير إلا فى رئيس مصر القادم، فالرئيس المطلق ذو الصلاحيات المطلقة ذهب إلى غير رجعة والأصل الذى يجب أن نبحث عنه هو وحدة الشعب حول مشروع بناء نهضة مصر الحديثة وخاصة أننا فى قلب الأزمة والقضية هى كيفية اختيار قائد وربان للسفينة يحسن استخدام ما على هذه السفينة من مقومات لينجو بها من الطوفان المحدق بنا من كل جانب، فقائد مصر القادم ينبغى أن يقود السفينة بعد تحديد صلاحياته ليعرف ماله وما عليه، وينبغى أن يدرك أن المتربصين به من كل جانب وهم يحملون قنابل موقوتة وليست أحداث بورسعيد أومحمد محمود أو ماسبيرو إلا قنابل صغيرة فجرت وسط أحداث معينة لتكون نذيرًا من أولئك المتربصين أن يحكم مصر شخص اختاره الشعب وليس لهم وصاية عليه، والحقيقة التى قلتها فى جمع من الأصدقاء أنه إذا كان حسنى مبارك ومن حوله نجحوا فى شىء فلم ينجحوا إلا فى تجريف التربة المصرية من عناصر قيادية تستطيع أن تمسك بزمام الأمور ولها «كاريزما» الزعامة تحشد وتطور الأداء عندما تتأسس الدولة وتسلك طريق التنمية والإبداع السياسى بمعنى إيجاد حالة الالتفاف الوطنى بعد وضع معايير ومواصفات الرئيس القادر على مجابهة تحديات التأسيس الذى يستطيع أن ينفذ المشروع الوطنى الكبير.

وأخطأ الإخوان

وقد أعجبنى رأى للكاتب الكبير الأستاذ فهمى هويدى فى جريدة «الشروق» تحت عنوان، «وأخطأ الإخوان» إن موقف الإخوان ومعهم السلفيون من لجنة كتابة الدستور أسهم فى تعميق الشرخ فى مصر، فى حين كان بوسعهم بقدر من التواضع والحرص على وحدة الجماعة الوطنية أن يجنبوا مصر التوتر الذى شهدته، ولو أنهم فعلوا ذلك لكنا قد انتهينا من مسألة تشكيل اللجنة ولكانت عملية كتابة الدستور قد بدأت بالفعل، علمًا بأن تضييع الوقت فى الجدل حول التشكيل يمكن أن يؤثر على انتخابات رئيس الجمهورية وتسليم السلطة للمدنيين فى ٣٠ يونية المقبل».

نادر بكار: هناك من يتربص بالتيار الإسلامى ويتصيد لهم.

هل يعجب ذلك التيارات الإسلامية فما المكاسب التى أتت للوطن من أصحاب الأيدى المتوضئة الذين كنا نعلق عليهم الآمال الطوال فى وطن تحفه الطهارة والصدق والأمانة أرجوهم أن يراجعوا أنفسهم فيما أخطأوا فيه ويعلموا أن المتربصين بهم ينتظرون لهم الهفوة حتى تكبر ويصنعون منها الضجيج دون النظر للمصلحة العليا للوطن.

السلفيون والبرلمان

إحدى مشكلات مجلس الشعب الحالى فى مصر أن أعضاءه يمثلون الشارع ولا يمثلون الحكومة أو الحزب الحاكم وهذا هو السبب فى امتلاء جدول أعماله بمشكلات الناس صغيرها وكبيرها فأعضاء المجلس يتنافسون فى استدعاء ماكان محبوسًا من مشاعر أو ما كان مسكوتًا عنه من ملفات ومشكلات.

والذى أريد أن أقوله كما يقول نادر بكار المتحدث باسم الجماعة السلفية للإخوة السلفيين: أن هناك من هو متربص بهم ويتصيد لهم، تشهد بذلك الضجة المبالغ فيها التى أحدثتها بعض التصرفات مثل تصرف رفع الأذان أخذه المتصيدون لهم وهو ما أضر بهم وخوف الناس منهم وسحب الكثير من رصيدهم فهلا دققنا ضد أولئك المتآمرين ضد الوطن» ونحن الذين صنعنا المؤامرة بأيدينا وسوء تصرفنا ناهيك عمن أعطيناهم الفرصة من الذين يريدون كل فشل لكل ما هو إسلام.

وها نحن ننادى الأمة جميعها لتقف يدًا واحدة مع كل مسلم غيور على دينه ونناشد مرشحى الإسلام السياسى أن تجتمعوا يدًا واحدة على أحدهم تختارونه فيكون ممثلاً لكل المسلمين.

ويفرق الأستاذ فهمى هويدى بين موقف الحركة فى مصر وحركة النهضة فى تونس فيقول: «الفرق بين موقف حركة النهضة فى تونس وبين الإخوان فى مصر أن الأولين اهتموا بوحدة الشعب فى حين أن الآخرين اهتموا على الأقل فى المشهد الراهن بحضور الجماعة وحظوظها. وهذا خطأ سياسى يجب الاعتراف به، ومن الشجاعة أن يراجع ويصوب ومن الحكمة أن يتحول إلى درس يستفاد منه فى منهج تعامل الجماعة مع القضايا الأساسية ومع القوى الوطنية الأخرى»

والحقيقة أننى أنقل هذه الكلمات بعد صدور حكم محكمة القضاء الإدارى بإلغاء عمل الجمعية التأسيسية وإعادة تشكيلها من جديد وهذا يجرنا إلى التساؤل ولماذا كل هذا من البداية وقد كنا أحوج ما نكون ونحن مقدمون على انتخابات رئيس الجمهورية إلى إخراج دستور يعرف الرئيس القادم ماله وما عليه ونحن أحوج ما نكون إلى وحدة الصف لا التشرذم والتبعثر إلى إخوان وسلفيين وليبراليين وكأنى أسمع كبار الفلول يقولون «اللهم دمها فوضى واحفظها من النظام»

وكان أجدر بأهل الأغلبية فى البرلمان ألا يتفرقوا على النحو الحاصل مما يؤدى إلى تعميق الشرخ فى الوطن بما استصحبه ذلك من إشاعة عدم الثقة بين القوى الوطنية وإلهاء الناس عن همومهم الحياتية ولا تسأل عن المليارات التى ضاعت فى البورصة.

حد الحرابة .. حكم ربانى لأمان المجتمع وردع الفاسدين

مجموعة من البلطجية يتصارعون من أجل فرض سيطرتهم على إحدى المناطق التجارية

تحقيق: محمد كامل شاهين

■■ أحزننا جميعًا كمصريين أن يصل بنا الحال فى مصرنا المحروسة إلى ما آلت إليه من ضعف جهاز الأمن فى الشارع المصرى، والذى كان يعد واحدًا من أفضل الأجهزة الأمنية على مستوى العالم حيث أصابه الكثير من الضعف، حقيقة إن وزارة الداخلية تقوم بمجهودات جبارة لاستعادة الأمن واستتبابه بعد سلسلة من الضربات الأمنية الناجحة، والتى جعلت عتاة المجرمين يتساقطون كما تتساقط أوراق الشجر، وهم غير مصدقين ومتناسين أن الأمن، وإن تعرض لانتكاسة فلا بد من أن يتعافى، ويسترد هيبته ومكانته ويعود كما كان، مما أربك حساباتهم فكانوا يظنون أن الأمور سوف تستمر مدة أطول يستطيعون من خلالها أن يحققوا المزيد والمزيد من طموحاتهم المحرمة، ويغوصون فى مستنقعات من الوحل لا قرار لها غير مبالين بآهات الثكالى، ودموع الحيارى الذين فقدوا عزيزًا لديهم بالاعتداء عليه وقتله والاستيلاء على ماله، أو قطع للطريق وتعطيل ملايين المصريين من الذهاب إلى أعمالهم، وإثارة الرعب فى قلوب الناس عن طريق حوادث الخطف لأولادهم مقابل فدية تقل أو تكثر حسب مكانة المختطف وثراء أهله، وأصابنا الخوف وازداد القلق جراء ما يحدث فى بر مصر بعدما توحش هؤلاء المجرمون وسال لعابهم من أجل المال، وأصبحوا مدججين بالسلاح الذى أتى إليهم من كل حدب وصوب.

وأصبحنا نضع أيدينا على قلوبنا إذا جن الليل وأسدل ستائره خاصة إذا كان عزيز لدينا على سفر وتأخر قليلاً ينتابنا الخوف، وتساورنا الشكوك إلى أن يعود بسلامة الله، غير أن ما يحدث من ضعف للأمن سرعان ما يزول وينقشع كسحابة صيف - بإذن الله - مع استقرار مؤسسات الدولة والقيام بمهامها الملقاة على عاتقها فيشعر المواطن بالأمن والأمان.

وإلى أن تعود الأوضاع فى مصر إلى سابق عهدها، تقدم أحد نواب مجلس الشعب بمشروع قانون لتطبيق «حد الحرابة» فى جرائم السرقة والبلطجة وقد أثار ذلك الكثير من الجدل تحت قبة البرلمان، وفى الشارع المصرى فكان لا بد من إلقاء الضوء على هذا الموضوع المهم.. فكان هذا التحقيق ■■.

ارتفاع معدلات الجريمة

دفع ارتفاع معدلات الجريمة فى الشارع المصرى النائب السلفى السيد/ عادل عزازى - عضو مجلس الشعب - إلى التقدم بمشروع قانون لتطبيق «حد الحرابة» على البلطجية، والذى ناقشته لجنة «الاقتراحات والشكاوى» بمجلس الشعب، وأثار الكثير من الجدل تحت قبة البرلمان وفى الشارع المصرى، والمؤسسات الدينية على السواء، وما بين مؤيد ومعارض على المشروع لم يحسم قرار لجنة «الاقتراحات والشكاوى» ومن المتوقع أن يتم إحالته للجنة الشئون الدستورية والتشريعية لإعداد تقرير حوله تمهيدًا لمناقشته فى جلسة عامة لمجلس الشعب لإقراره.

مشروع القانون

ويحدد مشروع القانون العقوبة التى يمكن إنزالها بحق الجناة على النحو التالى إذا كانت الجريمة هى القتل وجب الإعدام قتلاً، وإذا كانت الجريمة الاستيلاء على المال أو الممتلكات قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا صاحب الجريمة قتل واستيلاء على المال قُتلوا وصلبوا حسب ما يراه القاضى ويقدره، وإذا كان مجرد إلقاء الرعب على الآمنين دون الجناية على نفس أو مال حبسوا حتى تظهر توبتهم.

كما ينص على أن من تاب من هؤلاء الجناة وسلم نفسه للعدالة يسقط فى حقه «حد الحرابة» ولكن تبقى حقوق المجنى عليهم.

حد الحرابة

يرى الشيخ عادل العزازى - عضو مجلس الشعب - أن حد الحرابة هو شرع الله وحكمه لا خيار لنا فى تطبيقه على جرائم المجاهرة بأخذ المال أو القتل، أو أى جناية

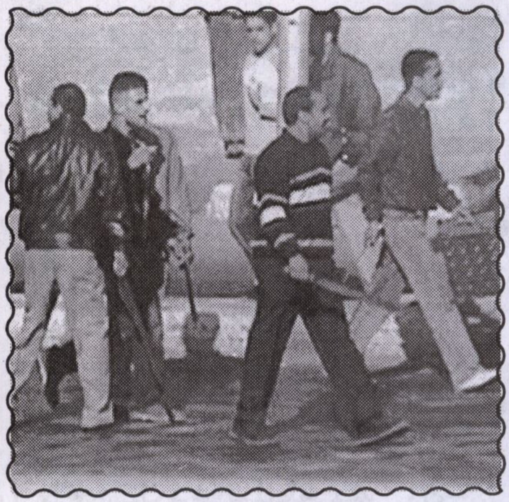

معتمدة على القوة بإشهار السلاح، أو نزع الممتلكات وتتنوع العقوبات فى مشروع القانون بين الإعدام إذا كانت الجريمة هى القتل، وقطع الأيدى والأرجل من خلاف إذا كانت الجريمة متعلقة بالاستيلاء على المال أو الممتلكات، وإذا صاحب جريمة الاستيلاء على المال القتل تكون العقوبة هى القتل والصلب.

ولأهمية الموضوع وحساسيته حرصت «منبر الإسلام» أن تأخذ آراء كبار العلماء حتى نستطيع أن نصل إلى مرفأ الأمان فتتبدد هواجسنا، وتطمئن قلوبنا، ونهتدى جميعًا إلى طريق الصواب وتتقشع الغمامة من على أعيننا فنبصر بنور الحق.

فى البداية أعرب أ. د نصر فريد واصل - مفتى الديار المصرية السابق وعضو مجمع البحوث الإسلامية - عن تأييده لمشروع القانون ووصفه بوسيلة مهمة وفعالة لردع البلطجية، والحد من ارتفاع معدلات الجريمة فى الشارع المصرى.

وأكد فى الوقت نفسه أن مشروع القانون يتفق مع تعاليم الإسلام التى ترفض الاعتداء على الآخرين بأى شكل، وبأية صورة.

■ د. نصر فريد واصل:

مصر فى أشد الحاجة إلى تطبيق حد الحرابة لردع البلطجية

الضوابط والحدود

وأضاف د. نصر فريد واصل قائلاً: «لقد وضع الإسلام الضوابط والحدود التى تضمن للناس أمنهم على أنفسهم وأموالهم، ومن أهم هذه الضوابط أن جعل للمفسدين فى الأرض سواء من يقطع طريقًا، أو يمارس أعمال البلطجة أو يعتدى على حقوق الآخرين جزاءً عظيمًا يتناسب مع جرائمهم، ويحد من خطرهم، ومن هنا جاء حد الحرابة الذى نص عليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة الآية: ٣٣).

ترويع المواطنين

وأكد د. نصر فريد واصل أن مصر فى ظل الظروف التى تعيشها الآن، والتى جعلت الناس لا يأمنون على أنفسهم وأموالهم هم فى أشد الحاجة إلى تطبيق «حد الحرابة» لردع البلطجية الذين يحاولون تخريب المنشآت، وحرق المبانى، وترويع المواطنين.

إحداث فوضى

وتضع أ. د. إلهام شاهين - أستاذ العقيدة والفلسفة - جامعة الأزهر - النقاط على الحروف شارحة «حد الحرابة» بأسلوب سلس حتى يستطيع القارئ أن يفهم الكثير من النقاط التى التبست عليه.

فتقول: «الحرابة هى خروج فرد أو طائفة مسلحة فى دار الإسلام لإحداث فوضى وسفك للدماء، وسلب للأموال، وهتك للأعراض.. إلخ متحدية الدين والأخلاق والقانون، ولا فرق بين أن يكون من المسلمين أو الذميين ما دام ذلك فى دار الإسلام، وبذلك يدخل فى مفهوم الحرابة ما نراه الآن من عصابات تقوم بالقتل أو الخطف، أو السطو على البيوت والبنوك.. إلخ».

حد الحرابة تفرضه الشريعة الإسلامية وترجوه المساومات السياسية

وتشير د. إلهام شاهين إلى أن حد الحرابة أخذ من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(سورة المائدة الآية: ٣٣).

الإقرار والشهادة

أما عن العقوبة فهى تثبت بالإقرار والشهادة بأن يقر المفسد على نفسه بأنه قتل أو أخذ مالاً، أو أى شئ من الأفعال التى توقع عليه العقوبة، أو يشهد عليه رجلان عدلان بأنه قد قطع الطريق على فلان ويأخذ بشهادتهما، واختلف الفقهاء فيما إذا شهد بأنه قطع الطريق عليهما هل يأخذ القاضى بشهادتهما؟ أم يعتبرهما ،القاضى خصمين له فلا يأخذ بشهادتهما؟ بناء على أن شهادة الخصم لا تصح وقد قيل إن الأصح بأنه لا تقبل شهادتهما لأنهما خصمان للمدعى عليه، ولا بد من قرينة تؤكد قولهما.

العقوبات المقررة

وتضيف د. إلهام شاهين قائلة: «إن العقوبات المقررة هى: من قتل يقتل، ومن قتل وأخذ المال يقتل ويُصلب، ومن أخذ المال ولم يقتل يُقطع، ومن أخاف المارة ولم يقتل أو يأخذ مالاً ينفى من الأرض، وقد فسر الأحناف النفى بالسجن.

ويرى بعض الفقهاء أن القاضى من الممكن أن يختار عقوبة من هذه العقوبات بحسب ما يراه رادعًا للمجرم على غير هذا النحو، فيجوز له مثلاً أن يقتل من انتهك عِرضًا ولم يقتل نفسًا، أو يصلب من أخذ مالاً جهارًا من صاحبه بقوة السلاح ولم يقتله فله أن يختار العقوبة بالطريقة التى يراها رادعة.

وتشير إلى أن العقوبة عمومًا لا تخرج عن عقوبات أربع هى: القتل والصلب، وقطع الأيدى والأرجل من خلاف، والنفى من الأرض.

ويسقط حد الحرابة إذا جاء المفسد إلى القاضى تائبًا من قبل أن يقدر عليه وقبلت توبته، وسقطت عنه عقوبة «الحرابة».

وبالنسبة لعقوبة القصاص فلا تسقط فإن كان أخذ مالاً ألزم برده ومن الممكن أن يُعينه الحاكم إذا كان قد أنفق بعضه.

أما إذا كان قد أنفقه كله فيرد الحاكم المال عنه، ويلزمه برده فيما بعد وقت استطاعته.

أما إذا كان قد قتل نفسًا فإنه يقتل قصاصًا، ويجوز لولى المقتول فى هذه الحالة أن يعفو عنه إذا جاء تائبًا لأنه فى هذه الحالة يغير من حياة المفسد.

صياغة قانونية

يرى أ. د. الأحمدى أبو النور - وزير الأوقاف الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية - أن هذا الموضوع يجب أن يدرس بعناية ثم يصاغ صياغة قانونية.

وطالب بأن تكون هناك لجنة تضم علماء الفقه المقارن وأساتذة الشريعة والقانون، ويخرج من هذه اللجنة مشروع قانون يحمل الضوابط والنصوص التى تحمى المجتمع من الجرائم، ويتم تعريف الرأى العام بأهمية هذا القانون وحاجة المجتمع إليه.

نظرة شاملة

د.عزة كريم

تحلل أ. د. عزة كريم - أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - تداعيات الأحداث على الساحة المصرية وما نتج عنها من آثار سلبية أثرت تأثيرًا كبيرًا على الحياة اليومية للمواطن المصرى.

فتقول: «إن جرائم الخطف والسرقة لا بد أن ننظر لها نظرة شاملة بعد الثورة حيث دخلت جرائم جديدة وخطيرة تختلف كل الاختلاف عن طبيعة الشعب المصرى، وهذا ما يدعونا إلى القول إن ما يحدث مقصود ومتعمد أيضًا بحيث يكون الهدف هو إثارة الفوضى والبلبلة، وإشعار الناس أن ما يحدث نتيجة لقيامهم بالثورة، وأنها السبب فيما أدت إليه من فوضى وبلطجة».

وتضيف أ. د. عزة كُريم أن هؤلاء المحرضين على هذه الجرائم سواء من النظام السابق أو غيره من العملاء يتفننون فى تغيير جرائمهم بحيث تؤدى إلى إثارة مزيد من الرعب لدى العامة وترويع للآمنين.

الأخلاقيات السيئة

وتشير إلى أن ظهور العديد من الأخلاقيات السيئة والعنيفة والعدوانية هى نتيجة طبيعية لحالة الإحباط والضغط المادى، والنفسى الذى عاشه المواطن ردحًا من الزمن ولا سيما فئة الشباب وهى أكثر الفئات التى بها أعداد كبيرة من البلطجية حيث شعروا بضياع مستقبلهم وانتشرت بينهم المخدرات التى أثرت عليهم بشكل كبير، فخرجوا إلى الشوارع يروعون المواطنين مستغلين ضعف جهاز الأمن الذى لم يتعاف كليًا بعد.

الإيقاع المنتظم للحياة

ونبحر مع أ. د. يسرى عبد المحسن - أستاذ الطب النفسى بكلية طب قصر العينى - جامعة القاهرة - لنتعرف من خلاله عن الأسباب والدوافع التى جعلت الجريمة فى مصر تستشرى فى الآونة الأخيرة حتى أنها أخذت أشكالاً عديدة لم تعرفها مصر من قبل.

فيقول: «إنه فى ظل الانفلات الأمنى، وإحساس الناس بعدم وجود عوامل ردع قوية تعمل على ضبط الإيقاع المنتظم للحياة فتظهر السلوكيات العشوائية والبلطجة، وينتهز البعض من أصحاب النفوس المريضة ممارسة جرائمهم من خطف وسرقة، وقتل مستغلين الظروف التى تمر بها البلاد حاليًا».

روح الثورة

وأضاف أنه لا بد من إعادة صياغة الأمن بشكل جديد يتناسب مع روح الثورة، وأن يكون هناك إعلاء لثقافة الانضباط والحفاظ على الأرواح والممتلكات، وعلى المظهر الحضارى للوطن، ولن يتم هذا إلا بالضرب بيد منْ حديد على كل من تسول له نفسه اللعب بمقدرات الدولة.

هذه هى أبرز الرؤى التى جاءت على لسان كوكبة من العلماء الذين أدلوا بدلوهم فى قضية من أهم القضايا التى طرحت على الساحة فى الآونة الأخيرة.

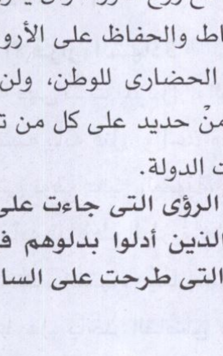
د. يسرى عبد المحسن

الضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه اللعب بمقدرات الدولة

التفسير اللغوى للقرآن الكريم (١٠)

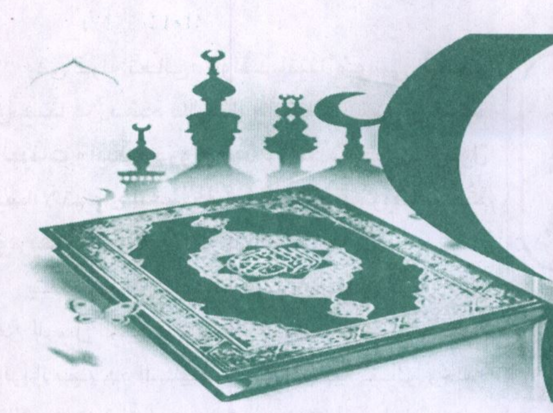

د. عبد الغفار حامد هلال

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ • وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (سورة البقرة: الآيتان ٨٦ : ٨٧).

أوضح الحق سبحانه فى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

قبح ما فعل اليهود بنقضهم العهود التى أُخذت عليهم ميلاً إلى مآربهم الدنيوية، وجعل ذلك فى صورة البيع والشراء، فهم فضلوا مآربهم الدنيوية على تنفيذ ما أُمِرُوا به من عهود التوراة مما يعود عليهم بالثواب فى الآخرة، وعبّر عن تفضيلهم الدنيا بالمشترى ﴿اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وعبّر عن تركهم جانب الآخرة بالثمن الذى يدفع فى نظير المشترى المرغوب فيه ﴿بِالآخِرَةِ﴾ وهو إبراز المعنوى فى صورة المحسوس لتتضح الخسارة التى لحقت بهم من ضياع الثواب، ونزول العذاب جزاء كفرهم ببعض مبادئ التوراة بقتلهم أنفسهم وإخراجهم فريقًا من ديارهم فحل عليهم الخزى فى الدنيا، وينتظرهم العذاب الشديد فى الآخرة، فقتلوا وأسروا وضربت عليهم الذلة، ولن يخفف عنهم شىء من هذا الذى حل بهم فى الدنيا، ولا ما ينتظرهم فى الآخرة فلا شفيع ولا نصير لهم.

وتعرب (أولئك) مبتدأ و (الذين) بدلاً منه، وجملة (اشتروا) صلة الموصول، وخبر المبتدأ (فلا يخفف عنهم العذاب) ودخلت الفاء فى جملة الخبر مراعاة لاسم الموصول.

ويجوز أن يعرب (أولئك) مبتدأ، و (الذين) مبتدأ ثانيًا، وجملة (فلا يخفف عنهم العذاب) خبر الثانى، والمبتدأ الثانى وخبره خبر المبتدأ الأول.

وجملة (ولا هم ينصرون) معطوفة على ما قبلها عطفًا للجملة الاسمية على الجملة الفعلية، وجوز بعضهم جعل الضمير (هم) لفعل محذوف يفسره ما بعده (ينصرون) فيكون من عطف الجملة الفعلية على الجملة الفعلية.

والضمير (هم) ليس ضمير فصل فلا يفيد الحصر، وإنما قدم لرعاية الفاصلة والتأكيد بتكرير الإسناد، والدليل على أن تقديم (هم) ليس للحصر إنه لم يقل فى الجملة السابقة (فلا يخفف عنهم العذاب) فالمقام - إذًا - مقام التقوية فى الإخبار.

وفى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

يتحدث الحق سبحانه عن موقف اليهود من كثير من الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إليهم ليوجهوهم إلى العقيدة السليمة بعبادة الله تعالى وحده والاستجابة لأوامره ونواهيه، بيد أنهم لطبيعتهم المجبولة على العناد وارتكاب الجرائم والتى لم تتغير فى الخلف منهم عن السلف - كفروا بالرسل واحداً بعد الآخر، وارتكبوا أقبح الفعال معهم فكذبوهم وتمادوا فى إهانتهم فقتلوا فريقًا منهم.

وهذه الآية تتضمن عدة أمور:

الأول: بُعث موسى عليه السلام بالتوراة وتتابع الرسل من بعده رسولا فى إثر رسول.

الثانى: إرسال عيسى عليه السلام إليهم وإيتاؤه البيانات وتأييده بروح القدس.

الثالث: عدم استجابة اليهود لهؤلاء الرسل وارتكاب أبشع الجرائم معهم بالتكذيب تارة والتقتيل تارة أخرى.

فبالنسبة **للأمر الأول:** قال الله تعالى عن بعث موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: الإيتاء: الإعطاء، وأتيته: أعطيته كما فى قوله سبحانه: ﴿لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ والكتاب: التوراة.

فالمعنى: أعطينا موسى عليه السلام التوراة، أى أوحينا بها إليه.

وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك فى آية سالفة هى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة الآية ٥٣) فدعاهم إلى الإيمان بالله تعالى وبين لهم الحلال والحرام والوعد والوعيد وغير ذلك من المبادئ

جاء التعبير القرآنى بالفعل المضارع تقتلون عند حكاية الحال الماضية لتصوير ما وقع فى الماضى وكأنه وقع وقت التكلم

الإلهية كما قال تعالى فى آية أخرى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام الآية ١٥٤)، وأراد بهذا هدايتهم فلم يهتدوا من ضلالهم فحرفوها وبدلوها وخالفوا أوامرها.

وأما توالى الرسل فقد قال عنه سبحانه:

﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: القفا: مؤخر العنق، ويقال له القافية، ومنه قول رسول الله ﷺ فى تثبيط الشيطان للإنسان عن صلاة الفجر: **«يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نائم ثلاث عقد يضرب على كل عقدة بيده عليك ليل طويل فارقد»**.

وقد اشتق من القفا، قفوته: إذا تبعت قفاه وقفينا مأخوذ من هذا أيضًا فمعناه: أتبعناه الرسل رسولا فى إثر رسول.

وقَفَّى يتعدى لمفعولين أحدهما بنفسه والآخر بالباء الداخلة على التابع تقول: قَفَّيتُ محمداً بعلىّ أى أتبعت الأول بالثانى، وعلى هذا كان مقتضى سياق التعبير أن يقول: (وقفيناه بالرسل) لكن النص القرآنى أقيم فيه الظرف - هو (من بعده) - مقام المفعول الأول لتضمن (قَفَّينا) معنى (جئنا)، فالمعنى: وجئنا من بعده بالرسل.

وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ (سورة المؤمنون الآية ٤٤). وهؤلاء الرسل كثير منهم داود وسليمان وإلياس واليسع ويونس وزكريا وغيرهم.

وكل رسول جاء من بعد موسى بين لهم ما بين موسى من الإيمان بالله تعالى وطاعته والعمل

بأوامره واجتناب نواهيه إذ دعوة الرسل واحدة **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾** (سورة الشورى الآية ١٣).

وقد صدرت الجملة (ولقد آتينا موسى.. الآية) بالقسم لإظهار كمال الاعتناء بإرسال الرسل إلى اليهود وتتابعهم وما فعلوه بهم من سوء وإبراز ذلك فى صورة مؤكدة غاية التأكيد.

والأمر الثانى: إرسال عيسى ابن مريم عليه السلام عبر عنه بقوله سبحانه: **﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾**: خص عيسى عليه السلام بالذكر من بين الرسل الذين أرسلوا إلى بنى إسرائيل لأن شريعته قد نسخت كثيرًا من أحكام التوراة بنزول كتابه الإنجيل قبل تحريفه ولدحض فرى اليهود وقبح ما فعلوه بعيسى عليه السلام وبيان حقيقة أمره، وقد أعطى عيسى (البينات) وهى المعجزات والحجج والدلالات التى أعطاها الله تعالى لعيسى عليه السلام كتكليم الناس وهو فى المهد وتصوير الطير والنفخ فيها وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى كما قال تعالى: **﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾** (سورة آل عمران الآية ٤٦) ثم قال: **﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ • وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** (سورة آل عمران الآيتان ٤٨، ٤٩).

وقال عز حكمه فى سورة المائدة: **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾** (سورة المائدة الآية ١١٠).

هذه هى البينات التى أعطاها الله تعالى لعيسى عليه السلام تأييدًا لرسالته حتى يؤمن به من أرسل إليهم من اليهود ومع ذلك لم يجد منهم آذانًا مصغية أو عيونًا مبصرة أو قلوبًا متدبرة.

وقد عبّر عن تأييد المولى سبحانه لعيسى بروح القدس بقوله عز حكمه: **﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾**: فى كُتب اللغة: آد الرجل يئيد - مثل - باع يبيع - اشتد وقوى، والأيد والآد - بالمد - القوة، وتقول أيده تأييدًا: قواه وشد من أزره وتأيد الشىء: تقوى، ورجل آيد - بوزن جيد - قوى.

فمعنى أيدناه: قويناه.

وروح القدس: جبريل، وقال حسان:

وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس به خفاء

والقدس هو الطهارة وروح القدس جبريل وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، أى: الروح المقدسة، وهى المطهرة.

والدليل على أن روح القدس هو جبريل ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ وضع لحسان بن ثابت منبرًا فى المسجد فكان ينافح عن رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: **«اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك»**، وفى بعض الروايات أن رسول الله ﷺ قال لحسان: **«اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك»**.

فإذا سأل سائل: لم سُمِّىَ جبريل روحًا؟ ولم وصف بالقدس؟

فنقول وبالله التوفيق: سُمِّىَ روحًا لما كان يقوم به من الإتيـان بالوحى عن ربه وإيصـاله إلى الرسل فكان يحمل إليهم ما تحيا به القلوب والأرواح من المبادئ الإلهيـة التى تُصلح شئـون الناس وتقـوم حياتهم كما أن الروح تحيا بها الأبدان والأجساد.

ووصف جـبريل بالقـدس - ومـعناه: الطهـر - لطهـارتـه عن مـخـالفـة الله تعـالى فى شىء، فالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وقد أيد الله عيسى عليه السلام بروح القدس - جبريل - كما أيد غيره من الأنبياء - ومنهم نبينا محمد ﷺ فكان يلهمـه المعارف والعلوم ومـا يتعلق برسالته ويسـيـر مـعـه حيث سـار ويعـينه على الحـوادث والشدائد التى تمر به ويبصره بما أراده به أعداؤه من اليهود ويرشده إلى الصواب فى أموره بما يبلغه له عن ربه وما يهديه إلى الصراط المستقيم.

والأمـر الثـالث: وهو مـوقف اليـهـود من الرسل الذين بعـثهم الله إليـهـم عبّر عنـه بقـول المولى جل شـأنه: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

قوله تعالى ﴿أَفَكُلَّمَا .. الآية﴾ معطوف على كلام مقدر، أى: أرسـلنا الرسـل إليكم فلم تستجيبوا ولم تستقيموا فاستكبرتم كلما جاءكم رسول.. إلخ).

وهذا المحذوف كناية عن التكذيب والقتل وغير ذلك من قبائحهم وعنادهم.

وقولـه تعـالى: ﴿بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ أى بما لا يوافقها ولا يلائمها.

وتهـوى - مـضـارع: هوى - بكسر الواو - إذا مـال وأحب، وأصل الهوى الميل إلى الشىء ويجمع على (أهواء) كما جاء فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (سـورة مـحـمد الآية١٤) وسـمى الهوى هوى لأنه يهـوى بصاحبـه إلى النار، ولذلك لا يستعمل فى الغالب إلا فيما ليس بحق وفيما لا خير فيه.

واسـتعـمـال (تهـوى) فى الآيـة التى معـنـا من هـذا القـبيـل فمـا تهوى أنفسهم إلا الشر والفسـاد والضـلال.

وقد يسـتعمل الهوى فى الحق، ومنه قول عمر رضي الله عنه فى أسرى بدر: «فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت» أى فضل قبول الفدية على قتلهم، وقالت عائشة - رضى الله عنها - للنبى ﷺ فى صحيح الحديث: **«والله ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك»** أخرجه مسلم.

واستكبرتم: معناه أبيتم وامتنعتم عن إجابة كل رسـول إلى ما دعـاكم إليـه من الحق احتقـارًا منكم للرسل واستبعادًا للرسالة، وهذا هو محل الاستفهام وهو الموبخ عليه.

وقد نشأ عن استكبارهم مـبادرتهم لفريق من الرسل بالتكذيب ومبادرتهم لفريق آخر بالقتل.

ولسائل أن يسأل: لم قدم التكذيب على القتل فى قولـه تعـالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾؟.

فالجواب: أنه قدم لأنه أول ما يفعلونه من الشر وهو واقع منهم فى الحالتين معًا سواء كذبوا فقط أم كذبوا وقتلوا فإنهم قد كذبوا المقتولين من الرسل أيضًا، واكتفى بذكر القتل دون التكذيب - مع الفريق الثانى - لأن القتل أشد فظاعة من التكذيب فضلاً عن فهمه من السياق.

وكـان ممن كـذبوه من الرسل عـيـسى ومـحـمـد عليهما الصلاة والسلام وممن قتلوه يحيى وزكريا عليهما السلام.

ولسـائل أن يسـأل - أيضًـا - لم جاء (تقـتلون) - بالفعل المضـارع - وكـان الأصل أن يجىء مـاضـيًـا؟ فيقول: (وفريقًا قتلتم) على سياق ما قبله؟.

فالجواب: أن التعبير جاء بالفعل المضارع لحكاية الحال الماضيـة ليصور الواقع فى الماضى كأنه واقع وقت التكلم.

خطورة الشائعات .. ومنهج الإسلام فى مواجهتها

د. محمد عثمان الخشت

إن المرء عندما يقرأ النصوص الإسلامية من قرآن وسنة صحيحة، يمكنه أن يستنبط موقف الإسلام من الشائعات، وليس هذا الموقف موقفًا أخلاقيًا مثاليًا فحسب، وإنما كذلك موقف عملى واقعى؛ حيث إن الإسلام قد وضع لمواجهة هذه الظاهرة سياجين: السياج الأول: ويتمثل فى اتخاذ سلسلة من الإجراءات والتشريعات التى تعمل على «عدم خلق بيئة للشائعات»، والسياج الثانى: يتمثل بدوره فى اتخاذ مجموعة من الإجراءات التى يمكنها خنق الشائعات فى بداية ظهورها إذا ما استطاعت الإفلات من السياج الأول، فالسياج الثانى مدعم للأول ومؤازر له.

أولاً: السياج الإسلامى الأول ضد الشائعات: الإجراءات التى تساعد على عدم خلق بيئة للشائعات:

«أ» عدم الحديث إلا بعد علم وتيقن:

من المعلوم أن معظم الشائعات ليست قائمة إلا على ظن وتخمين، وليست لها مصادر مؤكدة، ولا تمتلك براهين ودلائل على صدقها، ومن هنا فإن الإسلام يحث الإنسان على عدم الحديث فى شىء أو تداول الروايات عنه إلا بعد علم وتيقن... أى إلا بعد الوقوف على الدلائل والبراهين المدعمة للصدق، يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (سورة الإسراء الآية: ٣٦).

أى لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك، بل تثبت من كل خبر.

وقال الفخر الرازى: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ أى: ولا تتبع ولا تقتف ما لا علم لك به من قول أو فعل، وحاصله يرجع إلى النهى عن الحكم بما لا يكون معلومًا.

ولقد اختلف المفسرون فى تحديد المقصود من هذه الآية، والواقع أن كلاً منهم ركز على جانب وأهمل باقى الجوانب، ونص على دلالة واحدة دون باقى الدلالات، والصواب أن الآية تشير إلى كل الدلالات التى أشار كل فريق إلى بعض منها دون الآخر، فالآية تطرح قضية كلية يندرج تحتها أنواع كثيرة.

فذهب فريق إلى أن المراد نهى المشركين عن المذاهب التى كانوا يعتقدونها فى الإلهيات والنبوات بسبب تقليد أسلافهم، لأنه تعالى نسبهم فى تلك العقائد إلى اتباع الظن والهوى.

وثمة فريق آخر يطرح تفسيرًا ثانيًا؛ فقد نقل عن محمد بن الحنفية أن المراد منه شهادة الزور، وقال ابن عباس: «لا تشهد إلا بما رأته عيناك وسمعته أذناك ووعاه قلبك».

وفى تفسير ثالث: أن المراد من الآية هو النهى عن القذف ورمى المحصنين والمحصنات بالأكاذيب، وكانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها فى الهجاء ويبالغون فيه.

أما التفسير الرابع: فهو أن المراد النهى عن الكذب، قال قتادة: «لا تقل سمعت ولم تسمع، ورأيت ولم تر، وعلمت ولم تعلم؛ فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله».

والتفسير الخامس: أن «القفو» هو البهت، وأصله من «القفا»، كأنه قول يقال خلفه، وهو فى معنى الغيبة، وهو ذكر الإنسان فى غيبته بما يسوؤه.

وفى الحقيقة أن كل تفسير من هذه التفسيرات، يشير إلى دلالة ومعنى للآية لا ينفى الدلالات والمعانى الأخرى، ولذا فمن الأرجح أن اللفظ فى الآية عام وشامل يتناول الكل؛ حيث إن القضية فى الآية قضية كلية يندرج تحتها كل تلك الدلالات والمعانى، قال الفخر: «اعلم أن اللفظ عام يتناول الكل فلا معنى للتقليد».

بل يمكن أن نضيف إلى تلك المعانى التى أشار إليها المفسرون معنى آخر غير مذكور عندهم، وهو تحريم صنع وتناقل الشائعات؛ لأن فى ذلك وقوفًا عند ما ليس للإنسان به علم، وذلك ما أشرنا إليه فى مطلع الموضوع؛ فالشائعات تفتقد إلى العلم اليقينى، ولا تتوافر فيها براهين صدقها؛ ومن ثم فإن النهى القرآنى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ هو نهى عن صنع الشائعات وتداولها، طبعًا بالإضافة إلى كونه نهيًا عن ما أشار إليه المفسرون السابقون بشرط عدم الوقوف عند معنى واحد دون سائر المعانى.

تعد القدرة على الصمت ضرورة قصوى أثناء الحروب التى تكثر فيها الشائعات وتشيع الفتن

«ب» تحريم إشاعة الأخبار المختلفة:

أغلب الشائعات محض اختلاق، والكثير منها يدور حول الأعراض وحول الجنس، ولقد وقف الإسلام من هذا الأمر موقفًا حازمًا؛ فقال الرسول ﷺ: **«من ذكر امرأ بشىء ليس فيه ليعيبه به، حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاذ ما قال فيه»** رواه الطبرانى.

وإذا كانت الشائعات المختلقة تنطوى على إيذاء للإنسان، فى عِرضه أو شرفه أو ذِمَّته، فإن صنعها أو نقلها يوقع المختلق فى إثم شديد ويجعله من طائفة المزورين، يقول القرآن الكريم: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾** (سورة الأحزاب الآية: ٥٨).

والشائعات الجنسية هى أسوأ أنواع الشائعات فى نظر الإسلام، لا سيما الشائعات التى تدور حول النساء؛ فهى من كبائر الذنوب، ويترتب عليها عقاب شديد فى الدنيا والآخرة، يقول القرآن الكريم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ● يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا**

يَعْمَلُونَ • يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (سورة النور الآيات: ٢٣ : ٢٥).

«جـ» ضرورة الصمت:

إن الإيمان مسئولية كبرى فى الإسلام، وهو ليس مجرد كلمات يتم النطق بها، وإنما هو عمل جاد والتزام بالأخلاقيات الرفيعة.

وناقلو الشائعات يدور حديثهم حول باطل، وقد اعتبر الإسلام فى هذا إخلالاً واضحًا بالتزام من مستلزمات الإيمان... يقول الرسول ﷺ: **«من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت»**، وفى رواية **«أو ليسكت»** رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة.

وقال: **«من صمت نجا»** رواه الطبرانى بسند جيد.

وإذا كان مناط تداول الشائعات فى الأساس هو اللسان؛ فقد جعله الرسول ﷺ طريقًا إلى النار إذا لم يستخدم فى الحق، فقد قال معاذ بن جبل: «يا رسول الله، أنؤاخذ بما نقول؟». فقال الرسول ﷺ: **«ثكلتك أمك! وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»**، رواه الترمذى وصححه، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

إن القدرة على الصمت ضرورة لازمة على كل المستويات، وهى من الضرورة القصوى بمكان فى أوقات الحروب التى تشيع فيها الشائعات، والإسلام حث على الصمت بوجه عام إلا فى الخير والنافع والمفيد، والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة ومتعددة؛ غير أن ما سبق إيراده أعلاه ربما يكون كافيًا فى الدلالة على ما نريد الوصول إليه.

«د» تحريم الكذب:

كل محتويات الشائعة، أو معظمها على الأقل، افتراء واختلاق.... والافتراء والاختلاق كذب واضح، ولذا فإن تحريم الكذب فى الإسلام بدهى ومنطقى لقفل الباب أمام صنع الشائعات.

«هـ» الستر وضوابطه فى إعاقة الشائعات:

إن الإسلام إذ يحث على سلوك منهج الستر على الآخرين، فإنما يسير فى طريق معاكس تمامًا لطريق الشائعات؛ فالشائعات فضائح، ونشر الفضائح مسلك يرفضه الإسلام، قال الرسول ﷺ: **«... ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»** رواه مسلم.

والإنسان الذى يعمل على إعاقة شائعة ووأدها ينطبق عليه هذا الحديث، وليس معنى الستر هو التستر على المجرمين والمخادعين والظلمة؛ فهؤلاء يجب كشفهم وإظهار سوء أفعالهم.

«و» تحريم الغيبة كأساس لتحريم الشائعات:

تنطوى الشائعة - ولا شك - على الغيبة التى هى عبارة عن ذكر الآخرين بما يكرهون وهم غائبون... فناقل الشائعة غالبًا يذكرها من ورائهم بشكل يسىء إليهم.

ولذلك فقد حرم الإسلام الغيبة، ومن ثم حاول أن يحاصر إحدى جبهات الشائعة.

يقول القرآن الكريم: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾** (سورة الحجرات الآية: ١٢).

والمعنى: لا يذكر بعضكم بعضًا بالسوء بما يكرهه، ومن ألوان السوء: الشائعات، وقد وضعت الآية الكريمة تمثيلاً للشائعات التى تقارن الغيبة وقبحها بما لا مزيد عليه من التقبيح، أى: هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه وهو ميت؟ طبعًا تكرهون هذا، وكما تكرهونه فاكرهوا الغيبة، فهذا مثل ذلك!

وحتى لو كانت الشائعة تنطوى على حقيقة ما، ينبغى عدم ذكرها؛ لأن حكم الغيبة لا يزال قائمًا؛

أما لو كانت الشائعة كلها كذب؛ فهى حرام بالأولى؛ وتوقع فيما أسماه الرسول ﷺ بـ «البهتان».

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟

قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**».

قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟

قال: «**فإن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»، يعنى قلت فيه البهتان وهو الكذب العظيم. والحديث رواه مسلم، والنسائى، والترمذى، وأبو داود.

ثانيًا: السياج الإسلامى الثانى ضد الشائعات: الإجراءات التى تعمل على خنق الشائعات فى بدايتها:

ماذا لو لم يجد السياج الأول مع بعض النفوس المريضة، واستطاعت شائعة ما أن تخرج إلى المجتمع؟

إذا لم يجد السياج الأول، فثمة سياج ثان سيقابلها ويعمل على خنقها وإجهاضها؛ وذلك عن طريق مجموعة من التشريعات والإجراءات:

«أ» الوعى النقدى إزاء الأخبار:

إن الإسلام يعمل على بث الوعى النقدى عند الإنسان؛ حتى لا يكون ذهنه عرضة لتصديق أى شىء يسمعه، ومن هنا فقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (سورة الحجرات الآية: ٦).

إن هذه الآية الكريمة تقدم للمسلم شروط الوعى النقدى إزاء الأخبار.

وأولها: ضرورة أن يكون ناقل الخبر غير فاسق، أى: يجب أن يكون موثوقًا بصدقه وعدالته وقدرته على النقل الدقيق للأخبار، ومن ثم يجب عدم قبول رواية الفاسق.

وثانيها: حتمية التحرى والتبين والتثبت من مدى صحة الخبر.

وثالثها: عدم الحكم بدون علم يقينى عليه دليل وبرهان، ويصل البرهان فى بعض الحالات - وهى الحالات الخاصة بالعِرض والشرف - إلى ضرورة وجوب توفر أربعة شهداء ثقات على صحة الخبر، ويشترط فى ذلك الرؤية العيانية للحدث، فضلاً عن اتصاف الشاهد بالصلاح والصدق وعدم النسيان والدقة فى الرواية.

«ب» نشر جو حسن الظن بالآخرين:

إن ناقل الشائعة شخص يسىء الظن بالآخرين، كما سبق أن أوضحناه بالتفصيل فى فصل سابق، أما الشخص الذى يتمتع بنفسية تجعله يحسن الظن بالآخرين فهو أقل قابلية لتصديق الشائعات.

ومن هنا فقد حث الإسلام على إحسان الظن بالمجتمع وأفراده، واعتبر «حسن الظن» إحدى جبهات الدفاع ضد الشائعات؛ فقال القرآن الكريم: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾ (سورة النور الآية: ١٢).

فمقتضى الإيمان ألا يصدق مؤمن على مؤمن شائعة يعمل شخص ما على نشرها؛ لأن حسن الظن حائل من الحوائل ضد سرعة التصديق.

«جـ» عقوبة شائعة قذف الأعراض

وضع الإسلام عقوبة شديدة للشائعات الخاصة بالأعراض؛ لأنها من أكثر ألوان الشائعات شيوعًا فى أى مجتمع من المجتمعات.

والشائعة التى تتضمن قذفًا لعِرض رجل أو امرأة، ولم يأت مصدرها أو ناقلوها بأربعة شهداء

على ما يقول؛ فعقوبته الجلد ثمانين جلدة، ويصبح غير مقبول الشهادة أبدًا، ويدخل فى زمرة الفاسقين، يقول القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة النور الآية: ٤).

ويستوى الحكم فيما إذا كان القاذف رجلاً أو امرأة، وكذا إن كان المقذوف رجلاً أو امرأة، وقد أشارت الآية إلى أهم شرط من هذه الشروط، وهو أن يكون المقذوف محصنًا، عفيفًا، ذكرًا كان أم أنثى، ومعنى إحصانه هنا: أن لا يكون قد ارتكب جريمة الزنا قبل قذفه، فإن ثبت عليه ذلك فإنه لا يكون محصنًا ولا عقوبة على القاذف.

وإنما خص القرآن المقذوف من النساء ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ لأن الرمى بالزنا يقع أكثر بالنسبة إلى النساء؛ ولأن ضرر القذف بالزنا يتعدى المرأة إلى أسرتها؛ فقذفها يصيبهم منه عار أكبر بخلاف الرجل، وكذلك خص القاذف من الرجال بالذكر حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ لأن النساء يغلب عليهن الحياء عادة، أو هكذا ينبغى أن يكن، فلا يقذفن الرجل بالزنا.

وينبغى الإشارة إلى إن ظاهر الآية لا يدل على الشىء الذى رموا به المحصنات، وذكر الرمى لا يدل على الزنا، إذ قد يرميها بسرقة وشرب خمر وكفر، بل لا بد من قرينة دالة على التعيين.

وقد أجمع العلماء على أن المراد بالرمى: الزنا؛ وفى الآية قرائن تدل على ذلك:

أولها: أنه تقدم الآية ذكر الزنا، أى: أن السياق الذى وردت فيه هو سياق الحديث عن هذا الأمر.

ثانيتها: ذكرت الآية المحصنات، وهن العفائف، فدل ذلك على أن المراد بالرمى رميهن بضد العفاف.

ثالثتها: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ يعنى على صحة ما رموهن به، ومعلوم أن هذا العدد من الشهود غير مشروط إلا فى الزنا.

رابعتها: انعقاد الإجماع على أنه لا يجب الجلد بالرمى بغير الزنا، فوجب أن يكون المراد هو الرمى بالزنا.

هذا، وقد بينت السُّنة أنه لا فرق بين الرجال والنساء فى القذف، كما بينت الشروط اللازمة لإقامة حد القذف من عقل وحرية إلى آخر ما هو مبين فى كتب الفقه والتفسير.

على هذا النحو عاقب الإسلام مروجى الشائعات التى تتضمن قذفًا للأعراض بالزنا.

أما القذف بغير ذلك أو الاتهامات المتعددة التى تتضمنها بعض الشائعات، فهى تدخل فى باب الكذب، والغيبة، والبهتان، وعقوبتها إن ثبتت على قدر ضررها، والعقوبة تكون تعزيرية بما يتناسب مع تقدير القاضى، وتزيد العقوبة فى أوقات الحروب مع مروجى الشائعات التى تؤدى إلى خلخلة السلم الاجتماعى أو تفكيك المجتمع أو بث الذعر فيه.

المراجع:

١- د. محمد عثمان الخشت، الشائعات وكلام الناس، القاهرة، مكتبة ابن سينا، ١٩٩٤.

٢- محمد على الصابونى، صفوة التفاسير، دار الصابونى للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة التاسعة، بدون تاريخ.

٣- الفخر الرازى: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب.

٤- الغزالى، إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ.

٥- د. وهبة الزحيلى، الفقه الإسلامى وأدلته، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥ الطبعة الثانية.

الصكوك الإسلامية وسُبل تطبيقها فى مصر

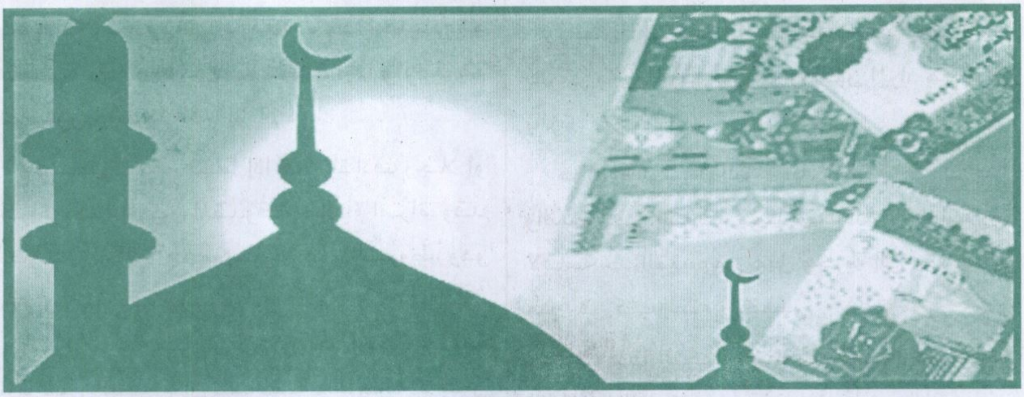

د/ سمير عبدالحميد رضوان

حول إصدار صكوك التنمية الإسلامية كأول أداة استثمارية إسلامية يتم إصدارها فى مصر طوال تاريخها وبعد قيام ثورة ٢٥ يناير وبعد تحطيم أغلال نظام وأد كل محاولات تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، والغرض من إصدار هذه الصكوك هو سد الفجوة التمويلية بين الموارد والاستخدامات، أى سد العجز التمويلى فى الموازنة العامة للدولة، وكأداة استثمارية إسلامية تتطلع من خلالها إلى تحطيم أغلال التخلف وزيادة الرقعة الزراعية، وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء وخاصة القمح.

وغنى عن البيان أنه قد ثبت من خلال تقرير أمريكى عن الاقتصاد المصرى أن مصر تستورد ما يقرب من ٩٠٪ من احتياجاتها الغذائية **وللتخلص من التبعية والخضوع للدول التى تمدنا باحتياجاتنا من الغذاء وخاصة المعونة الأمريكية.**

وإذا ما أردنا الحديث عن المعونة الأمريكية فحسبنا أن نشير فى سطور إلى ما تنطوى عليه هذه المعونات.

أولا: رصدت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية مبلغ خمسة ملايين دولار للعام المالى ١٩٧٩م من أجل تمويل البرنامج الإقليمى للتعاون بين إسرائيل من ناحية ومصر وسوريا والأردن والضفة الغربية من ناحية أخرى، وقال بيريز ساعتها نيابة عن الحكومة الأمريكية: «إن السلام يمكن تأجيله أما الجوع فلا يمكنكم تأجيله». وأضاف «أن مصر هى الدولة الأكبر عرضة للنيل منها بسبب وضعها الاقتصادى» واستطرد قائلا: «إن حل مشاكلكم الاقتصادية لن يكون إلا عبر إسرائيل» (اتفاقية الكويز لتصدير المنسوجات توكد ذلك).

وكان من أهم مشروعات التعاون التى طالبت بها الوكالة استخدام المياه المصرية فى ربط مصر بإسرائيل من النيل إلى صحراء النقب، وأشارت دراسة هيئة المعونة حينذاك إلى أن مصر لديها مياه للرى أكثر من حاجتها. وقد أثار ذلك حفيظة بعض الكتاب فى مصر، فقال أحدهم: وهل زرعنا صحراءنا لكى تزرع صحراء النقب بإسرائيل، إننا نستعين بجزء من حصة السودان فى ماء النيل لأن حصتنا لا تكفينا.

ثانيًا: رفض هيئة المعونة الأمريكية عمليات الاستصلاح الزراعى فى مصر، وطالب التقرير بالتركيز على التوسع الرأسى دون الأفقى لزيادة الإنتاجية ليبقى الشريط الأخضر على ضفاف وادى النيل والمناطق

الصحراوية لا يتجاوز ٤٪ متعللة بزيادة تكاليف استصلاح الأراضى وانخفاض عائدها، ويكشف عن زيف ادعاءتها موقف الطرف الأمريكى من مشروع الصرف الصحى لمدينة الإسكندرية، حيث انتهت الدراسات الأمريكية إلى التخلص من مخلفات الصرف الصحى فى البحر دونما مراعاة لتلوث البيئة والشواطئ وتدمير الثروة السمكية فى حين كان من الثابت من واقع الدراسات التى أعدها أساتذة جامعة الإسكندرية أنه من الممكن الاستفادة من مياه الصرف الصحى فى استزراع ما يقرب من مائة ألف فدان من الأراضى الصحراوية المتاخمة للإسكندرية.

ثالثًا: الترويج لزراعة محاصيل التصدير التى تتمتع فيها مصر بميزة نسبية كبديل لزراعة وإنتاج القمح وكبديل عن الاهتمام بالثروة الحيوانية.

رابعًا: أوصت هيئة المعونة الأمريكية بضرورة التحول من زراعة وإنتاج القطن طويل التيلة (الذى تتمتع فيه مصر بميزة تفوق بها جميع بلدان العالم) والذى كان يطلق عليه فى مصر (الذهب الأبيض) إلى زراعة القطن قصير التيلة.

خامسًا: دعا الرئيس الأمريكى الدول الأفريقية إلى استيراد المحاصيل الزراعية المعدلة وراثيًا، وانتقد مقاطعة هذه المحاصيل (وأهمها القمح) وقال: إنه ليس من مصلحة الدول الأفريقية مقاطعتها؛ لأن شعوبها تعانى من المجاعات، ولن تستطيع سد احتياجات شعوبها محليًا. أى تصدير الموت إلى الدول الفقيرة سواء من خلال التصدير أو المعونات.

سادسًا: إحدى استراتيجيات الكونجرس الأمريكى أن المعونات التى تمنح لأية دولة تكون بغرض حماية الأمن الأمريكى، وهذا ينطوى فى حد ذاته على سلب استقلال وحرية القرار فى مصر، ولذلك الوثيقة التى فى أيد جهات رسمية الآن تشير إلى أن أمريكا طالبت مصر بمقاطعة ١٥٠٠ شركة على مستوى العالم فى لحظة ومن هذه الشركات عدد كبير من الشركات العربية والإسلامية، وصدرت الأوامر حينذاك بالتنفيذ

تعد الصكوك الإسلامية أداة استثمارية ناجعة نتطلع من خلالها إلى تحطيم أغلال التخلف وزيادة الرقعة الزراعية

الفورى، وهو ما يعنى سلب استقلال الدول التى تعتمد على المعونة الأمريكية.

وهذا يفرض علينا مواجهة التحديات الأجنبية والبحث عن البديل.

البديل الإسلامى

تتعدد مصادر التكوين الرأسمالى فى المجتمعات، ويعتبر الادخار بلا خلاف بين الاقتصاديين هو المرحلة الأولى فى عملية تكوين رأس المال بينما تتحصل المرحلة الثانية فى تعبئة تلك المدخرات وتحويلها إلى تجهيزات وسلع استثمارية.

إلا أن أول ما يسترعى الانتباه عند مناقشة هذه المسألة هو تلك الفجوة الشاسعة بين مدخرات العاملين من ناحية، ورصيد ودائع القطاع العائلى بالعملات الأجنبية لدى البنوك المسجلة فى مصر من ناحية أخرى، الأمر الذى يتعين معه تكثيف الجهود المبذولة من أجل استقطاب هذه المدخرات وعودتها إلى أوطانها لأداء وظيفتها الأصلية فى عملية تكوين رأس المال الثابت وتدعيم الموازنة النقدية ومعالجة الاختلالات الهيكلية.

لذلك فإننا نرى أن الوصول إلى صيغة مقبولة من جميع الأطراف المعنية بأمر الادخار وهم المدخرون من ناحية والقائمون بالتوظيف من ناحية أخرى يعد أمرًا بالغ الأهمية ويشير إلى ضرورة تطوير أدوات الاستثمار وأن يؤخذ فى الاعتبار ذلك الإيقاع السريع لتحديث الأدوات المالية فى الخارج، والذى وصل معه تنوع هذه الأدوات إلى حد ظهور نوعية من السندات تؤدى إلى مشاركة حامليها فى المخاطر، ونوعية من الأسهم تنطوى على وضع حدود للمشاركة فى العائد، وهو ما يعنى تراجعًا فى الفروق التى ظلت قائمة ما بين السند كصك

للقرض يحقق معدل فائدة للدائن وما بين السهم كصك يحقق عائداً نظير حق الملكية.

الأداة المطلوب إصدارها

الأداة المطلوب إصدارها: صكوك تنمية إسلامية تتفق صيغتها وأحكام الشريعة الإسلامية.

الجهة صاحبة المقترح: مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي.

الفئة المخاطبة: العاملين فى الخارج والقطاع العائلى والخاص بالداخل.

الأداة المقترحة:

١ - صكوك المضاربة الإسلامية

٢ - صكوك تنمية إسلامية

ماهية الأداة الاستثمارية المقترحة:

هى أداة استثمارية تقوم على تجزئة رأس مال المضاربة إلى صكوك ملكية ذات وحدات متساوية القيمة حيث يمثل الصك حصة شائعة فى رأس مال المضاربة ويجرى توزيع الأرباح على حملة الصكوك بنسبة ملكية كل منهم، ويستفاد مما تقدم أن هذه الصكوك لا تختلف فى طبيعتها عن الأسهم العادية فى شركة المساهمة، ووجه الخلاف بينها وبين الأسهم لا يتعلق بطبيعة الصك وإنما بأسلوب توظيف أموال المشروع، حيث يمتنع على شركة المضاربة الإسلامية التعامل فى محرم بيعاً أو شراء أو التعامل بالفائدة أخذاً أو عطاء.

الغرض من إصدارها

- الاستجابة لرغبة أبناء الجاليات المصرية والعاملين فى الخارج فى استثمار أموالهم فى صكوك تنمية إسلامية يجرى توظيف حصيلتها فى مشروع قومى كبير، وتحرير الاقتصاد الوطنى المصرى من التبعية والخضوع وإصلاح الوضع الاقتصادى.

- إيجاد صيغة جديدة للاستثمار بجانب الصيغ القائمة تقوم على مبدأ المشاركة فى العائد والمخاطرة.

- استحداث أداة مالية جديدة تسهم فى تنشيط السوق المالية فى مصر وتشارك مع أدوات الاستثمار القائمة فى إفساح المجال أمام أصحاب المدخرات الوطنية لاختيار الأداة الاستثمارية التى تناسب كل منهم وتتفق وميولهم ومعتقداتهم.

- المساهمة فى إزالة الأسباب التى أدت إلى تسرب جزء كبير من المدخرات الوطنية والذى كان من الممكن أن يضاف إلى رصيد التراكمات الرأسمالية اللازمة لدعم الجهاز الإنتاجى فيما لو تلاقت أدوات الاستثمار مع الميول والمعتقدات.

- تهيئة المناخ الاستثمارى فى مصر لاستقبال المدخرات الوافدة والهاربة من مناطق التوتر والمحفوفة بالمخاطر والمهددة باندلاع الحرب.

- إقامة مشروع قومى كبير يتم تمويله من خلال إصدار هذه الصكوك للمساهمة فى عمليات الإنماء الاقتصادى والمساهمة كذلك فى حل مشكلة البطالة دون تحمل الجهة المصدرة لأية أعباء تمويلية ثابتة من شأنها رفع تكلفة الإنتاج والتهام عوائده.

- لما كان معدل النمو الاقتصادى ما هو إلا حاصل نسبة المدخرات إلى معامل رأس المال لذلك فإن إصدار الأدوات المالية التى تجذب قطاعاً عريضاً من المستثمرين من شأنه زيادة المدخرات. وبالتالى نسبة النمو الاقتصادى الأمر الذى تصبح معه هذه المسألة مسألة قومية.

- تصويب المسار الذى سلكته بعض الشركات العامة والخاصة فيما يتعلق بتوظيف الأموال وذلك من خلال توجيه مدخرات القطاع العائلى والخاص فى مسارها الصحيح من خلال توجيهها إلى استثمارات طويلة الأجل فى رأس المال الثابت بما يعنى زيادة التراكمات الرأسمالية التى تسمح بزيادة المقدرة الإنتاجية للاقتصاد القومى.

الصيغة الاستثمارية: المضاربة بمفهومها الشرعى تختلف عن المضاربة بمدلولها الاقتصادى، فهى عقد على الشركة فى الربح بين رب المال الذى يقدم ماله، وبين المضارب الذى يقدم عمله، فيد المضارب على المال يد أمانة وتصرفه فى هذا المال تصرف الوكيل، فإذا ما تحقق ربح فالمضارب شريك فى هذا الربح مع رب المال

حسب شروط العقد وإذا لم يتحقق ربح فلا شيء للمضارب وقد عرفها أحد الباحثين الاقتصاديين بأنها نوع من المشاركة بين صاحب الأموال وصاحب الخبرات يقدم فيها الأول ماله والثانى خبرته ويقتسما نتائج المشروع بنسب يتفق عليها، وهى الوسيلة الإسلامية المشروعة والتى يمكن من خلالها توظيف الأموال النقدية Monetary Founds فى النشاط الاقتصادى بتحويلها إلى عنصر إنتاج من خلال عمل مشترك يقوم به صاحب المال ورب العمل معًا.

ولا خلاف بين الفقهاء أو القانونيين بأن كل ما جاز للإنسان أن يتصرف فيه بنفسه جاز له أن يوكل فيه أو يتوكل، ومما لا شك فيه أن الحاجة ماسة إلى هذا العقد، لأن الموكل (رب المال) قد يكون له مال ولا يحسن التجارة فيه وقد يحسن ولا يتفرغ، وقد أباحها الشارع لدواعى الحاجة وتحصيلا للمصلحة.

اتفق الفقهاء على تحديد نصيب كل من صاحب المال والمضارب فى الربح عند إبرام العقد بجزء مشاع غير محدد وذلك بأن يكون نسبة مئوية أو كسرًا اعتياديًا لكل منهما.

الخسارة

أما عن الخسارة فإنها تكون على رب المال ما لم يكن هناك تقصير من جانب المضارب أو تعد أو مخالفة للشروط المتفق عليها - ففى حالة تقصير المضارب (العامل) فإن الخسارة تكون عليه فيما نقص من رأس المال ويقاس مقدار التقصير والتعدى بقدر ما يمكن أن يفعله قرناؤه من التجار فى نفس الظروف وفى نفس السوق.

أقسام المضاربة

المضاربة نوعان:

- مضاربة مطلقة. - مضاربة مقيدة.

المضاربة المطلقة

ويطلق فيها تصرف العامل (المضارب) فى كل ما يرجو فيه ربحًا فهذا جائز على عموم التصرف بمعنى إطلاق يد المضارب فى سائر التصرفات من غير تعيين للعمل أو المكان أو الزمان أو صفة العمل.

المضاربة المقيدة

وهى التى تغل فيها يد العامل بتقييد تصرفاته بوجه من الوجوه أو بتعيين شىء مما يتحرر منه العامل فى المضاربة المطلقة.

مجموعة البدائل المقترحة:

وفقا للتقسيم المتقدم للمضاربة بين مطلق ومقيد فإنه يمكن طرح البدائل الآتية:

- صكوك مضاربة إسلامية مطلقة.
- صكوك مضاربة إسلامية مخصصة لنوع معين من النشاط.
- صكوك مضاربة إسلامية مخصصة لمشروع معين.

النوع الأول: صكوك المضاربة الإسلامية المطلقة

وفيها يطلق يد المضارب فى سائر الأنشطة المباحة والتى يرجو فيها ربحًا.

النوع الثانى: صكوك المضاربة الإسلامية المخصصة لنشاط معين

ويلتزم المضارب (العامل) هنا بتوظيف أمواله فى نشاط معين كالإسكان أو صناعة الدواء أو التعدين .. إلخ فإن خالف ووظف أموال المضاربة فى أنشطة أخرى كان متعديًا وضامنًا.

النوع الثالث: صكوك المضاربة الإسلامية المخصصة لمشروع معين

وبمقتضاها يلتزم المضارب بتثمير أموال المضاربة فى مشروع محدد بذاته فإن تعدى ذلك إلى غيره ولو فى نفس النشاط كان متعديًا وكان بالتالى ضامنًا.

ويبين من العرض المتقدم أن النوع الأول من قبيل المضاربة المطلقة، والنوعين وهما الثانى والثالث من قبيل المضاربة المقيدة، وبينما ينفسح المجال وتتعدد روافد الاختيار أمام المضارب فى النوع الأول لتوظيف مال المضاربة فى وجوه الاستثمار التى تحقق للمشروع أعلى ربحية ممكنة، تقل فى النوع الثانى المجالات التى

يمكن أن يتحرك فيها المضارب لتثمير أموال المضاربة وتتحدد على وجه تنعدم معه فرص الاختيار فى النوع الثالث، ومع هذا يبقى لكل نوع من المزايا النسبية ما يجعله موضع مفاضلة وتفضيل من جانب أرباب الأموال.

ولما كان أحد الأغراض المقترحة لإصدار هذه الصكوك هو إقامة مشروع قومى كبير يجرى تمويله من مدخرات العاملين المصريين فى الخارج، والقطاع العائلى والخاص بالداخل فإن أرجح البدائل التى نراها هو البديل الثالث لعدة اعتبارات:

١ - أن عدم تحديد المشروع الذى سيجرى تمويله من حصيلة هذه الصكوك من شأنه إثارة شكوك الفئة المخاطبة فى إمكان توظيف أموالهم فى مجالات لا تحظى بقبولهم أو لا تتفق وميولهم أو تخالف معتقداتهم.

٢ - أن توظيف حصيلة الصكوك المقترحة فى مشروع قومى كبير يستوعب الفوائض المالية للعاملين فى الخارج والداخل ويستهدف زيادة الطاقة الإنتاجية ويعالج بعض الاختلالات الهيكلية ويحقق عائداً مجزياً لأصحاب رءوس الأموال من شأنه استوثاق الفئة المخاطبة من قيام الوكيل بتوظيف أموال موكله فى المجالات التى تحظى بقبوله ولا تعارض معتقداته ولا تخرج عن حدود وكالته وتحقق فائضاً مجزياً له ومنفعة قومية للبلاد وذلك كله بعد إعداد دراسات الجدوى والإعلان عنها فى نشرة الاكتتاب وخاصة من حيث:

- معدل الربح المتوقع للمشروع.
- معدل ما يتوقع أن يسهم به المشروع فى توفير فرص العمل والمساهمة فى حل مشكلة البطالة فى مصر.
- معدل ما يتوقع أن يضيفه المشروع إلى الدخل القومى.
- المعدل المتوقع لما يضيفه المشروع إلى الطاقة الإنتاجية.
- ما يوفره المشروع من العملات الأجنبية.

توجيه مدخرات القطاع العائلى والخاص إلى استثمارات طويلة الأجل فى رأس المال الثابت يزيد القدرة الإنتاجية للاقتصاد القومى

وعلى الرغم مما تقدم فإنه يظل من الممكن الجمع بين البديل الثالث والأول إذا ما توفر للمشروع الأموال اللازمة للوفاء بالاحتياجات التمويلية لرأس المال الثابت والعامل من حصيلة الاكتتاب وإذا ما استبان أن هناك ثمة فائض فى سيولة المشروع تقتضى المصلحة تشغيلها فى مختلف وجوه الاستثمار المباحة فلا بأس بشرط أن يجرى تحديد أعلى نسبة يمكن توجيهها لتلك الاستثمارات فى نشرة الاكتتاب.

جهة الإصدار

يقترح أن يقوم أحد المصارف الإسلامية المسجلة فى مصر بإصدار هذه الصكوك والترويج لها وطرحها للاكتتاب العام وخدمتها.

حجم الإصدار

يتوقف حجم الإصدار على نوعية وحجم المشروع القومى المقترح تمويله من هذه السندات.

صكوك التنمية الإسلامية كبديل للمعونة الأمريكية ولسد الفجوة التمويلية ومعالجة العجز فى الميزانية العامة للدولة وتمويل التنمية الاقتصادية:

أولا: إذا كان الغرض من إصدار هذه الصكوك هو سد الثغرة التمويلية فى الموازنة العامة للدولة والميزانية أو تضييق الفجوة بين الموارد والاستخدامات، فيمكن إصدار أكثر من نوع من أنواع الصكوك.

١ - صكوك إسلامية لها صفة الاستمرارية ويكون لحاملى هذه الصكوك حق تقديمها للاستهلاك فى أى وقت بعد مضى ثلاث سنوات على الأقل من تاريخ إصدارها حيث يمكن لحاملها الحصول على القيمة الاسمية لتلك الصكوك فضلا عن الجوائز المجزية التى

تمنحها الدولة لجميع المكتتبين فى هذه الصكوك بصفة دورية، وإن كانت هذه الجوائز غير معلنًا عنها لتتفق وأحكام الشريعة الإسلامية، وله حق بيعها فى سوق الأوراق المالية فى أى وقت بعد قيدها فى جداول أسعار بورصة الأوراق المالية.

٢ - صكوك السندات السلعية الإسلامية: وهذه الصكوك تسمح للمستثمر بمشاركة الجهة المصدرة لها فى مخاطر تقلب أسعار السلع التى يحمل الصك اسمها، ومن هذه الصكوك صكوك السندات البترولية، وصكوك السندات المتعلقة بالمعادن النفيسة كسندات الذهب والذى يوجد بكميات عظيمة فى مصر، وسندات الفضة وسندات الطاقة.

ملحوظة: (أشارت الموسوعات الأجنبية إلى أن الذهب موجود فى مصر بكميات هائلة وصفت فى الموسوعات الأجنبية بأنه كالتراب، وأنه يمكن أن يتجاوز ما تنتجه جنوب أفريقيا التى تنتج ثلثى إنتاج العالم من الذهب، وأشارت الصحف المصرية مؤخرًا إلى أن ما يوجد من منجم السكرى وحده يتجاوز ٢٠ بليون دولار).

وخلافًا للسندات المتعارف عليها فإن القيمة الاسمية لهذه السندات لا تتحدد بالنقود، ويمكن بقدر ما تمثله من وحدات السلعة كمًا أو وزنًا أو كيلا أو حجمًا فصكوك السندات البترولية على سبيل المثال تكون فئاتها بعدد براميل البترول المدونة على الصك، وتتأثر أسعار هذه الصكوك بالظروف الاقتصادية ومستويات الأسعار. ففى حالات التضخم ترتفع أسعار السلع وترتفع معها أسعار هذه السندات، ويمكن لحاملها فى هذه الحالة إذا ما رغب فى تصفيتها والحصول على السيولة المقابلة أن يبيعها فى سوق الأوراق المالية.

٣ - الصكوك الإسلامية لاستصلاح الأراضى والتنمية الزراعية: يجرى استخدام حصيلة هذه الصكوك فى استصلاح الأراضى وزراعتها، وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الحبوب وخاصة القمح، وتقيد هذه الصكوك فى بورصة الأوراق المالية، حيث يمكن تسييلها فى أى وقت بعد القيد.

أما حاملوا هذه الصكوك فهم فى نهاية المطاف أصحاب هذه الأراضى الزراعية المستصلحة، ويجرى تخصيص هذه الأراضى بلا مقابل وبنسبة ما يمتلكه كل منهم من هذه الصكوك وعلى أن يلزم أصحابها بعد تغيير معالمها تحقيقًا لمصلحة البلاد والعباد والتخلص من هيمنة وسيطرة الدول التى تصدر لنا الحبوب أو تقوم بمنح معونات مشروطة تسلب بها استقلالنا وحريتنا.

ولكى يتحقق لنا تطبيق نظام الصكوك فى مصر نطرح بعض المقترحات التى تسهم فى هذا الغرض:

١ - نوصى بإصدار صكوك المضاربة الإسلامية المقيدة والتى يجرى تخصيصها لمشروع معين بذاته، وسيجرى قيدها فى سوق الأوراق المالية.

٢ - الاتصال بهيئة الاستثمار بغرض الوقوف على المشروعات القومية ذات الأولوية والتى سبق دراسة جدواها الاقتصادية والتى يتوقع أن يرتفع فيها معدل الكفاية الحدية لرأس المال وتؤدى إلى زيادة الطاقة الإنتاجية وتسهم فى حل مشكلة البطالة وتقلل من الاعتماد على الخارج فى استيراد السلع الإستراتيجية الأمر الذى يؤدى إلى تحسين ميزان المدفوعات.

٣ - أن تقوم الجهات الدينية فى مصر وعلى رأسها الأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمؤازرة حقيقية لعملية الإصدار وحث المواطنين والعاملين فى الخارج بالاكتتاب فى هذه الصكوك.

٤ - أن تقوم وزارة الخارجية من خلال سفاراتنا فى الخارج بالترويج لهذه الصكوك الإسلامية فى مختلف دول العالم.

٥ - نوصى بإصدار أكثر من بديل من هذه الصكوك ووفقًا للبدائل التى طرحناها من قبيل تعدد روافد الاختيار بين المستثمرين وإثراء سوق مال بالأدوات المالية الإسلامية بديلا عن الأدوات الربوية، خاصة وأن هذه الأدوات الاستثمارية الإسلامية لم تعرفها مصر فى أية حقبة من تاريخها الطويل.

ونسأل الله العلى القدير أن توضع هذه الأدوات الإسلامية موضع التنفيذ، والله من وراء القصد اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

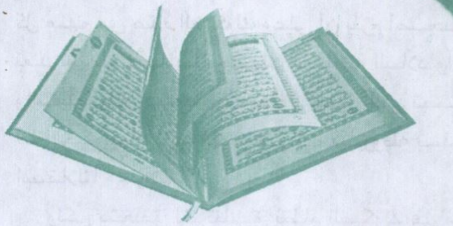

آيات من القرآن في خلق الأرحام

دكتور
عبد المعبود عمارة

سبحان الله خالق كل شىء وهو على كل شىء قدير، والحمد لله الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبًا وصهرًا والقائل فى كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (سورة النساء الآية: ١).

وسبحان من هذب الغرائز البشرية وجعل لها طرقًا شرعية وهو الزواج، وزيَّنه وحببه للإنسان، وجعل هذا الزواج آية من السكن والمودة والرحمة والولد الصالح قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (سورة البقرة الآية: ١٨٧).

وحينما رغب الله الرجل فى الزواج بدافع هرمون التستوستيرون الذى تفرزه الخصيتان ورغب الأنثى فى الزواج بدافع هورمون الإستروجين الذى يفرزه المبيض وجعل لإتمام اللقاء والإنجاب وعاء يتم فيه النمو والتسوية والتعديل وهو القرار المكين «الرحم».

أجزاء الجهاز التناسلى فى الأنثى

الجهاز التناسلى فى الأنثى يتكون من الرحم وهو المكان الذى ينمو فيه الجنين ويتم فيه نمو النطفة الأمشاج إلى علقة فمضغة فعظام تكسى باللحم ثم التسوية والتعديل والتصوير فى أجمل صورة .

كما يلحق بالرحم من كلا الجانبين قناتا الرحم ويتم فيها اللقاء بين نطفة الرجل «الحيوان المنوى» ونطفة المرأة «البويضة» وتتكون النطفة الأمشاج الزيجوت والذى ما إن تتكون حتى يبتدئ رحلته إلى الرحم ليستقر فيه ويندعم لإتمام رحلة التكوين ويلحق بالرحم أيضاً المبيضان المسئولان عن إفراز البويضات وهورمون الإستروجين «هورمون الأنثى».

ويتكون الرحم من ثلاثة أجزاء رئيسية هى قاع وجسم وعنق الرحم (Fundus,body and Cervix).

ويتكون جدار الرحم هستولوجيا من ثلاث طبقات: هى من الداخل للخارج:

١- الطبقة الداخلية، وهى الغشاء المخاطى المبطن للرحم وهو مسئول عن دورة الطمث «العادة الشهرية» ومسئول عن المشاركة فى تركيب المشيمة إذا حدث حمل لتغذية الجنين. وهو غشاء متجدد شهرياً قبل الحمل فى الطبقتين العلويتين منه.

٢- الطبقة العضلية الوسطى: وهى طبقة عضلية لاستيكية ومطاطة قابلة للتمدد والانكماش، تطول أليافها وتتمدد فى فترة الحمل ثم تعود إلى طبيعتها بعد الولادة وفترة العودة تسمى فترة النفاس.

٣- الطبقة المصلية الليفية الخارجية: ودورها المحافظة على أجزاء الرحم وتمدها بالدم المغذى له وتتمدد بتمدد الرحم.

معانى الأرحام كما ذكرت فى القرآن الكريم والسنة الشريفة.

ذكر الله تعالى لفظ الرحم بمعنى العضو المسئول عن الحمل والولادة ويستقر فيه الجنين لمدة ٢٨٠ يومًا هى مدة الحمل فى المتوسط عند المرأة وفيه قال الله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (سورة الحج الآية: ٥).

يطلق الرحم فى القرآن الكريم على أولى الأرحام من ذوى القرابة والأقارب والمتصلين بهم

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ • فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ • إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ • فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (سورة المرسلات الآيات: ٢٠: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (سورة المؤمنون الآيتان: ١٢، ١٣).

ولقد سُمّى الرحم بالقرار المكين لأنه سبحانه وتعالى قد هيأ الرحم وجعله صالحا لنمو واستقرار الجنين، وجعل منه سبحانه وسائد وثيرة للحمل حتى يخرجه الله طفلاً كاملاً ومستوى الخلقة.

كما يطلق الرحم فى القرآن الكريم على أولى الأرحام وهم ذوو القرابة القريبة المتولدة عن الرحم العضوى وما تحمله من الوشائج والصلات مثل الآباء، والأبناء، والأخوال، والأعمام، ومجموعة الأقارب التى تتصل بهم. ولقد أمر الله تعالى بوصل الرحم.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (سورة محمد الآية: ٢٢).

وعن أبى هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم **فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى قال: فذاك لك ثم قال ﷺ: اقرأوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ أخرجه البخارى ومسلم.**

الرحم قبل وبعد الولادة:

الرحم قبل الحمل يكون صغير الحجم لا يزيد على بضعة سنتيمترات، ولكنه بعد الحمل ينمو نموا هائلاً، ويزيد حجمه من شق صغير لا يتسع لأكثر من ملليمترين ونصف المليمتر إلى عضو ضخم هائل تبلغ سعته سبعة آلاف ملليمتر ووزنه يزيد من خمسين جراماً إلى ألف جرام. كما أن ما يحمله فى طياته يبلغ خمسة آلاف جرام منها ٣٥٠٠ جرام وزنا للجنين عند نهاية الحمل، ١٠٠٠ جرام وزن السائل الأمينونى المحيط بالجنين، ٥٠٠ جرام وزن المشيمة التى تغذى الجنين.

ويتغير الرحم تغيرا هائلا أثناء الحمل وتسهم فى ذلك كل طبقاته الثلاث (الغشائين الداخليين والعضلية الوسطى والمصلية الخارجية).

ونمو الرحم أثناء الحمل هو أسرع نمواً فى جسم الإنسان، وكما قال الدكتور محمد على البار فى كتابه خلق الإنسان بين الطب والقرآن «حتى أخطر السرطانات وأسرعها نموا لا تنمو مثل نموه».

فإذا ما بلغ الحمل نهايته، وخرج الجنين بالولادة أو الإسقاط فإن الرحم يعود إلى أصله خلال فترة النفاس إلى ما كان عليه صغير الحجم لا يتسع لأكثر من ملليمترين، خفيف الوزن ولا يزيد على خمسين جراماً، وطوله حوالى ثلاث بوصات ويعود الرحم عضوا من أعضاء الحوض بعد أن كان أثناء الحمل عضوا من أعضاء البطن ويصل فى نهاية الحمل إلى عظمة القص أسفل الصدر.

الأرحام تغيض وتزداد:

بعد أن يطول الرحم ويتمدد ويزداد حجماً وبما يحمل من مكونات الحمل يعود بعد الولادة إلى حجمه الصغير، وتعود الدورة الشهرية التى توقفت أثناء الحمل، ويتعدد ذلك مع كل حمل حتى إذا نضبت البويضات التى تفرز من المبيضين، وتوقف إفراز الإستروجين فإن المرأة تصل إلى «اليأس من المحيض» ويضمر الرحم ويقل إفراز الإستروجين وتعترى الأنثى بعض التغيرات النفسية لبعض الوقت.

فالرحم يزيد بالحمل ويغيض بالولادة وصدق الله العظيم القائل: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (سورة الرعد الآية: ٨).

وفى الخاتمة فهذا العضو لولاه ما توالدت الأجيال ولا تكاثرت البشرية ولا عمرت الأرض بأهل خلافتها فهذا العضو آية من آيات الله تعالى وفيه تتم أعظم نعمة من نعم الله تعالى وهى نعمة الخلق التى أستأثر الله تعالى بها دون سواه.

إن الله الذى أمدنا بعد الولادة بالغذاء والنمو والتنفس والتكاثر والإخراج، قد أمد الجنين وهو فى بطن أمه بكل وسائل الحياة عن طريق الحبل السرى الذى يربط الجنين بأمه «مصدر الحياة» عن طريق المشيمة داخل الرحم.

ألا يستحق هذا الخالق العظيم أن نسبح بحمده ونشكره، وقد أمرنا بذلك فى قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى • الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى • وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (سورة الأعلى الآيات: ١: ٣).

المراجع:

١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى.

٢- خلق الإنسان بين الطب والقرآن للأستاذ الدكتور/ محمد على البار. الدار السعودية للنشر والتوزيع جده. السعودية ١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ.

٣- تشريح الحوض د/ شفيق عبد الملك. المطبعة التجارية الحديثة ١٩٧١م.

علوم الأجنة العامة General Embryology

عدة مراجع.

الإعجاز الرباني في الجهاز المناعي

د. محمد فتحى فرج

المناعة Immunity هى وظيفة الجهاز المناعى، الذى وهبه الله القدرة على القيام بحراسة جسم الإنسان وكذا أجسام الحيوانات الأخرى، والعمل على الذود عنها وحمايتها بوسائل شتى، سنحاول أن نتعرض لأهمها هنا فى هذا المقال. وتبدو هذه الحماية فى أوضح معانيها فى قدرته على حماية الجسم من مسببات الأمراض المختلفة كالأحياء الدقيقة مثل البكتيريا والفيروسات والميكروبات ومسببات العدوى بشكل عام.

ومن الناحية التاريخية فقد تبين منذ زمن سحيق، لكل ذى عينين، أن أولئك الذين عانوا - من البشر - من وطأة الأمراض المُعدية، كالجدرى والحصبة والدفتيريا ثم شفاهم الله تعالى منها قد نجوا من مُعاودة مثل هذه الأمراض. وقد بات واضحا أيضا، منذ أزمان بعيدة، أنه حتى فى المجتمعات التى تنتشر فيها أمراض بعينها، فإن هناك فروقا فى قابلية العدوى، عند حدوث جائحة وبائية، فغالبية المعرضين للمرض يعانون منه بدرجات متفاوتة فى الشدة، من المرض العضال على الأعراض الخفيفة، أما بقية الأشخاص فلا يعانون من هذه العدوى. وهذه الفئة الأخيرة هى التى لديها مناعة فطرية لهذا المرض، فى حين أن أولئك الذين عانوا منه فإن مناعتهم الفطرية تتفاوت بين المناعة الجزئية - فى الحالات المَرَضية الخفيفة - إلى نقص أو حتى غياب المناعة فى الحالات المَرَضية الشديدة؛ إذ إن المناعة، طبقا لهذا، هى النتيجة النهائية لصراع يتم بين الطفيل (أو مُسبِّب المرض) والمريض، ونتيجة هذه المعركة تعتمد على ما يُسْفِر عنه التلاحم بين أسلحة كلا الطرفين!

وجدير بالذكر أن الجهاز المناعى، يوفر الوسائل الدفاعية الأولية المتنوِّعة - غير المتخصصة - التى تحول دون دخول أو غزو مسببات الأمراض الجسم، ومن ثم يحول ذلك دون وقوع الجسم فريسة للأمراض والاعتلالات التى تحدثها مُسبّبات الأمراض تلك. أما فى حالة عجز هذه الوسائل العامة، غير المتخصصة، فإن هناك أيضا الآليات الدفاعية القوية المتخصصة، التى تُمكِّن الجسم من مقاومة الميكروبات ومسببات الأمراض بشكل أكثر فعالية وأعلى دقة.

تجربة توضح معنى المناعة

عند إدخال بروتين غريب (أى لا يوجد بشكل طبيعى بالدم) دم حيوان ما عن طريق الحقن مثلا، فإن بروتينا مُعَيَّنًا يتكون نتيجة لذلك فى بلازما

الدم، ويُعَرَف هذا البروتين بالجسم المُضاد antibody.

وعلى ذلك فإذا قُمنا بحقن جرعة صغيرة أو مُخففة (غير مُميتة) من سُمٍّ أفعى فى فأر من فئران التجارب، فإن بلازما دم هذا الفأر - بعد عدة أيام - ستحتوى على أجسام مُضادة، قادرة على مُعادلة كمية أكبر من السم الإضافى المُركز إذا حُقِنت فى هذا الفأر (جرعة ثانية أكبر من الجرعة الأولى وأكثر تركيزا، كان من الممكن أن تميت الفأر لو أنها حقنت فيه بادئ ذى بدء). فما تفسير كل هذا؟

حينما حُقِنت الجرعة الأولى المُخففة (غير المميتة) فإن جزيئات بروتينية مُعينة قد عملت كمضادات antigens، أى كجزيئات قادرة على حثِّ بعض الأنسجة فى جسم الفأر لإنتاج أجسام مضادة، تُطرح فى الدورة الدموية لتتوافر أساسا فى بلازما الدم، وهذه من شأنها فى هذه الحالة العمل على شلِّ قدرة جزيئات السموم فى سم الأفعى المحقون فى دم الفأر. وهذه النسبة كافية لحماية الجسم فى المرة الأولى، حيث كانت جرعة سم إما قليلة أو مخففة، فلم تكن بالقوة بحيث تميت الفأر. وفى المرة الثانية، فعلى الرغم من قوة السم، سواء من ناحية الكمية أو التركيز فإن وجوده فى دم الفأر، بعد الحقن الأول أدى إلى تخفيف تأثيره بحيث لم يعد هو الآخر قاتلا؛ ويرجع ذلك لأن الفأر بعد الحقن المخفف الأول قد أعطى فرصة لتكوين أجسام مضادة أصبحت متاحة عند الحقن الثانى الخطير، وهى التى قاومت تأثير السم القاتل فى الحقنة الثانية.

والواقع أن الفيروسات والبكتيريا، والبروتينات الغريبة عن الجسم، تصنع معه الشىء نفسه حينما تدخل الجسم، كما رأينا فى التجربة البسيطة السابقة، والعامل الحاسم فى ذلك تركيز هذه المواد، وقدرة أو درجة استعداد الجسم، وثمة عامل مهم آخر هو تعرض الجسم لهذه المواد قبل ذلك من عدمه، إضافة إلى صحة الجسم العامة، والحالة الغذائية لهذا الجسم.

ومن التطبيقات الطبية المهمة فى هذا الشأن، عمل التلقيحات vaccinations المختلفة العامة (أى بشكل عام على جميع السكان فى بلدة ما، أو جميع الأطفال فى هذه البلدة) ضد مسببات الأمراض المنتشرة بكثرة، حتى يمكن إكساب الناس أو الأطفال مناعة مُكتسبة، تمنحهم القدرة على مقاومة هذه الأمراض، لنقول فى هذه الحالة إن لدى هؤلاء الناس أو الأطفال مناعة ضد هذه الأمراض.

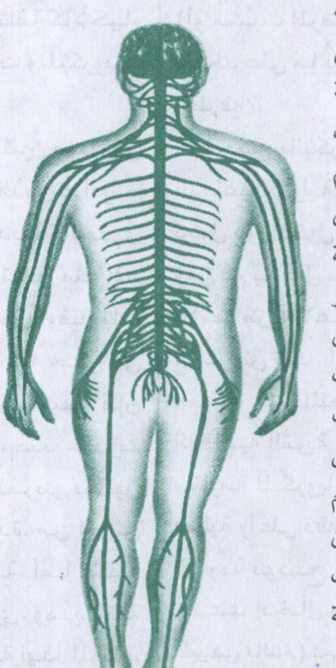

وعلى هذا، يمكن للإنسان أن يكون ذا مناعة عالية لبعض الأمراض، وذلك عن طريق حقن جسمه بما يلى:

١- كائنات ميتة أو مُضعَفة (أى عَملنا مسبقا قبل حقنها على إضعافها بإحدى الطرق المعروفة للمتخصصين) لمرض معين. ومن الأمثلة على هذا لقاحات مرض الجدرى ومرض التيفود.

٢- حقن الجسم بمصل دم ذى مناعة عالية لأمراض معينة التى تعرف فى هذه الحالة بمضادات السموم antitoxins، ويمكن الحصول على هذه الأمصال ذات المناعة العالية ضد أمراض معينة من حصان أو حيوان آخر مناسب، يكون قد تم تحصينه مسبقا بمسببات هذه الأمراض.

ومن أمثلة هذه الأمصال أو مضادات السموم الأمصال الخاصة بالدفتيريا والتيتانوس وعضة (سم) الثعابين.

هذا ويمكن التأكيد هنا على أنه ليس ثمة مناعة عامة لجميع أنواع الأمراض المعدية، فالمناعة بهذه المثابة يمكن أن يقال عنها إنها نوعية specific أو متخصصة، بمعنى أنها - بقدرة الله تعالى - تمنح الشخص طاقة على مقاومة ميكروب مُعَيَّن، وعلى سبيل المثال: إذا قيل لنا إن شخصا معينًا لديه مناعة ضد مرض الدفتيريا فإن ذلك لا يدلنا عما إذا كانت لديه مناعة ضد أية أمراض أخرى غير مرض الدفتيريا كالحصبة مثلا أو التيتانوس.

مميزات الكائنات المُسببة للأمراض

تتلخص العوامل والخصائص التى تجعل من كائن ما كائنا مُسببا للأمراض فيما يلى:

١- هجوميته (أىْ قدرته على الهجوم والغزو)، ويبدو هذا فى قدرته على تحطيم الخلايا الحية وإضعافه للتراكيب الحيوية، وإفرازه للسموم.

٢- قدرته على التنامى والتكاثر.

٣- قدرته على الانتقال والانتشار لإحداث مزيد من العدوى فى أشخاص جُدد.

والواقع أن مقاومة الشخص العائل (الذى هاجمه ميكروب مسبب للمرض) يمكن أن تتمثل فى واحد من هذين الاتجاهين:

- منع هجوم الطفيل أو الميكروب (العامل المسبب للمرض).

- منع تكاثر وتنامى هذا الطفيل أو الميكروب فى الجسم.

أولا: منع هجوم مُسبب المرض (الطفيل أو الميكروب)

الواقع أن الكائنات المسببة للأمراض وغيرها تحيط بنا؛ وذلك لأنها موجودة فى كل شىء نلمسه أو نأكله أو حتى فى الهواء الذى نتنفسه، وعلى هذا فخط الدفاع الأول فى هذه الحالة يتمثل فى الجلد والأغشية المخاطية المبطنة للقنوات التى يمر فيها الغذاء أو الشراب أو الهواء الملوث بهذه الكائنات.

ولهذا، فسنتعرض للجلد، لأنه يمثل أحد البوابات الرئيسية التى يدخل منها مسببات الأمراض المختلفة على الجسم.

الجلد

من المقولات الشائعة، أن الجلد غالبا ما يمثل عائقا يمنع الهجمات الميكروبية المُمرضة، إلا أن هذه المقولة تمثل فقط نصف الحقيقة. فالجلد، على النقيض من ورقة السيلوفان، عبارة عن تركيب معقد دائم التجدد، مُعتمِدا فى ذلك على نفسه. ويحتوى الجلد على حويصلات الشعر، كما يحتوى أيضا على غدد عرقية وغدد دهنية.

وهذه التراكيب تأوى كثيرا من الكائنات الحية الدقيقة، التى يستحيل إزالتها بغير المحاولات الدءوبة المتواصلة لذلك، ومن هنا يتبين لنا أهمية الوضوء خمس مرات على الأقل فى اليوم والليلة. وهذه الكائنات إذا ما أُهمِل إزالتها فإنها غالبا ما تهاجم الجسم من هذه المواقع، التى تمثل نقاط الضعف أو الثغرات. ومن نتائج ذلك حدوث الخراريج الإبطية، وكذلك تكرار حدوث العدوى فى منطقة اللحية. وعلى الرغم من ذلك، فإن الجلد السليم يمثل حاجزا منيعا فى كثير من الأحيان لمواجهة الكثير من أنواع البكتيريا المسببة للأمراض. أما العرق فيعمل هو الآخر كمادة قاتلة لكثير من الميكروبات، وهنا نؤكد على أهمية العمل الجاد الذى يؤدى إلى حدوث عرق من بين وظائفه إضافة إلى اكتساب مرضاة الله وتحقيق المكسب المالى، والحصول أيضا على مناعة ضد كثير من مسببات الأمراض!

أما تأثير الأسطح المخاطية ودورها فى مقاومة مسببات الأمراض ورفع مناعة الجسم، وغير ذلك من موضوعات تخص جهاز المناعة، فسنتناوله فى المقال التالى إن شاء الله تعالى، والحمد لله تعالى فى البدء وفى الختام.

نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٤٢)

د. طه مصطفى أبو كريشة

نعاود التذكير بأن من مواضع النظرة البيانية فى الكلمة القرآنية ما جاء فى ختام بعض الآيات وصفا لله عزوجل بصفتى العلم والحكمة، وأن صفة العلم تسبق صفة الحكمة فى كثير من المواضع مثل (والله عليم حكيم) بينما تتقدم صفة الحكمة على صفة العلم فى مواضع أخرى مثل (إنه حكيم عليم) كما أن هاتين الصفتين قد تأتيان معرفتين بالألف واللام، وقد تأتيان منكرتين، وأيضا فإنهما حسب الموقع الإعرابى تأتيان مرفوعتين أو منصوبتين أو مجرورتين... والنظرة البيانية فى هذا المقام تحاول أن تقف على السر البيانى الذى جعل إحدى الصفتين أولى بالتقديم على الصفة الأخرى، وهل كان للسياق السابق أو اللاحق أثر فى هذا التقديم؟ هذا مع معاودة التذكير بأن صفة العلم تعنى أن الله تعالى قد أحاط بكل شىء علما وأنه لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وأن صفة الحكمة تعنى أن الله عزوجل له الحكمة فى كل شىء قضى به، وفى كل حكم حكم به وفى كل سر أودعه فى مخلوقاته، وفى كل تكليف كلف به أحداً من عباده.

وفى مقالين سابقين وقفنا عند بعض الشواهد التى قد تقدمت فيها صفة العلم على صفة الحكمة، ونواصل فى هذا المقال ما بدأناه فى هذا المقام.

(١٧٧) ومن هذه الشواهد التى نرى فيها تقديم صفة العلم على صفة الحكمة ما جاء فى قوله الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة الفتح الآية٤) .

فإن هذه الآية الكريمة فيها إشارة إلى الحالة النفسية التى كان عليها المؤمنون فى غزوة الحديبية وما ترتب عليها من صلح بين المسلمين والمشركين، وقد كان من شروط هذا الصلح أن يعود المسلمون من عامهم إلى المدينة المنورة دون أن يؤدوا العمرة التى أرادوها من وراء انتصارهم، وقد ظن المسلمون أن هذا الشرط فيه شئ من الإهانة التي لن يقبلوها بعد أن أعزهم الله بالإسلام، ومن هنا ترددوا فى التحلل من الإحرام، حتى رأوا النبى ﷺ، يصنع ذلك قبلهم، فصنعوا مثل ما صنع اقتداء به عليه الصلاة والسلام، ثم كان ما كان من هدأة النفوس وسكينة القلوب التي أفاضها الله عزوجل عليهم تقديراً لما كان من مشاعرهم الإيمانية الصادقة التى تضاعفت فى قلوبهم بسبب هذا المدد الربانى الذى أفاضه عليهم وأنزله إنزالا عليهم

متغلغلا فى شغاف هذه القلوب التى يعلم حقائق ما فيها خالقها سبحانه وتعالى ﴿**هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم**﴾ إن هذه السكينة الإيمانية التى حولت القلوب من حالة الفزع والقلق والشعور بالإجحاف إلى حالة الرضا الكامل، والانشراح الشامل، والشعور بنشوة الانتصار كانت من أثر هذا الإنزال والتمكين الإلهى الذى حول هذه السكينة إلى شئ حسى ثقيل يحتاج إلي قوة عظيمة تنزله إنزالاً فى داخل القلوب وهى قوة القوى العزيز عز وجل إن هذا الإنزال الإلهى لهذه السكينة ليس من أجل إحداث إيمان لم يكن موجود لدى هؤلاء المؤمنين، وإنما كان من أجل زيادة الإيمان الذى كان فيهم، ومن أجل اتساع أفق ما استكن فى قلوبهم من الإيمان ﴿**ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم**﴾ ولكن كيف تم إنزال السكينة فى قلوب المؤمنين إنزالاً؟ إن هذه الكيفية هى من الغيب الذى يعلمه الله تعالى وحده ﴿**ولله جنود السموات وكان الله عليما حكيما**﴾.

إن النظرة البيانية ترى أن سياق الآية الكريمة جاء متعلقا بأمور غيبية غير مرئية للبشر، فالسكينة شئ شعورى قلبى، وكيفية إنزالها إنزالا فى القلوب أمر أيضا غيبى، والجنود الذين يكلفهم الله تعالى بما يكلفهم به فى السموات والأرض محجوبون عن البشر، ومن أجل هذه الأمور الغيبية كلها كانت صفة العلم أحق بالتقدم علي صفة الحكمة فى تأكيد تفرد الله عز وجل بالإحاطة بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

(١٧٨) وأيضا فإن من الشواهد التى تقدمت فيها صفة العلم على صفة الحكمة ما جاء فى قول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة الإنسان الآية: ٣٠).

صفة العلم تعنى أن الله تعالى قد أحاط بكل شىء علما وأنه لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن النبى ﷺ وعن المنهج التعبدى الذى يتزود به وهو يدعو قومه إلى الإيمان برسالته وترك ما هم فيه من عبادة الأصنام، مع التذكير بأن هؤلاء القوم مهما امتلكوا من مظاهر القوة فإن الله عز وجل قادر على أن يأتى بقوم خير منهم، لأنه عز وجل له مطلق المشيئة، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون. إن هذا السياق الذى خاطب فيه رب العالمين نبيه ﷺ هو الذى جاء فى قول الله تعالى قبل آية الشاهد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً • فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا • وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً • وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً • إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً • نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً • إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ (سورة الإنسان الآيات: ٢٣ : ٢٩).

إننا نرى فى هذه الآيات توجيها ربانيًا للنبى ﷺ يذكره فيه بالرسالة التى نزل القرآن الكريم عليه من أجلها، وأن عليه فى سبيل تبليغ هذه الرسالة أن يتزود بزاد الصبر على هذا التكليف الربانى، ومع الصبر فإن عليه أن يكون دائما ذاكرًا لربه عز وجل فى البكرة والأصيل، وأن يداوم على قيام الليل المصحوب بالتسبيح والتنزيه لله تعالى. وكذلك فإن عليه ﷺ أن

يطمئن إلى أن الله تعالى ناصره على قومه الذين يؤثرون العاجلة على الباقية، وأنهم مهما استشعروا فى أنفسهم من مشاعر القوة فإن الله عز وجل قادر على محوهم..... ومع هذا التوجيه الخاص بالنبى ﷺ فإننا نراه مختومًا ببلاغ عام للناس جميعًا: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ حيث أصبح الطريق الذى يؤدى إلى الهدى والرشاد واضحًا.

ثم جاءت آية الشاهد: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وفيها التوجيه إلى أن من اختار طريق الهدى والرشاد فإن عليه ألا ينسى أبدًا أن مشيئته تابعة لمشيئة ربه عز وجل الذى أراد له الهداية ويسر له طريق الوصول إليها كما قال عز وجل فى موضع آخر: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ﴾ (سورة الأنعام الآية: ١٢٥).

إن النظرة البيانية ترى أن السياق كان ذا صلة وثيقة بأمور تتعلق بقضية الإيمان، والإيمان موضعه القلوب، ولا يطلع على حقيقة القلوب إلا الله عز وجل. إن توضيح هذه الحقيقة الإيمانية هو الذى جعل صفة العلم أولى بالمجىء قبل صفة الحكمة فى ختام هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ثم جاء الإفصاح عن النتيجة التى ترتبت على هذا العلم فى قول الله تعالى بعد آية الشاهد: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة الإنسان الآية: ٣١).

(١٧٩) ومن هذه الشواهد التى جاءت فيها صفة العلم متقدمة على صفة الحكمة ما جاء فى قول الله تعالى عز وجل: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال الآية: ٧١).

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى ختام الحديث عن الأسرى الذين أسروا فى غزوة بدر الكبرى، والذين تم إخلاء سبيلهم وإعادتهم إلى قريش فى مقابل الفداء الذى رضى به النبى ﷺ بناء على رأى سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه، ولم يرض بقتلهم بناء على الرأى الذى رآه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن أجل إيثار الفداء نزلت هذه الآيات التى ختمت بآية الشاهد وذلك فى قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ • لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ • فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ • يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال الآيات: ٦٧: ٧١).

إن هذه الآيات فيها عتاب على إخلاء سبيل الأسرى مقابل الفداء. ومع العقاب جاء الإبلاغ عن العفو الذى قضى به رب العالمين بدلا من المعاقبة والمؤاخذة ﴿لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ • فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ثم جاء وعد وإنذار لهؤلاء الأسرى الذين أظهروا للمسلمين أنهم لن يدخلوا معهم فى حرب فى مستقبل الأيام، أما الوعد فهو متعلق بتنفيذ العهد الذى أخذوه على أنفسهم، فإن كانوا صادقين فى ذلك فإن الله تعالى سوف يعوض أكثر مما دفعوه فى مقابل الفداء مع التجاوز عما سلف منهم من محاربة المسلمين وأما الإنذار فإنه متعلق بعدم تنفيذ ما أظهروه من عدم محاربة المسلمين فى

المستقبل، إن عليهم أن يتذكروا ما حل بهم من الأسر فى غزوة بدر، وهو أمر سوف يحل بهم إن نكثوا العهد فى المستقبل كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

إن النظرة البيانية ترى فى الحديث عن الأسرى أمورًا تتعلق بنوايا القلوب، وما تضمره فى ثناياها من صدق أو كذب فى العهود والوعود التى تظهرها الألسنة، فقد تنطق الألسنة بقول يتطابق مع نية القلب، وقد لا يتطابق. والله وحده هو الذى يعلم ما تضمره القلوب، وما تخفيه الصدور من خير أو خيانة، ومن هنا فإن هذه الحقيقة الربانية هى التى جعلت صفة العلم آثر بالمجىء متقدمة على صفة الحكمة فى ختام الحديث عن الأسرى ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(١٨٠) ومن هذه الشواهد التى تقدمت فيها صفة العلم على صفة الحكمة لداع اقتضاه السياق ما جاء فى قول الله عز وجل: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة الآية: ١٥).

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن الجهاد وقتال الكفار الذين لا ينفذون ما التزموا به من عهود تعاهدوا فيها مع النبى ﷺ على عدم الدخول معه فى قتال.

إن هذا السياق هو الذى جاء فى قول الله عز وجل قبل آية الشاهد: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ

أصحاب القلوب المؤمنة ينبغى ألا يخافوا الكفار فالله وحده هو الأحق بخشية قلوبهم

عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ • أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ • وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة الآيات: ١٢: ١٥).

إن هذا السياق فيه توجيه للمؤمنين بأن يتخذوا الموقف الرادع الحاسم مع الذين ينقضون العهد معهم، ويقومون بالطعن وإثارة الشبهات حول الإسلام إن على المؤمنين أن يعملوا على القضاء على رؤوس وأئمة الكفار الذين يقودون أتباعهم لكى يأخذوا الأسلوب المعادى للإسلام والمسلمين، إن هذا الموقف الحاسم هو الكفيل بإيقافهم عند حدهم ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ إنه لا توجد ذريعة تدعو للتأخر عن قتالهم فقد ظهرت منهم كل البوادر التى تدعوا إلى ذلك، فهم بادروا إلى نقض العهد وهموا بإخراج الرسول ﷺ وهم الذين بدأوا بمحاربة المسلمين فى أول لقاء، فلا موجب للتردد عن مواجهتهم ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن على المؤمنين أن يسارعوا إلى قتال الناقضين للعهد، وعليهم أن يطمئنوا إلى أن النصر حليفهم، وأن الخزى والخذلان من نصيب أعدائهم، ومع النصر يكون شفاء الصدور من همومها، وسلامة القلوب مما حل بها من كمد وغيظ ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ • وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

إن النظرة البيانية ترى أن فى السياق أمور تتعلق بالقلوب المؤمنة، وذلك أن أصحاب هذه القلوب يجب أن لا يخشوا ويخافوا من هؤلاء الكفار، فالله تعالى وحده هو الأحق بخشية قلوبهم. وكذلك فإن مما يتعلق بقلوب المؤمنين ما يكون فيها من أثر انتصارهم على أعدائهم حيث يذهب عنها الكمد والغيظ والحزن، ويحل مكانه السرور والفرح والبهجة. إن هذه الأمور التى سوف تحدث فى المستقبل، والتى أخبر عنها رب العالمين هى أمور غيبية لا يعلمها إلا علام الغيوب. ومن هنا كانت صفة العلم أولى بالتقديم على صفة الحكمة فى التعقيب الذى يؤكد هذه الحقيقة فى قول الله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(١٨١) ومن هذه الشواهد التى جاءت فيها صفة العلم متقدمة على صفة الحكمة لأن فى السياق ما يرجح ذلك ما جاء فى قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة الآية: ٢٨)

إن هذه الآية الكريمة تتعلق بالعلاقات التى تكون بين المسلمين وغيرهم من المشركين بعد أن أتم الله تعالى للنبى ﷺ فتح مكة، إن الله عز وجل من خلال هذه الآية أعلم المؤمنين بأن المشركين لا ينبغى أن يدخلوا مكة بعد هذا العام الذى نزلت فيه الآية ولا أن يقتربوا من المسجد الحرام بعد أن طهره الله تعالى من تلك الأصنام التى كانوا يتقربون إليها بعبادتها، ومن هنا جاء التعليل لهذا المنع من دخول المسجد الحرام أو الاقتراب منه بأنهم قوم نجس لوثوا قلوبهم وعقولهم بما كانوا عليه من مظاهر الشرك. ومع هذا النهى الإلهى الخاص بقطع العلاقة بين المؤمنين والمشركين، فقد جاءت الإشارة الضمنية إلى أن هناك آثارا اقتصادية سوف تحدث نتيجة لذلك، وسوف يترتب على هذه الآثار توقف المعاملات المالية التى كانت متبادلة وكانت توفر من المال ما يعين على قضاء الحوائج وعدم التعرض للوقوع فى ضائقة الفقر. ومن هنا كان هذا الوعد الربانى للمؤمنين بأن الله سبحانه وتعالى سوف يفتح للمؤمنين من أبواب الرزق ما يعوضهم عن ذلك الذى كان يأتيهم من وراء معاملاتهم المالية مع المشركين من قبل كما قال تعالى فى آية الشاهد: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾.

إن النظرة البيانية ترى فى سياق هذه الآية قبل ختامها ما يشير إلى أمر غيبى مستقبلى لا يعلمه إلا الله عز وجل علام الغيوب. إن هذا الأمر الغيبى هو الخوف من الوقوع فى الفقر والعيلة بسبب توقف التعامل الاقتصادى مع المشركين بعد حظر وجودهم واقترابهم من

المسجد الحرام، وقد جاء التنبيه إلى عدم الوقوع فى هذا التخوف الظنى لأن الله تعالى تكفل لعباده المؤمنين بالغنى الواسع من فضله. ومن هنا جاء تأكيد هذا الوعد بقول الله عز وجل فى ختام الآية: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ حيث تقدمت صفة العلم لأن الله تعالى وحده هو العليم بما وعد به لعباده المؤمنين وهو سبحانه لا يخلف الميعاد.

(١٨٢) ومن هذه الشواهد التى نرى فيها تقدم صفة العلم على صفة الحكمة لأن السياق يجعلها أحق بهذا التقديم ما جاء فى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة الآية: ٦٠).

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن المنافقين، وعن مكائدهم التى يدبرونها ضد الإسلام والمسلمين، وقد كان من هذه المكائد ما يتعلق بتوزيع أموال الصدقات على المستحقين لها، حيث كانوا يتعمدون إثارة الشبهات التى تتعلق بهذا التوزيع، ويحاولون من وراء ذلك الطعن واللمز فى النبى ﷺ، وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذا السلوك المنحرف الذى هو علامة من علامات نفاقهم وذلك على النحو الذى جاء الإخبار عنه فى قول الله تعالى فى هذا السياق: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ • وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (سورة التوبة الآيتان: ٥٨ : ٥٩).

إن الله عز وجل يخبر نبيه ﷺ عن سلوك هؤلاء المنافقين فيما يتصل بأموال الصدقات، حيث كانوا يرغبون فى أن يكون لهم نصيب مفروض منها، فإذا أخذوا سكتت الألسنة عن اللمز والطعن، وإن حرموا من الأخذ منها برزت ألسنتهم ساخطة طاعنة لامزة ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ ومع هذا الإخبار عن هؤلاء المنافقين تأتى الإشارة إلى السلوك الأمثل الذى كانوا أولى به وأحسن بعيدًا عن دائرة النفاق وهو السلوك الذى أشارت إليه الآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾.

وهنا جاءت آية الشاهد لتحسم الأمر فى تحديد الذين يستحقون الصدقات، فهم الفقراء والمساكين ومن يقومون بجمعها والمؤلفة قلوبهم من حديثى الدخول فى الإسلام والعبيد الذين لا يريدون التحرر من عبوديتهم ومن استغرقتهم الديون ولا يستطيعون سدادها والأمور التى تحقق وجها من وجوه الخير فى سبيل الله تعالى ثم أبناء الطريق الذين انقطع بهم الاتصال بأهليهم وهم بعيدون عنهم ولا يملكون شيئًا تقوم به حياتهم... إن الله تعالى جعل القيام بتوزيع الصدقات على هذه الأوجه فرضًا حتمًا وهو فرض مبنى على علمه بالأحداث التى اقتضت ذلك.... ومن هنا تقدمت صفة العلم على صفة الحكمة فى التعقيب الذى يعلل لهذه الفريضة والذى جاء فى ختام الآية ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

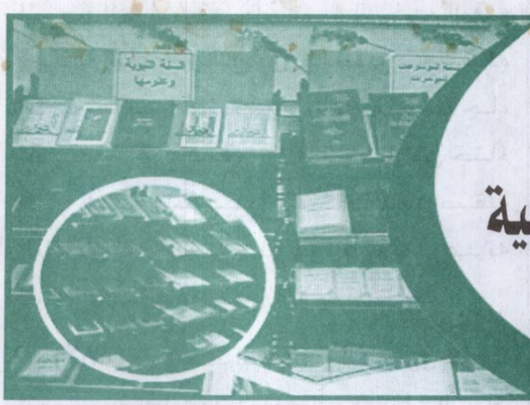

الوقف على المكتبات في حضارتنا العربية والإسلامية

د. ناصر أحمد سنه

يحق لحضارتنا العربية الإسلامية أن تقف مرفوعة الرأس، شامخة البنيان، فقد قدمت للإنسانية منارات هادية، وإبداعات متميزة فى مجالات الحياة المختلفة. وتُعد الأوقاف الإسلامية واحدة من أهم تلك الإبداعات الفريدة الساعية لتحقيق السعادة لأبناء المجتمع والأمة، من خلال التكافل والتكامل والتضامن والعطاء والبر والتراحم بين أفرادها، لذا فلا غرو أن كانت مسائل الأوقاف من أهمِّ القضايا التى تناولتها مصادر التشريع وكتب الفروع الإسلامية. ذلك أن الصحابة الأبرار رضوان الله عليهم، والسلف الصالح - غنيهم وفقيرهم - قد أوقفوا من أموالهم. ثم اقتدت الأمَّة الإسلامية، بكل تنوعاتها وأطيافها وفئاتها، بهم وسارت على دربهم. وما فعلوا - وما زالوا يفعلون ذلك - إلاَّ تحقيقًا للغاية التى من أجلها وجدَ الوقف؛ ألا وهى ابتغاء وجه الله تعالى ورضوانه.

الوقف: «تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة»، ويقصد به «حبس العين عن تمليكها لأحد من العباد، والتصدق بالمنفعة على الفقراء، أو على وجه من وجوه البر». وهناك من اشترط أن تكون هذه المنفعة أو ريع الوقف ليس مقصورًا على أفراد بعينهم كالواقف وذريته وأقربائه أو الفقراء فحسب، وإنما يمكن أن يشمل جهات خيرية تعود بالنفع على جموع المسلمين. فتنوعت الأغراض والجهات التى يوقف عليها، من مساجد، ومدارس، ومكتبات، وأربطة، ودور لرعاية الأيتام، وأبناء السبيل، وتسبيل الماء، وحفر الآبار، والمصحات، حتى بلغ الأمر رعاية الحيوان، من خيول هرمة وقطط عمياء.. وغيرها.

والمتتبع لتاريخ المؤسسة الوقفية الإسلامية العظيمة وآثارها وأبعادها الاجتماعية والحضارية الجليلة يقف وقفة إجلال وإعجاب أمام فضلها الكبير فى تشييد مختلف جوانب صرح الحضارة الإسلامية، ومنها المكتبات. ولما لا.. فقد غرس الإسلام حب العلم والتعليم والقراءة والمعرفة فى أهله تنفيذًا لأول ما نزل من القرآن الكريم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (سورة العلق الآية: ١)، وكذلك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة الواردة فى فضله. لذا فقد أقبل الناس على وقف الكتب وإنشاء المكتبات العامة والخاصة. ولقد اتخذت المكتبات أسماء متعددة مثل: خزانة الكتب، وبيت الكتب، ودار الكتب، ودار العلم، وبيت الحكمة.

ولا تكاد تجد مكتبة ولا مدرسة إلا ولها أوقاف خاصة يصرف ريعها فى الإنفاق عليها. وقرر الفقهاء أن الوقف على التعليم يستوى فى الاستفادة منه الكبير والصغير، والغنى والفقير. فهو لكل من طلب العلم. فإذا كان عامًا ولم يقيد بشرط، جاز الانتفاع به للجميع دون تمييز. لذا فقد أسهمت أموال الوقف بنصيب وافر فى تنمية العملية التعليمية والبحثية، ونشر العلم وحبه، وازدهار الحركة العلمية فى الحضارة الإسلامية. فهذه الأموال هى المورد الأساسى للمكتبات والمدارس العلمية اعتمدت عليه اعتمادًا كليًا فى نفقاتها وحاجاتها. إذ لم يكن فى الدولة الإسلامية فى الماضى ديوان أو وزارة للتعليم العالى أو ما دونه. وفى هذه وتلك ما يعد من مفاخر الحضارة الإسلامية، ومآثرها التى فاقت بها سائر الحضارات[١]

ففضلاً عن إنشاء وعمارة المساجد (وإعدادها لأداء وظائفها الدينية والاجتماعية) والمدارس والمراكز العلمية تم إلحاق مكتبات بمعظمها. وتعتبر مكتبات المساجد هى النواة التى قامت على أساسها وشاكلتها المكتبات الأخرى (الأكاديمية، والمدرسية، والعامة، والخاصة... إلخ). فمكتبات المسجد الحرام فى مكة المكرمة والمسجد النبوى فى المدينة المنورة والمسجد الأقصى فى القدس، والمسجد الأموى فى دمشق، وجامع الأزهر فى القاهرة، ومسجد الزيتونة فى تونس، ومسجد قرطبة، وجامع المنصور فى بغداد... إلخ، عامرة بالكتب التى تشمل معظم أنواع المعرفة. ويعد الجامع الأزهر أقدم جامعة فى العالم لا زالت قائمة منذ أكثر من ألف سنة وتعمل على نحو متواصل.

ولم يقتصر أمر إنشاء المكتبات ووقفها فى سبيل الله على الخلفاء والأمراء والوزراء، بل تعداهم إلى العلماء والموسرين. فعلى سبيل المثال هذا «على بن يحيى بن المنجم» ينشئ مكتبة ويجعلها فى سبيل الله. ويخصص لها وقفًا ينفق منه على من يفد عليها. ونصت فى وثيقة وقفها على أن «من يفد إليها يحق له الإقامة وأخذ نفقته من الوقف المرصود لها». كما اقترح «على بن يحيى» على «بن خاقان» وزير المتوكل العباسى أن «يقف قسمًا من ثروته لإنشاء مكتبة فى سامراء يوقفها على طلبة العلم. فعمل بنصيحته، وجلب لها الكثير من الكتب التى نسخت من مكتبات بغداد».

وذكر «ياقوت الحموى» أنه كان يوجد فى أيامه فى مدينة مرو خزانتان للكتب فى جامع المدينة، إحداهما يقال لها العزيزية وكان فيها اثنا عشر ألف مجلد، والأخرى يقال لها الكمالية. وكان من عادة العلماء والمحسنين وكثير من الناس أن يوقفوا الكتب فى حياتهم، أو بعد مماتهم فى المساجد لتوضع تحت تصرف طلبة العلم. وأورد «ابن النديم» فى كتابه الأنصاف والتحرى أن خزانة الكتب بجامع حلب قد نهبت فى فتنة حدثت فى المدينة فأمر الوزير «أبو النجم هبة الله بن بديع» بتجديدها ووقف غيره كتبًا أخرى.

ويذكر «ابن جبير»(٢) فى رحلته إلى مصر ما يدل على مبلغ إعجابه بمكتباتها يقول: «ومن مناقب هذا البلد ومفاخره (أى مصر) أن الأماكن فى هذه المكتبات قد خصصت لأهل العلم فيهم. فهم يغدون من أقطار نائية،

أسهمت أموال الوقف بنصيب وافر فى تنمية العملية التعليمية والبحثية وازدهار الحركة العلمية فى الحضارة الإسلامية

فيلقى كل واحد منهم مأوى يأوى إليه ومالا يصلح به أحواله جميعًا. وبلغ من عناية السلطان بهؤلاء الذين يفدون للاستفادة العلمية أن أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها، وخصص لهم مستشفى لعلاج من مرض منهم وخصص لهم أطباء يزورونهم وهم فى مجالسهم العلمية، وخصص لهم الخدم لقضاء حاجتهم.

ولقد حوت المكتبة التى أوقفها ابن مليس الوزير الفاطمى على غرف عديدة للمطالعة، وقاعات خاصة للمحاضرات والمناظرات، وقاعة خاصة لتوجيه الباحثين والناشئين، وأعطيت من ريع وقفها مرتبات لطلبة العلم والعلماء والقائمين عليها. ومن المكتبات الوقفية المشهورة فى تاريخ المسلمين المكتبة التى بناها ووقفها بنو عمار فى طرابلس الشام، وكانت آية فى السعة والضخامة، يقال إنها اشتملت على مليون كتاب.

مكتبات الوقف فى الأندلس والمغرب

انتشرت مكتبات الوقف فى الأندلس والمغرب على مر التاريخ. فهناك مكتبة مسجد طليطلة، ومكتبة المسجد الجامع بقرطبة التى أسسها الخليفة الأموى الحكم المستنصر سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، وأقام لها موظفين مخصصين للعناية بشئونها، وجمع فيها النساخ، وعين لها عددًا كبيرًا من المجلدين. وكذلك مكتبة مسجد الزهراء ومكتبة مسجد مالقة. وكان العلماء يدعمونها بما يحبسونه عليها من كتب، ومنهم «محمد بن لب الكنانى» الذى وقف جزءًا كبيرًا من مكتبته الخاصة على الجامع الكبير بمالقة، وكان «ابن لب» (ذاكرًا للعلوم القديمة معتنيًا بها عاكفًا عليها، وقبل وفاته حبس داره وطائفة من كتبه على الجامع الكبير ومكتبته.

وقام المسجد بدور المدرسة، ولذلك وجد فيه كثير من الكتب القيمة. وتذكر المستشرقة «زيجريد هونكة» أن الحكام أنشأوا فى كل حى دارًا للكتب وزودوها بمئات

الألوف من الكتب، وجعلوها فى متناول الجميع وفى مختلف فروع المعرفة، وكانت مجموعاتها ما بين عشرة آلاف ومائة ألف مجلد. كمكتبة إشبيلية العامة أيام «الراضى بن المعتمد». وكان الإنفاق على المكتبات بصفة عامة من ريع الأوقاف التى توقف عليها؛ حيث كانت الدولة تخصص لها أوقافًا معينة. ويقدم لها بعض الأغنياء وأهل الخير أوقافًا تساعد فى الإنفاق عليها. وكان العديد من الأهالى يحبسون كثيرًا من أموالهم على المساجد ومكتباتها مثلما فعل «عبد الملك بن حبيب السلمى» (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م) الذى كان له أرض وزيتون بقرية «بيرة» (من أعمال غرناطة).

كما جرت العادة أن تسلم الكتب الخاصة الموقوفة إلى مكتبات المساجد، أو الخزانات العامة، لتوضع تحت تصرف طلاب العلم والعلماء. فها هو العالم «أبو الوليد الباجى» (ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) أوقف كل كتبه على مسجد بيرة عند «أبى الحكم عبد الرحمن بن الحاج اللخمى» (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م) خطيب المسجد القائم بالإشراف على مكتبة المسجد. وكذلك العالم «ابن مروان الباجى» الذى وقف كل كتبه على مكتبة المسجد الجامع بإشبيليه. فكان الوقف الطريقة التى حصلت بها الجامعات العظيمة مثل جامعتى قرطبة وطليطلة على مكتبتيهما.

وعلى العموم.. كانت الكتب الموقوفة منهلاً صافيًا لطلاب العلم، وكان بعض العلماء يحبسون كتبهم عند أشخاص يثقون فيهم لضمان الحفاظ عليها وعدم تبديدها، وحتى يستفيد منها طلبة العلم بعد وفاة حابسها. ومنهم هارون بن سالم (ت٢٣٨هـ/٨٥٢م) الذى وقف كتبه عند «أحمد بن خالد»، و«قاسم بن سعدان بن عبد الوارث» (ت٣٤٧هـ/٩٥٧م) الذى حبس كتبه عند «محمد ابن أبى دليم». وقام الفقيه «محمد بن عيسى بن إسحاق التجيبى» (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م) بحبس كتبه على طلاب العلم بالعدوة. وأوقف «أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدى الحميدى» (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) كتبه على أهل العلم فانتفع بها الناس. كما قام «محمد بن على بن ياسر الأنصارى الجيانى» (ت٥٦٣هـ/١١٦٨م) بوقف كتبه على أصحاب الحديث. و«محمد بن محمد بن محارب الصريحى المالقى» (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) فقد عهد بربع كبير على طلبة العلم وحبس عليهم كتبه(٣).

وقد ظلت هذه المكتبات، وغيرها كثير، تفتح أبواب المعرفة أمام الجميع. فضلاً عن كونها محط أنظار العلماء وطلاب العلم، وحققت «التواصل العلمى» فيما بينهم. كما أمها مختلف الطلاب (المسلمين والنصارى) لا من الأندلس فقط ولكن من أنحاء أخرى من أوروبا وأفريقيا وآسيا. ولم تكن تلك المكتبات مجرد خزائن كتب؛ وإنما كانت مؤسسات تعليمية وتربوية أيضًا، فقد كانت أشبه ما تكون بالمدارس والجامعات وبناء على ذلك أسهمت بنصيب وافر فى العملية التعليمية والعلمية فكانت مكانًا لعقد حلقات الدرس والمحاورات والمناقشات بين العلماء وأهل العلم، وهو ما يتيح الفرصة للطلاب لعرض الأسئلة والاستفسارات وتلقى الإجابة عنها.

لذا فليس من المستغرب، وبفضل تلكم الأوقاف على المكتبات والكتب - أن نشأت حضارة شامخة يشار إليها بالبنان فى مختلف صنوف العلم والمعرفة. كان من ركائزها توفير الكتب للعامة. فانتشرت المكتبات فى طول البلاد وعرضها، وتعلق الأندلسيون بالكتب تعلقًا لافتًا للنظر، وانتشرت موجة حب الكتب والقراءة بين جميع طبقات المجتمع الأندلسى بلا استثناء.

فى الختام: كان، وما يزال، للوقف الإسلامى دوره الكبير فى خدمة المجتمع والأمة والحضارة الإسلامية فى كافة مناحيها. وهو قد رعى، ويرعى، العلم والمعرفة وطلابهما. لذا فنراه قد شيد وعمر واحتضن مؤسساته الحضارية، كالمساجد، ودور العلم، والمكتبات بأنواعها المتعددة. وغاية، هذه الأخيرة، بحفظ وصيانة كنوز المعرفة وتنظيمها وإتاحتها للعامة والخاصة. كما أنها تعطى صورة صادقة لمفخرة من مفاخر الحضارة الإسلامية ومآثرها. لذلك، وغيره، وليس تحيزًا أو مجانبة للموضوعية فى شىء القول: بأحقية حضارتنا العربية الإسلامية أن تقف مرفوعة الرأس، شامخة البنيان. فقد قدمت للإنسانية منارات هادية، وإبداعات متميزة فى مجالات الحياة المختلفة. وفى هذه السطور - تذكير سريع - بشمس من شموسها التى سطعت على العالم، وأضاءت ليله الدامس.

الهوامش:

(١) (للمزيد مصطفى السباعى: من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٤٠٥هـ).

(٢) (رحلة ابن جبير، ص: ٢٧٢، وما بعدها).

(٣) (للمزيد راجع أنور محمود زناتى: الوقف على المكتبات فى الحضارة الإسلامية.. الأندلس نموذجًا، على الشبكة العنكبوتية).

الغضب وأثره المدمر على الفرد والمجتمع

د. ربيع خليفة عبد الصادق بيومى

إن الغضب عدو العقل، وهو له كالذئب للشاة، وهو من الصفات التى ندر أن يسلم منها أحد، فهو ينسى الحرمات، ويدفن الحسنات، ويخلق للبرئ جنايات، والغضب: الشدة، ورجل غضوب: أى شديد الخلق.

ومعناه: تغير يحصل عند فوران دم القلب ليحصل عنه التشفى فى الصدر، والغضب جماع الشر، ومصدر الهلاك، وعنوان الدمار، الغضب خلق أحمق، وتصرف أهوج، وداء مزعج، وخطر محدق، وشيطان أخرس.

الغضب نار الفؤاد، وجمرة فى القلب، وشرارة فى العين، وحمرة فى الوجه، وتوتر فى الأعصاب، وانتفاخ فى الأوداج، وحمق فى التصرف، ومسارعة للانتقام، ومبادرة للتشفى؛ آثاره أليمة، وعواقبه وخيمة، دُمّرت به أُسر، ومُزقت به بيوت، وقطعت به أرحام، وأُشعلت به فتن، وقامت بسببه محن، وزرعت بفعله إحن، رملت به نساء، وأريقت به دماء، يُغضب الرحمن، ويُفرق الإخوة، ويُعمى الأبصار، ويصم الآذان. الغضب: خُلُقٌ ذميم، وتصرف لئيم، وفعل مشين، مفتاح لأكثر البلايا، وسبب لأعظم الرزايا، وهذا إذا زاد عن حده، وخرج عن قصده، وإلا فإن الغضب موجود، وبعضٌ منه محمود.

أولا: أسباب الغضب

بواعث الغضب وأسبابه كثيرة جدًا، والناس متفاوتون فيها، فمنهم من يغضب للأمر التافه، ومن أسباب الغضب:

١ - العجب بالرأى والمكانة والنسب والمال: إن لم يُعقل بالدين، وذلك برده ودفعه، فالعُجبُ قرين الكِبْر وملازم له، والكبر من كبائر الذنوب، قال ﷺ: **«ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه......»** (المعجم الأوسط للطبرانى).

٢ - المراء والجدال: قال عبد الله ابن الحسين: «المراء رائد الغضب فأخزى الله عقلا يأتيك به الغضب».

٣ - المزاح: فبعض المكثرين من المزاح يتجاوزون الحد المشروع منه: إما بكلام لا فائدة منه، أو بفعل مؤذ، قد ينتج عنه ضرر بالغ، ثم يزعم بعد ذلك أنه كان يمزح، قال ﷺ: **«لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه جادًا ولا لاعبًا، وإذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليرددها عليه»** (مسند أحمد).

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «إياك والمزاح فإنه يجر القبيح ويورث الضغينة»،

وقال ميمون بن مهران: «إذا كان المزاح أمام الكلام كان آخره اللطم والشتام».

٤ - بذاءة اللسان وفُحشه: بشتم أو بسب أو تعبير مما يوغر الصدور، ويثير الغضب، وقد قال النبى ﷺ: **«وإن الله ليبغض الفاحش البذىء»** (رواه الترمذى).

٥ - الغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه: قال الإمام الغزالى: «من أشد البواعث عليه عند أكثر الجهال، تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر وهمة».

ثانيًا: أنواع الغضب

الغضب ثلاثة أنواع: محمود، ومذموم، ومباح.

فالغضب المحمود: ما كان لله تعالى عندما تنتهك محارمه، وهو ثمرة من ثمرات الإيمان إذ إن الذى لا يغضب فى هذا المحل ضعيف الإيمان. وما أكثر ما تنتهك محارم الله تعالى فى هذا الزمان علناً وسرّاً.

والغضب المذموم: ما كان فى سبيل الباطل والشيطان كالحمية الجاهلية. وصدق من قال: «الغضب ريح تهب على سراج العقل فتطفئه».

والغضب المباح: ما كان فى غير معصية الله تعالى، ولم يتجاوز حدُّه كأن يجهل عليه أحد، وكظمه هنا خير وأبقى.

ثالثًا درجات الناس فى قوة الغضب

١ - التفريط: ويكون ذلك بفقد قوة الغضب بالكلية أو بضعفها. وهو الذى يقال فيه: إنه لا حمية له، ولذلك قال الشافعى: «من استغضب فلم يغضب فهو حمار»، فهذا قد فقد معنى الغيرة، والعزة، ورضى بقلة الأنفة واحتمال الذل.

٢ - الإفراط: ويكون بغلبة هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين، ولا تبقى للمرء معها بصيرة ونظر، ولا فكرة، ولا اختيار.

شدة التطلع وكثرة الأسئلة والإصغاء لكل قائل وناقل يثير الغضب ويجلب الحقد والكراهية

٣ - الاعتدال: وهو المحدود، وذلك بأن ينتظر إشارة العقل والدين. فينبعث حيث تجب الحمية، وينطفئ حيث يحسن الحلم.

رابعًا: علاج الغضب

(أ) الاستعاذة بالله من الشيطان: قال تعالى: **﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** (سورة فصلت الآية ٣٦)، وعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: كنت جالسًا مع النبى ﷺ ورجلان يستبان، فأحدهما احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبى ﷺ: **«إنى لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد»** (رواه البخارى).

(ب) تغير الحال: عن أبى ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»** (رواه أبو داود).

(جـ) ترك المخاصمات والسكوت: فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«وإذا غضب أحدكم فليسكت»** (رواه أحمد).

ولقد غضب يومًا عمر بن عبد العزيز، فقال له ابنه عبد الملك: «أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب، فقال له: أو ما تغضب يا عبد الملك، فقال عبد الملك: وما يغنى عنى سعة جوفى إذا لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر».

(د) الوضوء: عن عطية السعدى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الغضب من الشيطان وإن**

الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» (رواه أبو داود).

(هـ) **الجلوس واللصق بالأرض:** قال ﷺ: «**ألا إن الغضب جمرة توقد فى جوف ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فإذا وجد أحدكم شيئًا من ذلك فالأرض الأرض**» (رواه أحمد) وفى المستدرك «**فليلزق بالأرض**».

خامسًا: فضل ترك الغضب

١ - **الظفر بمحبة الله تعالى والفوز بما عنده:** قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (سورة الشورى الآية ٣٧)، وعن ابن عباس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة من كُن فيه آواه الله فى كنفه، وستر عليه برحمته، وأدخله فى محبته**» قيل: ما هن يا رسول الله: قال: «**من إذا أعطى شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضب فتر**» (رواه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين).

٢ - **سبب دخول الجنة:** فعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله، دلنى على عمل يدخلنى الجنة، قال: «**لا تغضب، ولك الجنة**» (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير).

٣ - **النجاة من غضب الله تعالى وعذابه:** فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما يمنعنى من غضب الله؟ قال: «**لا تغضب**» (صحيح ابن حبان) فالجزاء من جنس العمل، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله تعالى خيرًا منه. وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب»، وقال ابن القيم: دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكًا فى دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان على خلقه.

٤ - العمل بوصية رسول الله ﷺ: فعن أبى هريرة رضي الله عنه: أن رجلا قال للنبى ﷺ أوصنى قال: «**لا تغضب، فردد مرارًا قال: لا تغضب**» (رواه البخارى). وفى رواية أحمد «قال الرجل: ففكرت حين قال النبى ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله. قال السعدى: هذا يتضمن أمرين عظيمين:

أحدهما: الأمر بفعل الأسباب، والتمرن على حسن الخلق، والحلم والصبر، وتوطين النفس على ما يصيب الإنسان من الخلق، من الأذى القولى والفعلى، فإذا وفق لها العبد، وورد عليه وارد الغضب، احتمله بحسن خلقه، وتلقاه بحلمه وصبره، ومعرفته بحسن عواقبه، فإن الأمر بالشىء أمر به، وبما لا يتم إلا به، والنهى عن الشىء أمر بضده، وأمر بفعل الأسباب التى تعين العبد على اجتناب المنهى عنه، وهذا منه.

والثانى: الأمر - بعد الغضب - أن لا ينفذ غضبه: فإن الغضب غالبًا لا يتمكن الإنسان من دفعه ورده، ولكنه يتمكن من عدم تنفيذه. فعليه إذا غضب أن يمنع نفسه من الأقوال والأفعال المحرمة التى يقتضيها الغضب. فمتى منع نفسه من فعل آثار الغضب الضارة، فكأنه فى الحقيقة لم يغضب، وبهذا يكون العبد كامل القوة العقلية، والقوة القلبية.

وقال ميمون بن مهران: جاء رجل إلى سلمان رضي الله عنه فقال: يا أبا عبد الله أوصنى، فقال: لا تغضب، قال: أمرتنى أن لا أغضب، وإنه ليغشانى ما لا أملك، قال: فإن غضبت فاملك لسانك ويدك.

وقال ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب**» (رواه البخارى).

٥ - إغلاق باب من أبواب العصيان: قال ابن القيم: «ولما كانت المعاصى كلها تتولد من الغضب والشهوة، وكان نهاية قوة الغضب القتل، ونهاية قوة الشهوة الزنا جمع الله تعالى بين القتل والزنا، وجعلهما قرينين فى سورة الأنعام، وسورة الإسراء، وسورة الفرقان، وسورة الممتحنة، والمقصود أنه

سبحانه أرشد عباده إلى ما يدفعون به الغضب والشهوة من الصلاة والاستعاذة».

قيل لعبد الملك بن المبارك: اجمع لنا حُسن الخلق فى كلمة، قال: ترك الغضب.

ومما ينبغى أن يدركه الإنسان أن سرعة الانفعال والغضب تؤثر على صحته وحياته، وإن من الجنون أن يغضب إنسان لمال قليل، فيصاب من الغضب بمرض لا يكفى جميع ماله لعلاجه، وإن من الأمور التى تمنع من تولد الغضب أن لا يكون الإنسان شديد التطلع، كثير الأسئلة، أذنا لكل قائل وناقل والبحث عما يقوله الناس فيه، فيجلب على نفسه بلاء، ويوجد فى قلبه أحقادًا وكراهية وغمّا وهو فى غنى عنها. وهذا الأمر مهم وضرورى للقادة.

سادسًا: صور من هدى السلف عند الغضب

سبَّ رجل ابن عباس رضي الله عنه، قال: يا عكرمة، هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى.

وقال أبو ذر رضي الله عنه لغلامه: لم أرسلت الشاة على علف الفرس؟ قال: أردت أن أغيظك. قال: لأجمعن من الغيظ أجرًا أنت حر لوجه الله تعالى.

وأسمع أبو الدرداء رضي الله عنه كلامًا، فقال: يا هذا، لا تغرقن فى سبنا، ودع للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

وقال الأحنف بن قيس لابنه: يا بنى إذا أردت أن تواخى رجلاً فأغضبه، فإن أنصفك، وإلا فاحذره.

وشتم رجل الشعبى، فقال له: إن كنت كما قلت فغفر الله لى، وإن لم أكن كما قلت، فغفر الله لك.

وأغلظ رجلٌ القول لعمر بن عبد العزيز، فنظر إليه عمر، فقال: أردت أن يستفزنى الشيطان بعزّ السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله منى غدًا؟

وأختم بما رواه عطاء ابن السائب عن أبيه، قال: صلى بنا عمار بن ياسر رضي الله عنه صلاة، فأوجز فيها، فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة، فقال: أما على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قام تبعه رجل من القوم، فسأله عن الدعاء، ثم جاء فأخبر به القوم: **«اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحينى ما علمت الحياة خيرًا لى، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيرًا لى، اللهم وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب، وأسألك القصد فى الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، فى غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين».**

اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك.

الدعوة الإسلامية وأهمية العمل الاجتماعى

د. ليلى بيومى

الصورة الرائجة للدعوة الإسلامية هى إما الدعوة الدينية البحتة أو الدعوة الدينية المقترنة بالخطاب السياسى الذى قد يقل فيعد مقبولاً أو يزيد فتختفى معه الدعوة الدينية أو تكاد. والعمل السياسى أساسًا يعتمد على الإكثار من الكلام غير المقترن بالعمل. وفى مقابل هذه الصورة نجد الفاعلية فى العديد من الجمعيات الإسلامية التى اختارت الدعوة الدينية مقترنة بالعمل الاجتماعى.

وإذا كانت الدعوة الإسلامية المصرية قد ركزت على الخطاب السياسى فى العقود الماضية، فإنه بعد ثورة ٢٥ يناير صار لزامًا عليها أن توثق علاقاتها بالشارع المصرى بصورة أكبر من أجل خدمة الفقراء الذين ساءت أحوالهم نتيجة الخصخصة ونمو حركة الاحتكارات، في ظل تراجع دعم الدولة للفقراء، وبيع القطاع العام، مما خلف معه أزمات خطيرة ومتراكمة في المجتمع المصرى.

ولن يبدأ العمل الإسلامى من الفراغ فى هذا المضمار الاجتماعى، فأمامه خبرة «الجمعية الشرعية» التى استطاعت أن تقدم خدمة صحية راقية بأسعار رمزية استفاد منها ملايين المصريين، ولاقت هذه الخدمة الثناء والمصداقية حتى إن هيئة التأمين الصحي أصبحت ترسل حالات لمستشفيات الجمعية الشرعية للعلاج، لثقتها فى الخدمة التى تقدمها، أما مشروع كفالة الطفل اليتيم الذى تنفذه الجمعية فيمكن اعتباره من أهم وأكفأ البرامج الاجتماعية التى تنفذ فى مصر، وتتعدى كفاءته كفاءة ما تقدمه وزارة الشئون الاجتماعية من برامج وخدمات، أما رعاية اليتيمات وفتح مشاغل لهن ثم تزويجهن، فهو مشروع متميز ونموذج يحتذى، يضاف إليه مشروع الرعاية التعليمية والصحية للأيتام.

الغريب أن مشروعات «الجمعية الشرعية» الاجتماعية كان وراءها في البداية رجل واحد فقط، هو الرجل الفاضل الحاج عبده مصطفى، وهو ثرى سخر ثراءه وفكره لخدمة المسلمين، فكيف سيكون حال الدعوة الإسلامية لو خصصت جزءاً من طاقتها لابتكار برامج خدمية للصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية بمختلف جوانبها؟

المؤكد أن الدعوة الإسلامية ستنجح إذا دخلت مجال العمل الاجتماعى بتصميم وتركيز، لأنها تضم كوادر على درجة عالية من الإخلاص والتفانى ونكران الذات والكفاءة العلمية والتفكير المنظم المبدع والثقافة العالية، وكل ذلك من

دخول الدعوة الإسلامية فى مجال العمل الاجتماعى يسهم فى خدمة الناس والتخفيف عنهم

شأنه أن ينتج أفكارًا تسهم من ناحية في خدمة الناس والتخفيف عنهم، وتسهم من ناحية أخرى فى تجذر علاقة الدعوة الإسلامية بمجتمعها.

ويجب أن نركز فى هذا الصدد على أن العمل الاجتماعى الذى ندعو إلى الاضطلاع به، ليس أسلوبًا نفعيًا انتهازيًا برجماتيًا من أجل تحسين صورة أصحاب العمل الإسلامى فى الشارع، ولكنه عمل مبدئى مخلص لوجه الله وخدمة للناس.

ويجب أن يكون مفهومًا أيضًا أن هذا العمل الاجتماعي النبيل، لا تقوم به الدعوة الإسلامية والحركة الإسلامية من أجل أن يتم إنجاح مرشحيها في الانتخابات، فالعمل لخدمة الناس يجب أن يكون عملاً ثابتًا واستراتيجية دائمة لجميع المسلمين، بصرف النظر عن مشاركتهم في العمل السياسى والانتخابات أو عدم مشاركتهم.

ولقد لفت نظرى فى السنوات الأخيرة ذلك الحجم الكبير من العمل الاجتماعى الخيرى التطوعى الذى تقوم به سيدات فضليات بشكل فردى ودون تأسيس جمعيات أو التحرك من خلال أى عمل مؤسسى، لكن حجم العمل الذى يقمن به وحجم المساعدات التى يقدمنها كبير وعظيم.

إحدى هؤلاء السيدات أدخلت شبكة المياه لإحدى قرى محافظة الجيزة، وحصلت على تبرعات وفرت من خلالها العديد من الشقق السكنية لمحتاجيها، وكانت توفر خدمات العلاج والعمليات الجراحية لعشرات المرضى شهريًا، ثم لثقة الناس فيها جمعت تبرعات أنشأت بها مستشفى لعلاج الحالات المرضية التى تصلها، فضلاً عن تزويج الفتيات الفقيرات واليتيمات المستمر بلا توقف، ثم تقديم القروض الحسنة للفقراء ... وسلسلة أخرى من الخدمات التى لا يمكن تصور أن سيدة واحدة تقوم بها.

سيدة فاضلة ثانية كان والدها طبيبًا مرموقًا وثريًا وورثت عنه الفيلا الفاخرة التى تقيم فيها فى ذلك الحى الراقى، وهى خريجة الجامعة الأمريكية، وعملت براتب ضخم فى إحدى شركات البترول كمسئولة مهمة. إلا أنها استقالت بعدما كبر أبناؤها وسافروا، فقررت أن تتاجر مع الله وأن تتفرغ للعمل الخيرى، وبلا تأسيس جمعية خيرية استطاعت هذه السيدة أن تملأ حى المعادى عملاً وخدمة، ويكفي أن نأخذ مؤشرًا واحدًا نقيس به حجم ما تقوم به، وهو أنه أثناء العدوان الصهيونى على غزة أواخر ديسمبر ٢٠٠٨م ومطلع يناير ٢٠٠٩م .. وعندما أعلنت الحكومة المصرية عن فتح معبر رفح، استطاعت هذه السيدة تجهيز أربع شاحنات محملة بالبطاطين والأغذية والأدوية والملابس خلال يومين اثنين فقط وفى اليوم الثالث كانت هذه الشاحنات رابضة بالقرب من المعبر تنتظر الإذن بالدخول.

سيدة ثالثة متدينة وجدت فى نفسها الزهد فى الشهرة والكلام الكثير ووجدت نفسها مشدودة نحو العمل لأنها بطبعها لا تجيد كثرة الكلام ولا تحبه، تقول هذه السيدة: إن هناك مساحات غائبة عن خريطة الدعوة الإسلامية هذه الأيام، وأنا اخترت حيزًا بسيطًا لأعمل من خلاله. ولقد كان ذلك بفضل الله ثم بتوجيه من والدى وهو خبير فى التربية والتعليم. فقد كان له دائمًا دور كبير فى تقويم منطلقاتى الفكرية وحمايتى من الشطط والدخول فى خلافات فقهية. ولذا فإننى أركز على محورين: الأول إعطاء دروس التجويد وتعليم النساء كيفية تجويد القرآن ونطقه صحيحًا بعد أن درسته فى المعاهد المتخصصة.. فالكثيرون يعتقدون أنهم ماداموا يأخذون ثوابًا على التعتعة فلا داعى للحرص على القراءة الصحيحة. إن الله يأمرنا أن نرتل القرآن ترتيلاً لأن ذلك يجعلنا أقدر على فهم آياته فهمًا مستقيمًا. أما الجانب العملى فى الدعوة فهو أن كثيرًا من الأثرياء والمقتدرين فيهم من الخير الكثير ولكنهم لا يجدون من يستحث نوازع الخير فى نفوسهم كما أنهم لا يجهدون أنفسهم فى تتبع أحوال ونوعيات المحتاجين. ومن خلال عملى كباحثة

اجتماعية أحاول أن أجد طريقًا أصل من خلاله القادر بالمحتاج، فكثير من المجتمعات الفقيرة الآن وذوى الحاجات - نتيجة للتغيرات الاجتماعية ونظام العمران الحديث - منفصلة تمامًا عن المجتمعات المقتدرة اقتصاديًا (الأحياء الراقية). والطرفان فى حاجة إلى بعضهما... فالغنى أيضًا فى حاجة إلى الفقير كى يطهر ماله ويمنح الحق المعلوم الذى أوجبه الله تعالى للسائل والمحروم. ودورى فقط هو إيجاد قنوات الاتصال والتلاحم بين المجتمع المسلم عملاً بقول رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»** رواه البخاري ومسلم.

تضيف هذه السيدة الفاضلة: فى البداية ركزت عملى على الملاجئ ودور الأيتام فأذهب إليهم لأتعرف على ما يحتاجونه من ملابس وأدوات وأجهزة... الخ. وأنتقل بين المصانع التى تنتج الأجهزة التعويضية للمعاقين وكذلك مصانع الملابس. وأستحث فيهم جوانب الخير فمنهم من كان يعطينى ومنهم من يردنى ولكنى لم أيأس وكنت أصبر وأعتمد على الله طالما أننى لا أريد شيئًا لنفسى فأنا ولله الحمد ميسورة الحال، وحينما لا يطلب الإنسان شيئًا لنفسه ويخلص لله ويمشي فى قضاء حاجات الناس فإن الله يفتح له القلوب المغلقة.

وشيئًا فشيئًا عرفنى هؤلاء الناس ووثقوا فىّ وأصبحوا يعطونى كل ما أريد لأنهم يعلمون جيداً ومتأكدون أنه يصل للمحتاجين. ثم تطور الأمر بعد ذلك فمن خلال ترددى على المساجد لإعطاء دروس التجويد تعرفت على كثير من السيدات ومنهم الكثير من الثريات اللاتى أحببن عمل الخير ولما عرفننى وجدن فىّ ضالتهن فأعطيننى كثيرًا من أموالهن لتوزيعها على المحتاجين. وهكذا تكونت لدّى شبكة من المعارف ومن أهل الخير والأثرياء ومن الذين يدلوننى على الفقراء والمحتاجين. وأصبح لدّى كشوف كاملة وأجندات بها أسماء وعناوين وأرقام هواتف الأثرياء والفقراء.

وهكذا، أصبحنا نأخذ من هذا لنعطى ذاك... وهناك الكثير من أهل الخير تخصصوا مثلاً فى علاج المرضى الفقراء الذى لا يستطيعون تحمل نفقات العلاج

تبرز أهمية العمل الاجتماعى فى ظل بيع القطاع العام وتراجع دعم الدولة للفقراء

وإجراء العمليات الجراحية... المهم نستوثق عن مدى هذه الحاجة ثم نوصل هذا الفقير المريض بأحد هؤلاء الكرام. كما أصبحنا نعطى قروضًا حسنة للمحتاجين يسددونها وقتما تسمح لهم الظروف. ومن لا يستطيع السداد أسقطنا عنه جزءًا من القرض. وأحيانًا يطلب منا صيادلة طيبون روشتات العلاج الغالية والتى لا يستطيع الناس شراءها ويقومون بتوفير هذه الأدوية.

سيدة رابعة من هؤلاء السيدات الفضليات العاملات فى المجال الاجتماعى الخيرى التطوعى تقول إنها قرأت كثيرًا عن الانتشار الكبير الذى حققته المنظمات التبشيرية المتعددة المذاهب على مستوى العالم وبالذات فى البلاد النامية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية وأن ذلك كان دائمًا مرتبطًا بإنشاء مؤسسات اجتماعية شاملة تقدم مجموعة واسعة ومتنوعة من الخدمات التعليمية والصحية والمادية إلى المحتاجين.

فالجامعات ومعاهد التعليم الكاثوليكية منتشرة من الفلبين إلى أمريكا الجنوبية وفى أوساط السكان الهنود، والمستشفيات البروتستانتية موجودة فى أفريقيا الوسطى والجنوبية، ومعها معاهد تخريج الحرفيين وعيادات رعاية الأمومة وورش صناعة الأطراف التعويضية والمصانع الزراعية. كل هذه المنشآت من السمات ومن الأساليب التى تتبعها الكنائس الغربية والشرقية في العديد من البلدان النامية.

تقول هذه السيدة إنها بعد أن قرأت ذلك أدركت أنها لا بد أن تستفيد من تجربة المبشرين، وأدركت أن العمل الاجتماعى مهم للدعوة الإسلامية، وأدركت أيضًا أن المرأة العربية لا تقل عن نساء أوروبا فى هذا المجال الاجتماعى.

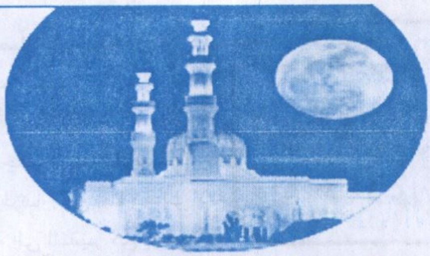

إدارة الأزمات فى المنظور الإسلامى

د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى

إن الإدارة الجيدة تمثل أساسًا راسخًا فى عمليتى تسيير العمل اليومى عمومًا، وأثناء المشكلة أو الأزمة - سواء أكانت داخلية أم خارجية - خصوصًا، بل والتحكم فى خيوطها والعمل على حل مختلف جوانبها حتى لا يتفاقم الموقف، فإدارة الأزمات ما هى إلا الوقاية منها، أو التدخل فى مسار الأزمة فى توقيت مناسب، وفى تحديد أبعادها المختلفة، وتحديد وتوقع آثارها الناجمة عنها، وتشخيص أسبابها، ودرجة تأثيرها على مختلف الجوانب.

فالأزمات ظاهرة ترافق مسيرة الحياة[1]، ولابد من مواجهتها والتخطيط للوقاية منها، أو التقليل من حدتها وآثارها السلبية إذا وقعت، والاستفادة بالخروج منها ومن إيجابيات مواجهتها فى الأزمات المقبلة، فمن خلال دراسة وتحليل إدارة الأزمة نحاول الاستفادة بالخروج منها بأقل الخسائر وتأخير الأزمة اللاحقة، إن لم يتعذر تعطيلها أو المساهمة فى تجنبها.

- ما مفهوم إدارة الأزمات؟: الحديث عن إدارة الأزمة يعتبر حديثًا محوره شىء واحد: هو العمل على منع وقوع المشكلة أو الأزمة، التى هى خاتمة مطاف أى أزمة، وإدارة هذه الأزمة فى حالة وقوعها، وهذه الإدارة للأزمة تقودنا للتساؤل حول انتهاء الأزمة وعدم تجددها مرة أخرى أو احتمال تجددها فى المستقبل؟ وكذا التساؤل عما إذا كانت الأزمة يمكن إدارتها بأساليب معينة والتحكم فيها فى إطار مقبول؟، أم أنها تتصاعد وتفلت من إطار السيطرة والتحكم فيها؟، وهل تصبح الأزمة فى حد ذاتها فى موقف معقد ويصبح المشاركون فيها مجرد أدوات لا قوة لها؟.. كل هذه التساؤلات الحيوية توضح لنا أهمية الإدارة القوية لأى أزمة[2]، وكذلك معرفة نوعية الأزمات مهم جدًا لمعرفة كيف تتم إدارتها، فنوعية هذه الأزمة تدفع المشاركين فيها إلى استخدام كل ما لديهم فى الحل، ووضع الاستراتيجية المناسبة لإدارتها.

فإدارة الأزمات من الفنون الراقية ولم لا؟، فهى فن استراتيجى تخطيطى سياسى واقتصادى واجتماعى وإدارى، فن المواجهة وعدم الخوف، فن السيطرة وعدم الخضوع والاستسلام، فن الوقاية والتدبر من أجل المستقبل، فن إدارة الأزمات، فن حيوى نحتاجه فى حاضرنا ومن أجل مستقبلنا، فهو ليس مجرد فن إدارى عادى، بل هو فن إدارى

استراتيجى تنبؤى حياتى، يحتاجه كل زمان، ويجب العمل به فى كل مكان.. إنه فن يستفيد من دروس الماضى وتجارب الآخرين فى قيادة الحاضر والمستقبل.. ولا يمكن التعامل مع الأزمة فى إطار من العشوائية والارتجالية أو سياسة الفعل ورد الفعل، بل يجب أن يخضع التعامل مع الأزمة للمنهج الإدارى السليم الذى يقوم على أربع وظائف أساسية، هى: أ- التخطيط ب - التنظيم ج - التوجيه د- المتابعة[٣].

. إدارة الأزمات منذ فجر الإنسانية حتى الإسلام: وجدت إدارة الأزمات فى الممارسة منذ عصور موغلة فى القدم، وكانت مظهرًا من مظاهر التعامل الإنسانى مع المواقف الطارئة أو الحرجة، التى واجهها الإنسان منذ أن أُجبر على تحدى الطبيعة وغيره من البشر، ولم تكن تعرف آنئذ - بطبيعة الحال - باسم إدارة الأزمات، وإنما تحت مسميات أخرى، مثل: الحنكة الدبلوماسية، أو براعة القيادة، أو حسن الإدارة.. إلخ، وكانت هذه الممارسة هى المحك الحقيقى لقدرة الإنسان على مواجهة الأزمات والتعامل مع المواقف الحرجة بما تفجره من طاقات إبداعية، وتستفز قدراته على الابتكار.. وهذه القدرات الخاصة كانت الأصل فى نشأة الدبلوماسية بفرض مؤداه: أن قبيلتين اقتتلتا زمنًا طويلاً، حتى أوشك الفناء أن يبيدهما معا، وفى هذه اللحظة الحرجة من تطور الإنسانية ينشط الذكاء العاطل، وتتفتق القريحة الخاملة عن حلول عبقرية تحت ضغط الحاجة إلى تحقيق المعادلة الصعبة؛ وهى تجنب الفناء، وتجنب الهزيمة فى آن واحد، فاختارت إحدى القبيلتين من بين أبنائها

عَرفَ المسلمون فن إدارة الأزمات من توجيه القرآن الكريم ومن الممارسة الفعلية للرسول ﷺ

أكثرهم حكمة، وأربطهم جأشًا، وأوسعهم حيلة، وأوفدتهم إلى القبيلة الأخرى فى أول مهمة سلام عرفها الإنسان، كان هذا الوفد يرتدى ملابس مزركشة زاهية الألوان، وقد تجرد أعضاؤه من الأسلحة التى اعتادوا حملها، وارتسمت على وجوههم ابتسامات ودودة مسالمة، فأحجم أفراد القبيلة الأخرى عن الانقضاض عليهم، وتهشيم رؤوسهم بهراواتهم الحجرية، وأدركوا أن هؤلاء القادمين يختلفون عن غيرهم من المحاربين، ليس بالزى والملامح فقط، وإنما بالنوايا أيضًا، وهكذا نجحت أول مهمة سلام فى التاريخ.

وما يعنينا فى هذا المثال: أن الجماعات الإنسانية قد اهتدت فى وقت مبكر من تاريخها إلى أسلوب آخر، غير أسلوب الصراع البدائى، يمكنها أن تستمر فى تطورها من خلاله، وأنه إذا كان مبدأ البقاء للأقوى قد ساد المراحل من نشأتها، بحيث كان بعضها يتوقف على فناء البعض الآخر منها، فى نزاعها على المراعى أو عيون الماء، فقد اكتشفت فى مرحلة لاحقة أن اقتسام الطعام مع الغير أفضل من الصراع من أجل الاستئثار بها كلها، معرضة بذلك نفسها لخطر الفناء[٤]. وأمثلة الأزمات كثيرة جدا.. ولكن، يمكن أن نرى نموذجين من الأزمات قدمهما لنا الإسلام: أولهما الأزمة التى عايشها سيدنا يوسف عليه السلام فى مصر، كما جاءت فى القرآن الكريم، ثم الأزمة التى عايشها الرسول ﷺ فى المدينة أثناء غزوة الأحزاب.

الأزمة الاقتصادية فى مصر فى عصر يوسف عليه السلام: وقعت هذه الأزمة فى مصر فى عهد يوسف عليه السلام، لمدة سبع سنوات سميت بالسنوات العجاف، لعدم نزول المطر وقلة منسوب مياه النيل الذى تعتمد عليه الزراعة فى مصر لإشباع حاجات الإنسان الضرورية.

الإنذار: بدأ التنبؤ بالأزمة من رؤيا رآها ملك مصر، ولم يجد أعوان الملك من يفسرها إلا يوسف الصديق عندما تذكر ساقى الملك يوسف فى السجن ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة يوسف الآية ٤٦). ففسرها يوسف عليه السلام بسنوات رخاء وسنوات جدب، ووضع لهم خطة بأن يخزنوا المحصولات فى سنوات الرخاء وهم السبع الأول ليمكنهم من توزيعه فى السنوات الجدب، ثم نبأهم بأن السنة الخامسة عشر ستكون رخاءاً وهذا لم يأت فى رؤيا الملك. يقول الحق: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ • ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ • ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾ (سورة يوسف الآيات ٤٧:٤٩). ومعنى ذلك أنه ينبغى للمصريين أن يجدوا ويتقنوا العمل كدأبهم أى كعادتهم، وهذه شهادة لأهل مصر أنهم جادون ملتزمون، مقدسون للعمل منذ الأزل ويضاعفون العمل الجاد المستمر حتى يكون المحصول كبيراً يكفى للاستهلاك الآدمى والتخزين، ثم يدعون القمح فى السنابل حتى لا يأكله السوس أو يتعفن فلا يصلح للاستهلاك بعد ذلك، وذلك أن حنطة مصر ونواحيها لا تبقى أكثر من عامين إلا بحيلة إبقائها فى السنابل فإذا بقيت فيها حفظت ويكون قصبها علفًا للدواب، فلما فسر لهم يوسف عليه السلام الرؤيا طلبه الملك وولاه على خزائن الأرض ليعالج الأزمة بما لديه من علم فى إدارة الأزمات واحتوائها ومعالجتها، والخروج منها دون حدوث مجاعة أو خسائر بشرية أو مادية[٥].

الاستعدادت: التحديد الكمى: كان الملك يأخذ عُشر ناتج ما يفضل من النفقات والمؤن لنوائب الدهر، وهو أول من وضع مقياسًا للنيل بمنف[٦].

بناء المخازن: أمر يوسف ببناء المخازن الكبيرة حتى يمكن حفظ كمية كبيرة من سنابل القمح والشعير فيها. تقول التوارة: وخزن يوسف قمحًا كرمل البحر كثيرًا جداً[٧].. **الاحتواء**: لما أجدبت الأرض فى السنوات العجاف ذهب المصريون إلى المخازن ليشتروا القمح الذى خزن بقيادة يوسف عليه السلام فى السنوات الخُضر، كل فرد له نصيب محدد، حتى يكفى أهل مصر ومن جاورها من البلاد، تقول التوارة: وابتدأت سنى الجوع فى جميع البلدان، أما جميع أرض مصر فكان فيها خبز، وفتح يوسف جميع ما فيها من طعام وباع للمصريين[٨]. يقول القرضاوى: ما قدمتم لهن؛ ما يدل على أن ما استُهلك إنما يتم بحساب وتقدير، فهم الذين يقدمون وهذا دليل القصر، وفيه دليل على مشروعية تدخل الدولة لتقييد الاستهلاك فى أيام الشدائد حفاظًا على الموارد القليلة[٩]. ويدل شراء إخوة يوسف للقمح على انتفاع جيران مصر بالمخزون: ﴿**وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ • وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ**﴾ (سورة يوسف الآيات ٥٨، ٥٩). وكان يوسف يُقدر كيلاً لكل فرد: ﴿**يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ**﴾ (سورة يوسف الآية ٦٥)، أى أن كل فرد كان له قَدر معين، ويستلزم ذلك إحصاء الأفراد وتدوين أسمائهم فى الديوان، وحضارة مصر تستوعب كل ذلك فهم أول من دَوّن المعلومات عن المعارك وأعمال

الملوك والرعية والرحلات التجارية على الأحجار رسمًا أو كتابة، كما ضبطوا الموازين والمكاييل «إنى أوفى الكيل». **النقد واستعادة النشاط**: وفى السنة الخامسة عشر نزل المطر كم تنبأ يوسف عليه السلام: ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (سورة يوسف الآية ٤٩).، وعاد المصريون إلى الزراعة ثم جنى المحاصيل والقيام ببعض الصناعات كعصر الزيوت والعنب والزهور بعد أن كانت الصناعات قد توقفت أثناء الأزمة فى السنوات العجاف، وقد استمروا كما كانوا فى بناء الحضارة. وأخيراً: **التعلم**: أدركوا أهمية التوحيد، وأمنوا بالرسل وتكونت لديهم خبرة فى معالجة الأزمات. وتعلموا أن للدورة الزراعية وجهين: رواج وجدب.. وحددوا الأهداف قبل القيام بالأعمال .. وخططوا للأعمال قبل تنفيذها.. ولاحظوا ودرسوا الظواهر ودونوها.. ووضعوا مقياساً للنيل ولاحظوا وعرفوا من قياسه سنوات الفيضان من عدمه للاستعداد لها.. بل وأدركوا أن قيادة الأزمة تحتاج إلى قائد له صفات محددة؛ كالعلم والحفظ والأمانة والصدق.. وتعاونوا وتكافلوا فى الأزمة.

وللحق فإن الفوائد التى نستنبطها من هذه الأزمة كثيرة جداً قد لا يتسع المجال هنا لحصرها لذلك نكتفى بما سبق.

أزمة المسلمين أثناء غزوة الخندق:

الإنذار: تحالفت قريش مع غطفان وبنى سليم وبنى أسد وفزارة وأشجع وبنى مرة، فكانوا عشرة آلاف، وقائدهم جميعًا أبو سفيان بن حرب، وكان على كل قبيلة قائدها، وتحالفت معهم بنو قريظة؛ وهم من قبائل اليهود التى تسكن المدينة، رغم المعاهدة بينهم وبين الرسول ﷺ، والتى أقروا فيها ألا يخونوا أو يتآمروا مع قريش ضده، وأن يدافعوا عن المدينة مع المسلمين، ولكنهم نقضوا العهد كعهدهم.

الاستعداد: كان أمام الرسول ﷺ بديلان: إما قتالهم وجهًا لوجه، وإما مصالحتهم ولو على حساب ثلث ثمار المدينة. واستشار الرسول ﷺ المسلمين؛ فرفض الأنصار المصالحة وأبوا إلا السيف، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف والعدو عشرة آلاف غير بنى قريظة، والمسلمون ثلثهم أو يَقِلون، وبدأ المسلمون فى الاستعداد للحرب.

الاحتواء: شاور الرسول ﷺ أصحابه فى أسلوب الحرب، فأشار سلمان الفارسى بحفر خندق حول المدينة لمنع العدو من اختراقها والاستيلاء عليها، كما يفعل الفرس فى حماية مدنهم، وأُدخلت النساء الحصون المنيعة، وكانوا مدربين على مداواة الجرحى لقيامهم بها من قبل. وقَسّم الرسول ﷺ المسلمين إلى عدة فرق، كل فريق منهم يتكون من عدة أفراد، وحدد لكل فريق مهمته؛ وهى حفر أربعين ذراعًا كل حسب قدرته، وكل ما يخرج من الحفر يطرح تجاه المدينة حتى لا يستخدمه العدو لردم الخندق، وبث رسول الله ﷺ العيون على الأعداء حتى يأتوه بالمعلومات ويغموا عنه العدو كحذيفة بن اليمان.

وعدهم بالنصر: وأن الله سبحانه وتعالى قد أراه قصور الشام واليمن ومصر وفارس، ومعنى ذلك أن النصر سيكون حليفة ومن معه دائمًا وليس فقط فى تلك المعركة.

تخذيل العدو وتفرقتهم: وكانت تلك مهمة نعيم ابن مسعود للتفريق بين القبائل وبين اليهود؛ وكان قد أسلم ولم يعلم المشركون أو اليهود بإسلامه. وعسكر المسلمون وجبل (سلع) خلفهم لحماية ظهورهم، والخندق من أمامهم، فلم يستطع الأعداء الالتفاف حولهم كما فعلوا فى غزوة أحد، ولم يستطيعوا مهاجمتهم أو اختراق الخندق بأنفسهم أو على خيولهم، وحدثت بعض المعارك الفردية مع بعض الفرسان، وكان النصر لفرسان المسلمين كعلى بن أبى طالب، ثم أنزل الله عليهم الريح فقلعت خيامهم، وألقت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، وهلك

الكراع (الخيل) والخف (الإبل)، فقرر أبو سفيان الرحيل فارتحلوا معه.

وردهم الله بغيظهم لم ينالوا شيئًا؛ أى لم يحققوا هدفهم، وكفى الله المؤمنين القتال، وقرر الرسول ﷺ معاقبة بنى قريظة لنقضهم العهد، كما قرر الرسول ﷺ انتقال المسلمين من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم[١٠].

استعادة النشاط: رجع المسلمون إلى المدينة وعادوا إلى نشاطهم من الزرع والرعى والإعداد للمعارك القادمة التى سينتقلون فيها إلى الهجوم وليس الدفاع، فقد علموا أن المدينة أصبحت فى أمان.

التعلم: تعلم المسلمون أسلوبًا جديدًا فى القتال، كما صبروا وصابروا حتى تحقق الهدف. وكذلك على المسلم إعداد ما يمكنه والنصر من عند الله. وابتكروا بعد ذلك فى الحروب حتى يفاجئوا العدو فيربكوه فينتصروا عليه، وأعدوا الفرق ووزعوا عليها المهمات المتكاملة.. والعمل الجماعى يحقق الأهداف بفعالية.. وحددوا الأهداف لكل عمل.. ووضعوا الخطط والسيناريوهات، وتشاوروا فى كل أمورهم؛ ليعصم رأى الجماعة خطأ الفرد.. وكانوا دائمى الرجوع إلى قائد الأزمة إذا استعصى عليهم شىء.. وأدركوا ضرورة تواجد قائد الأزمة دائمًا معهم؛ لتكون الاتصالات مباشرة لإصدار القرار المناسب لكل موقف.. واستخدموا الموارد المادية المتاحة الاستخدام الأمثل .. ووجهوا الموارد البشرية التوجيه الصحيح.. وحافظوا على الموارد البشرية بحمايتها من الهلاك أمام عدو أكثر عتادًا وعددًا. وأخيرًا تعلموا أهمية توصيل المعلومات الصحيحة لاتخاذ القرار السليم.

هكذا عرف المسلمون الإدارة الجيدة للأزمات، من خلال القرآن الكريم، ومن خلال الممارسة الفعلية لرسول الله ﷺ فى أثناء الأزمات وأكثرها رهبة وشهرة وقوة، فى غزوة الخندق (أو الأحزاب) قال تعالى معبرًا عن قوة الأزمة وحدتها: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (سورة الأحزاب الآية ١٠).

الهوامش والمراجع

١- راجع فى مفهوم الأزمة: السيد عليوه، إدارة الأزمات والكوارث: مخاطر العولمة والإرهاب الدولى، ط٢، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ص ١٣. وأيضًا: محمد عبد الغنى هلال، مهارات إدارة الأزمات، القاهرة، مركز تطوير الأداء والتنمية، ط ٢٠٠٤م، ص ٥١. وأيضًا: أحمد جلال عز الدين، إدارة الأزمة فى الحدث الإرهابى، الرياض، دار النشر بالمركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب، ١٩٩٠م، ص ٢١ - ٢٤.

٢- راجع فى مفهوم إدراة الأزمات: فهد أحمد الشعلان، إدارة الأزمات: الأسس - المراحل - الآليات، الرياض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٢م، ص ١٧، ٢٦، وأيضًا: محسن أحمد الخضيرى، إدارة الأزمات: علم امتلاك كامل القوة فى أشد لحظات الضعف، القاهرة، مجموعة النيل العربية، ط٢، ٢٠٠٢م، ص ٦٦، وأيضًا: عبد اللطيف الهميم، إدارة الأزمة وقيادة الصراع فى الموروث الإسلامى المعاصر، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ص ٢٠٨. وأيضًا: إبراهيم أحمد أحمد، إدارة الأزمات: الأسباب والعلاج، القاهرة، دار الفكر العربى، ٢٠٠٢م، ص ٢٢ - ٣٣. وأيضًا: محمد صدام جبر، إدارة الأزمات: دراسة مقارنة، النموذج الإسلامى والنموذج اليابانى، مسقط، مجلة الإدارى، معهد الإدارة العامة، السنة ٢١ العدد ٧٦، مارس ١٩٩٩م. ص ٨٢ - ٨٣، وص ٢٤٦، ٢٢٠، ٢١٢. وأيضًا: إسماعيل عبد الفتاح، إدارة الصراعات والأزمات الدولية، القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، المكتبة التاريخية، ٢٠٠١م، ص ١٠ وما بعدها.

٣- عباس أبو شامة، إدارة الأزمة فى المجال الأمنى، الإمارات، شرطة الشرقة، مجلة الفكر الشرطى، م٤، ع٣، ١٩٩٥م، ص ٣٠٠.

٤- عباس رشدى العمارى، إدارة الأزمات الدولية المعاصرة، القاهرة، مجلة السياسة الدولية، العدد ٩٠، أكتوبر ١٩٨٧م. ص ٥١ - ٥٢.

٥- سوسن سالم الشيخ، نماذج من إدارة الأزمات فى القرآن الكريم، القاهرة، مجلة مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى، جامعة الأزهر، ٢٠٠٣م، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

٦- مقريزى، الخطط ، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٩٢.

٧- سفر التكوين، الإصحاح ٤١.

٨- سفر التكوين، الإصحاح ٤١.

٩- يوسف القرضاوى، دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى، بيروت، الرسالة، ١٩٩٦، ص ٢٦٦.

١٠- صفى الرحمن المباركفورى، الرحيق المختوم، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ٢٠٠١م، ص ٣٢٦ - ٣٤١.

شمس الإسلام تشرق على العالم

الحضارة الرأسمالية الغربية .. انهيار بعد إبهار

تأليف الدكتور
حامد محمود مرسى

عرض: محمد سيد بركة

لقد حققت الحضارة الرأسمالية الغربية تقدمًا علميًا ماديًا لم تشهد البشرية مثله من قبل فهو تقدم غير مسبوق فى التاريخ البشرى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا التقدم يسير بخطوات متسارعة. فكل يوم بل كل ساعة يضاف جديد فى مجال البحث العلمى والتطبيق العملى للبحوث العلمية، وقد أدى هذا التقدم العلمى المذهل إلى انبهار الكثير من أبناء الدول النامية بصفة عامة وعالمنا العربى والإسلامى بصفة خاصة، ووجدنا من يمجد الحضارة الغربية ليلاً ونهارًا، ويتمنى لو أنه كان أحد أبنائها، وغفل هؤلاء جميعًا عن قول الله سبحانه وتعالى:

﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ • مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ • لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ﴾ (سورة آل عمران الآيات ١٩٦ : ١٩٨).

وفى مقابل هذا التقدم العلمى المادى المذهل، هناك انهيار عظيم فى القيم الأخلاقية والإنسانية والاجتماعية غير مسبوق أيضًا فى التاريخ البشرى. فكل تقدم علمى مادى يقابله انهيار اجتماعى، وكأن

الأمرين متلازمان، إن الشهادة على هذا الانهيار الاجتماعى جاءت من المفكرين الغربيين أنفسهم، هم الذين شاهدوا وتتبعوا الانهيار الأسرى وتفكك البنيان الاجتماعى.

ولم يقتصر الأمر على الانهيار الخلقى والاجتماعى، بل تعداه إلى الانهيار الاقتصادى والمالى حيث تعرض النظام الرأسمالى للعديد من الأزمات الاقتصادية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وقد تم التغلب على هذه الأزمات، ولكن بثمن باهظ تحملته جميع الشعوب على السواء متقدمة كانت أم نامية. ومع بداية القرن الحادى والعشرين، بدأ النظام الرأسمالى فى التعرض لأزمات اقتصادية عميقة الأثر على البنيان الرأسمالى ذاته، ولعل الأزمات المالية الحالية عام ٢٠٠٨م تعتبر من أسوأ الأزمات على الإطلاق وقد ألقت بظلالها على العالم أجمع، ولا يدرى أحد كيفية انتهاء هذه الأزمة، ولا الأثر الذى سوف تتركه على الاقتصاد العالمى. وفى كتاب شمس الإسلام تشرق على العالم.. الحضارة الرأسمالية الغربية.. انهيار بعد إبهار للدكتور حامد محمود مرسى والذى صدر فى القاهرة حديثًا يلقى الكاتب الضوء على النظام الرأسمالى من جميع جوانبه، حتى يضيئ الطريق أمام الجميع حول حقيقة الرأسمالية والأسس الفكرية والفلسفية التى قامت على أساسها هذه الحضارة الرأسمالية، والنتائج المترتبة على تطبيق الأُسس الفكرية والفلسفية فى الواقع العلمى، وأخيرًا التنبؤ بزوال هذه الحضارة، الزائفة، والقائمة أساسًا على امتصاص دماء الضعفاء من شعوب ودول لصالح حفنة قليلة من رجال المال والأعمال والفاسدين من رجال السياسة.

يُعد الإسلام الدين الوحيد الذى يمتلك المنهج الفريد الذى يلبى الاحتياجات المادية للجسد والاحتياجات المعنوية للروح البشرية فى تناسق وتناغم

وقد جاء الكتاب فى فصول خمسة تناول فيها الكاتب الأُسس الفكرية التى قامت عليها الحضارة الغربية المعاصرة والمظاهر السلبية للحضارة الغربية، وواقع الحياة الغربية المعاصرة وانهيار الحضارة الرأسمالية الغربية بعد إبهار.

الإسلام هو الدين الوحيد للبشرية:

يرى الكاتب أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يمتلك المنهج الفريد الذى يلبى الاحتياجات المادية للجسد البشرى، ويلبى فى نفس الوقت الاحتياجات المعنوية للروح البشرية فى تناسق وتناغم. ويستشهد بآراء عدد من الباحثين والمستشرقين الغربيين الذين يحترمون الإسلام. فترى الدكتورة إيلين هاجوبيان - أستاذ علم دراسة أحوال المجتمع البشرى بكلية بوسطن - أن المسلمين عبر التاريخ ظلوا حاملين مشروعًا ذا سمة إنسانية وعبق تاريخى ذا صبغة كونية عالمية يسعى لنشر رسالة الإسلام كديانة وحضارة فى مشارق الأرض ومغاربها. وفى بريطانيا أصدرت مؤسسة (الخدمات المالية

الدولية) تقريرًا يكشف أن المملكة المتحدة بها أكبر عدد من البنوك الإسلامية، التى تفوق أصولها بكثير الأصول الإسلامية فى دول مثل باكستان وبنجلاديش وتركيا ومصر، وهناك ٥٥ كلية ومعهدًا متخصصًا فى الشئون المالية الإسلامية، وهو عدد يفوق نظيره فى أى مكان فى العالم، كما اتخذت فرنسا عدة خطوات فيما يتعلق بالصناعة المالية الفرنسية، وأهمها الجانب القانونى. كما تسعى تايلاند للدخول فى السوق المصرفية الإسلامية، ومحاولة اجتذاب رءوس الأموال من الدول الإسلامية الغنية فى الشرق الأوسط والدول المجاورة لها مثل ماليزيا وإندونيسيا من خلال مؤشر تايلاند المتوافق مع الشريعة الإسلامية الذى يخضع الشركات المختارة للفحص الدقيق للتأكد من خلو نشاطها من أى مخالفة للشريعة الإسلامية مثل: لحم الخنزير والتبغ والخمور، كما تبنت الكنيسة الإنجليكانية (كنيسة كانتربرى) بعض أوجه الشريعة الإسلامية فى بريطانيا فى عدد من القضايا مثل الطلاق.

ويتساءل الكاتب: هل سيستمر العالم الإسلامى فى هذا الخنوع والخضوع والتخلف الحضارى؟ ويجيب: هذا الوضع لن يستمر طويلا؛ لأن العالم الإسلامى بدأ يدرك أبعاد المهمة الحضارية الملقاة على عاتقه والتى يجب عليه القيام بها لأنه هو وحده الذى يمتلك المنهج اللازم لانتشال الإنسانية من الهوة السحيقة التى انزلقت إليها وقد سبق للمسلمين القيام بنفس المهمة الحضارية عندما هزموا الفرس والروم

العالم الإسلامى هو وحده الذى يمتلك المنهج اللازم لانتشال الإنسانية من الهوة السحيقة التى انزلقت إليها

ونجحوا فى توصيل الإسلام للشعوب المقهورة تحت نفوذ هاتين الإمبراطوريتين.

ويضع الكاتب خريطة الطريق لقيادة العالم قائلا: إننى على يقين بأننا نحن المسلمين سوف نرث هذه الحضارة الضالة بشرط العودة إلى دستورنا الذى أنزله الله وهو القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة وضرورة الاستفادة من العقول العلمية المهاجرة، لأنه من العجيب أن يظل العالم الإسلامى يعتمد فى القيادة العلمية والتوجيه على الغرب، وأن يصبح المستشرقون المرشدين الموجهين فى البحث والتحقيق والدراسة والتأليف بالرغم من أن عددًا كبيرًا منهم قساوسة ويهود متعصبون جدًا ويضمرون للإسلام ولرسوله العداوة والبغضاء.

ومما يذكر أن الدكتور حامد محمود مرسى أستاذ ورئيس قسم الاقتصاد بجامعة قناة السويس المصرية، ومن مؤلفاته:

الزكاة طوق النجاة للأغنياء والفقراء، قصة الرأسمالية المرعبة فى النهب والقتل، الإعجاز العلمى فى القرآن والسُّنة، المنهج الإسلامى لعلاج مشكلة الفقر، استغلال الموارد المهدرة فى مصر، صناعة الورق فى مصر ودورها فى استغلال ورق الدشت والمخلفات الزراعية.

التطوع فى الإسلام

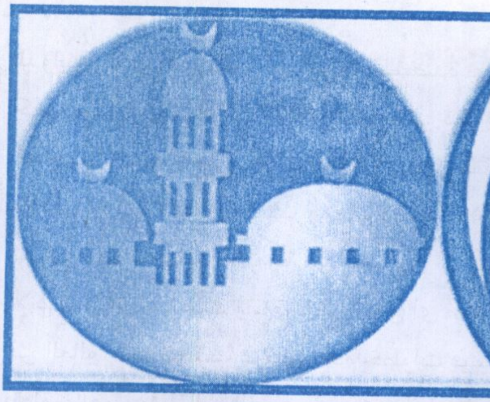

د/ أحمد عوف محمد عبد الرحمن

قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ (سورة البقرة الآية ١٨٤).

يقول النبى ﷺ: **«كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، تعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»**[١].

وقد اتخذت الصدقة فى الإسلام والدولة صورة مؤسسية فى شكل الأوقاف فى صورها المختلفة من خلال المساجد والوقف الاستثمارى لدعم المساجد ودور العلم، كما هو الحال فى دواوين الزكاة فى العديد من الدول الإسلامية[٢].

تستند فكرة «التطوع» بعمل شىء ما إلى رؤية معرفية، أساسها حرية الإرادة والقدرة على التصرف دون إكراه لتحقيق مصلحة أو منفعة ذات صفة جماعية وليست فردية فقط، وعلى أساس هذه الرؤية فإن صيغ العمل التطوعى تتعدد بتعدد الإرادات الفردية، وتنضبط بضوابط الشرائع والقوانين، وكذلك بالمصالح الاجتماعية والمنافع العمومية التى يراها أهل كل مجتمع فى زمن معين يعيشون فيه.

و «الوقف» من أبرز صيغ العمل التطوعى الذى حض عليه الإسلام ومارسه المسلمون على مر العصور وتعاقب الدهور، وجوهر الوقف هو فكرة الصدقة الجارية، كما جاء فى الحديث النبوى: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**[٣]. وفكرة الوقف بهذا المعنى تنتمى إلى منظومة العمل التطوعى وفقًا لتعاليم الإسلام الحنيف، وقد جاء الأمر بالوقف على سبيل الترغيب والندب إلى فضائل الأخلاق والأعمال، وليس على سبيل الإلزام أو الأمر الجبرى الذى لا يملك المخاطب به إلا الانصياع له.

وكافة صور العمل التطوعى فى المنظور الإسلامى مرتبطة بعقيدة الإيمان بالله تعالى، وأن هذا الارتباط هو الذى يوفر لها القوة المعنوية، والطاقة الروحية اللازمة لدفع الفرد للقيام بها طائعًا مختارًا، ولا تستبعد الرؤية الإسلامية أى عمل مهما صغر حجمه أو قلت قيمته، ابتداء من «إماطة الأذى عن الطريق» التى عدها الرسول ﷺ أدنى شُعب الإيمان، وصولا إلى التضحية بالنفس فى سبيل الله تعالى دفاعًا عن الدين والوطن.

وإلى جانب البناء القيمى الأخلاقى للعمل التطوعى فى الرؤية الإسلامية، فهناك تراث غنى من الأبنية المؤسسية والأُطر التنظيمية التى تم تطويرها عبر الممارسات الاجتماعية فى الحقب التاريخية المتتالية، وعبر تلك الممارسات انتقلت فكرة الخير إلى حيز الوجود الفعلى فى صورة أعمال نافعة، كما أن تلك

الممارسات والمؤسسات قد أسهمت بفاعلية فى تقريب المسافة بين «القول والعمل»، أو بين النظرية والتطبيق، وكانت مؤسسات وأبنية الوقف على تنوعها وتعدد وظائفها فى مقدمة تلك المؤسسات والأبنية(٤).

ومعنى ذلك أن ثمة إطارًا واسعًا لمنظومة «التطوع و«العطاء» الاختيارى الذى يحض عليه الإسلام ويزكيه، ومعنى ذلك أيضًا أن «التطوع» بمشتملاته ومكوناته» ليس أمرًا ثانويًا أو هامشيًا فى الحياة الاجتماعية للإنسان (فردًا كان أو مجتمعًا)، وإنما هو مكون أصيل من مكوناتها، وأداة فى الوقت نفسه من أدوات تحقيق غايتها وتلبية احتياجاتها المادية والمعنوية.

والحقيقة أن من خصائص «الرؤية الإسلامية» أنها تقدم مجموعات متكاملة من «الأفكار» القيم - والفضائل» التى تتعدد فى صيغها وتختلف فى وسائل التعبير عنها، وتتباين فى مجالات عملها، غير أن كل مجموعة منها تظل فى مجملها منتمية إلى منظومة واحدة، تحقق هدفًا أو أكثر من أهداف الفرد أو المجتمع أو هما معًا. وينطبق هذا على «منظومة العمل التطوعى»، حيث نجد عديدًا من الأفكار والقيم والمبادئ والأخلاقيات التى نص عليها الإسلام منها «الصدقة، والبر، والإحسان، والتطوع، والنذر»... إلخ، وهى تشمل فى مجموعها منظومة متكاملة من الجهود والأعمال التى تشترك فى كونها «تطوعية»، ونابعة من الإرادة الحرة للفرد وبمبادرة ذاتية منه، ودون إكراه من أى سلطة اجتماعية أو سياسية(٥).

قامت الخدمات التطوعية بلعب دور كبير فى نهضة الكثير من الحضارات والمجتمعات عبر العصور، بصفتها عملاً خاليًا من الربح والعائد كما وأنها لا تمثل مهنة. يقوم بها الأفراد لصالح الجيران والأهل والمجتمع ككل كما تأخذ أشكالا متعددة ابتداء من الأعراف التقليدية للمساعدة الذاتية إلى التجاوب الاجتماعى فى أوقات الشدة ومجهودات الإغاثة، إلى حل النزاعات وتخفيف آثار الفقر. يشتمل المفهوم على المجهودات التطوعية

العمل التطوعى ركيزة فى المجتمع وممارسة إنسانية مرتبطة بكل معانى الخير والعمل الصالح

المحلية والقومية، وأيضًا البرامج ثنائية أو متعددة الجوانب العالمية التى تعبر إلى خارج الحدود.

وقد لعب المتطوعون دورًا هامًا كمًا وكيفا فى رعاية وتطوير الدول الصناعية منها والنامية كما يشكل التطوع أيضًا أساسًا لكثير من نشاطات المنظمات غير الحكومية، والمنظمات المدنية. هذا إضافة إلى كثير من المشاريع فى مجالات محو الأمية، التطعيم وحماية البيئة تعتمد بصورة مباشرة على المجهودات التطوعية.

أصبح العمل التطوعى ركيزة أساسية فى بناء المجتمع ونشر التماسك الاجتماعى بين المواطنين لأى مجتمع، والعمل التطوعى ممارسة إنسانية ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بكل معانى الخير والعمل الصالح عند كل المجموعات البشرية منذ الأزل ولكنه يختلف فى حجمه وشكله واتجاهاته ودوافعه من مجتمع إلى آخر، ومن فترة زمنية إلى أخرى، فمن حيث الحجم يقل فى فترات الاستقرار والهدوء، ويزيد فى أوقات الكوارث والنكبات والحروب، ومن حيث الشكل فقد يكون جهدًا يدويًا وعضليًا أو مهنيًا أو تبرعًا بالمال أو غير ذلك، ومن حيث الاتجاه فقد يكون تلقائيا أو موجهًا من قِبَل الدولة فى أنشطة اجتماعية أو تنموية، ومن حيث دوافعه فقد تكون دوافع نفسية أو اجتماعية أو سياسية(٦).

هوامش:

(١) متفق عليه.
(٢) إبراهيم حسين: العمل التطوعى فى منظور عالمى -المؤتمر الثانى للتطوع. الشارقة (٢٣ - ٢٤ يناير/ ٢٠٠١).
(٣) رواه مسلم.
(٤) إبراهيم البيومى غانم: نظام الوقف، دار الصحابة/ ٢٠٠٢م.
(٥) إبراهيم حسين: مرجع سابق.
(٦) بلال عرابى: دور العمل التطوعى فى تنمية المجتمع، جامعة دمشق، ١٩٩٩.

دور الوقف فى نهضة الأمة

د. أحمد عمر هاشم

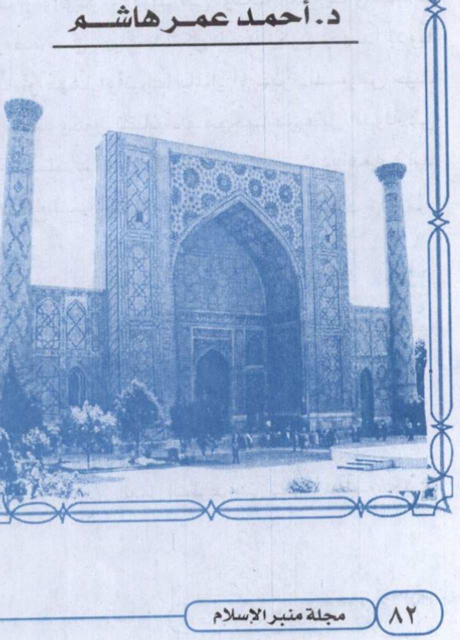

إن الناظر إلى جهود سلف هذه الأمة فى المحافظة على نهوضها وعلى تقدمها، وفى حمايتها من عاديات الزمن، يرى أنهم كانوا يتسابقون على صنائع المعروف أقتداء برسولهم (عليه أفضل الصلاة وأتم السلام)، حيث كان يصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ويقرى الصيف ويعين على ذوائب الزمن، كما جاء فى الحديث الصحيح فى الموقف الأول الذى صافح الوحى الإلهى فيه قلبه الشريف بأول أية فى كتاب الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة: العلق الآيات: ١: ٥) وعندما عاد إلى السيدة خديجة (رضى الله عنها) وأخبرها الخبر قائلاً: «زملونى، زملونى لقد خشيت على نفسى، فأجابته السيدة/ خديجة (رضى الله عنها) من أول وهلة قائلة: كلا والله لا تحرك الله أبدا، إنك لتصل الرحمن وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق».

ولطالما حث رسول الله ﷺ المسلمين على صنائع المعروف ومن أهمها: الوقف، سواء كان وقفا لعقار من الأرض أو لحديقة مثلا أو نحو ذلك من الزروع التى ينتفع الناس بها كما فى قوله ﷺ. «مامن مسلم بغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[١].

وفى رواية للحديث: «إلا كان له به صدقة إلى يوم القيامة». وكان سلف هذه الأمة يسألون رسولهم صلوات الله وسلامة عليه على أفضل الطاعات وأعظم القربات التى يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى، وكان رسول الله ﷺ يجيب كل سائل بما يليق بالحال والزمان والمكان.

وكان يحثهم على التعاون فيما بينهم ويقول: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

وقد أمر القرآن الكريم بالتعاون على البر والتقوى حيث قال الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة الآية ٢).

ومن أهم مجالات التعاون «الوقف» الذى كان يحرص المسلمون عليه، فيقفون كثيرًا من أموالهم وعقاراتهم على الفقراء والمساكين، والمرضى والمحتاجين ويقفون الأوقاف على المساجد وطلاب العلم وأهل القرآن، إلى غير ذلك من وجوه الوقف التى تنتفع بها المجتمعات والأفراد.

وكان الوقف يمثل مصدرًا مهمّا من مصادر المجتمع فى إعانة المرضي والمحتاجين، وفى حل كثير من مشكلات المجتمع.

إلا أن الملاحظ فى هذه العصور الأخيرة أن الوقف قل عن ذى قبل، وتراجع بشكل غريب، مع أن المجتمعات الآن فى أمس الحاجة إليه أكثر من أى وقت مضى، خاصة بعد أن تكاثرت البشرية، وتكاثرت معها المشكلات والأمراض والجهل والأمية والفقر والغلاء والبطالة، وأطلت مشكلات الفقر والجهل والمرض وغير ذلك بشكل ملحوظ يستوجب علينا أن ندعو إلى تنشيط الوقف، وأن ننادى أصحاب الأموال ورجال الأعمال إلى بذل أقصى ما فى الوسع للنهوض بالوقف والإقبال عليه وتنمية موارده، وتطوير آلياته واستخداماته، ليصبح أمانا لكل قطاعات الحياة.

والوقف شعيرة من شعائر الإسلام تنهض بالتكافل الاجتماعى ومساعدة المحتاجين، وبذل المال الذى جعلنا الله تعالى خلفاء عليه حيث قال سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (سورة الحديد الآية ٧).

فنحن خلفاء على المال استخلفنا الله عليه لصرفه فى الوجوه المشروعة ونؤتى المحتاجين

عرفت الأمة الإسلامية الوقف من تعاليم دينها ورأت فيه تطبيقا عمليًا للتكافل الاجتماعى والتعاون على البر والتقوى

منه؛ لأنه مال الله آتانا إياه كما قال الله تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (سورة النور الآية ٣٣).

وقد أوقف رسول الله ﷺ الأرض التى عنده قبل وفاته، وأمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى أرضه بخيبر أن يحبسها أى يوقفها عندما سأله عمر عن ذلك.

ونرى خالد بن الوليد احتبس أسلحته وأدراعه وأعتاده فى سبيل الله، ولقد عرفت أمة الإسلام الوقف من تعاليم دينها ورأت فيه تطبيقا عمليًا للتكافل الإجتماعى والتعاون على البر والتقوى و«الوقف»: هو حبس العين على ملك الواقف والتصدق بمنفعتها، وعند الشافعية والحنابلة: يعرفون «الوقف» بأنه «حبس الأصل وتسبيل المنافع».

ولأهمية «الوقف» فى الإسلام عرفت الأمة عبر عصورها منزلته حتى إنها أطلقت أسمه على اسم وزارات فى كثير من بلاد الإسلام وهى: وزارات الأوقاف، ليكون الحرص البالغ على تنفيذ مال الوقف وعلى إدارته على أكمل وجه.

و«الوقف» : داخل فى عموم بالتعاون على البر والتقوى فى قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة المائدة الآية ٢).

وفى قول رسول الله ﷺ: عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان

انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[٢].

وأيضًا حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: أصاب عمر بخيبر أرضًا، فأتى النبى ﷺ فقال: أصبت أرضًا لم أصب مالاً قط أنفس منها فما تأمرنى به؟ فقال ﷺ: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها» فتصدق بها عمر».

ولقد سارع الصحابة إلى الوقف كما صنع خالد بن الوليد حيث أوقف أدرعه وأعتاده فى سبيل الله، والأعتاد: هى ما يعدّه الرجل من المركوب والسلام وآلة الجهاد.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة، قيل: منع ابن جميل، وخالد بن الوليد، والعباس عم رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«ماينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أدرعه واعتاده فى سبيل الله، وأما العباس فهى علىّ ومثلها معها»**[٣].

قال النووى (رحمه الله): وفيه دليل على صحة وقف المنقول وبه قالت الأمة بأسرها إلا أبا حنيفة وبعض الكوفيين.

ومما يدل على وقف المنقول والحيوان كالفرس والجمل ونحو ذلك ما روى عن أم معقل جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: «يا رسول الله: إن أبا معقل جعل ناضحه فى سبيل الله وإنى أريد الحج أفأركبه؟ فقال رسول الله ﷺ: **«اركبيه فإن الحج والعمرة فى سبيل الله»**.

وللوقف دوره فى نهضة الأمة. حيث يعمل على تنمية مشروعات الخير التى تدعم رسالة العلم والتعليم وتصون الفقراء والمحتاجين، وترعى المرضى والمعاقين وتنشىء مؤسسات الخير وصنائع المعروف، وتواجه مشكلات الجهل والفقر والمرض، ومن أجل ذلك فإننا نناشد أهل الخير ورجال الأعمال ألا يهمنوا مشروعات الوقف فحسبهم أن الذى يقفونه هو صدقة يجرى ثوابها لهم إلى يوم القيامة، ويظل ثوابها دائمًا لصاحبها ولا ينقطع بعد موته.

وحين يكون الوقف على هيئة خيرية أو مشروع فيه إغاثة للمحتاجين فإنه يضمن استمرار الخير والمنفقة للمحتاجين ولا يقتصر الوقف على عقار أو أرض، بل إنه يشمل جوانب أخرى كثيرة يصل الخير من خلالها للمحتاجين، ولكل من ينتفع به فى نفسه أو لغيره.

مجالات الوقف:

من مجالات الوقف: الصدقة الجارية كأن يبنى دارا لإيواء أبناء السبيل أو يبنى مسجدا، أو يجعل قطعة من الأراضى الزراعية يصرف من عائدها على الفقراء والمساكين أو طلاب العلم أو أبناء السبيل أو نحو ذلك من الوجوه.

ومن هذه المجالات: العلم الذى ينتفع به، ومن ترك مصحفا يرثه من بعده فقد قال رسول الله ﷺ: **«إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما نشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته»**[٤].

● ومن مجالات الوقف حفر بئر للماء يستفيد منه الناس فعن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال **«من حفر بئر رومة فله الجنة» قال: «فحفرتها»**[٥] وفى رواية أخرى: **أن البئر كانت لرجل من بنى غفار** يقال له: رومة، وكان يبيع منها القربة بمد فقال له النبى ﷺ: **«تبيعها بعين فى الجنة؟ فقال: يارسول الله ليس لى ولا لعيالى غيرها فبلغ ذلك عثمان فاشترها بخمسة وثلاثين ألف درهم،** ثم أتى النبى ﷺ فقال: **«أتجعل لى ما جعلت له؟ قال: نعم قال:**

قد جعلتها للمسلمين»[٦].

ومن مجالات الوقف: وقف الحدائق والأراضى الزراعية المثمرة التى ينتفع بها المحتاجون.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحه أكثر الأنصار مالا وكان أحب أمواله إليه برجاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت هذه الآية الكريمة ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (سورة آل عمران الآية ٩٢) قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال إن الله تعالى يقول فى كتابه **«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»** وإن أحب أموالى إلىّ برحاء وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت فقال رسول الله ﷺ **«بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح، قد سمعت ما قلت فيها وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه»**[٧].

وهذه الأرض التى وقفها أبو طلحة كانت بستانا من نخل، وكانت بجوار المسجد النبوى.

ومعنى كلمة: «بخ» الاعجاب والسرور بالعمل، ويستنبط من هذا الحديث أن الرسول ﷺ، وجه أبا طلحة أن يجعلها فى الأقربين فجعلها وقفا على أقاربه، وهذا دليل على مشروعية الوقف الأهلى وواضح أن أبا طلحة تبرع بذلك وهو صحيح وفى صحته وليس فى مرض الموت فيؤخذ من هذا أنه يجوز التصدق من الحى فى غير مرض الموت بأكثر من ثلث المال، لأن الرسول ﷺ لم يسأل أبا طلحة عن قدر ما تصدق به، وأما بالنسبة لسعد بن أبى وقاص فقال له: **«الثلث والثلث كثير»**، لأنه كان فى مرض موته، وهذا ما ذهب إليهأيضا الإمام الشوكانى رحمه الله.

- ومن مجالات الوقف: وقف بعض الحيوانات مثل الخيول، عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من احتبس فرسا فى سبيل الله إيمانا واحتسابا فإن شبعه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة حسنات»** وذلك لأنه أوقفه فى طاعة الله تعالى وفى سبيل الله للجهاد.

مشروعات الوقف النافعة تدير دولاب الحياة وتوجد عملاً لمن لا عمل له ومأوى لمن لا مأوى له

- ومن مجالات الوقف أيضا: وقف الادرع ونحوها من السلاح الذى يستخدمه المجاهدون فى سبيل الله لحديث: **«أما خالد فقد أحتبس أدراعه واعتاده فى سبيل الله»** رواه مسلم.
- ومن مجالات الوقف: الوقف لبناء المساجد والمدارس والمستشفيات ودور الإيواء للمحتاجين.
- ومن مجالات الوقف: المكتبات ووقف الكتب العلمية النافعة لطلاب العلم والدارسين والباحثين والذين يريدون الاطلاع والمعرفة.
- ومن الوقف: ما يكون لتوزيع الملابس والكسوة على المحتاجين إلى ذلك من الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل.
- ومن الوقف ما يكون من أجل نشر الدعوة الإسلامية والإنفاق على ما تحتاجه الدعوة من وسائل وآليات ووسائل المواصلات ونحو ذلك.
- والوقف على مدارس تحفيظ القرآن الكريم وعلى مدارس العلم ومعاهدة وجامعاته.

إلى غير ذلك من المجالات التى يمكن أن يوجه الناس أموالهم إليها ويقوموا بالوقف على مشروعات أخرى خيرية ونافعة يجد فيها العاطل عملا يقوم به ويجد فيها الجائع الطعام الذى يأكله، ويجد فيها ابن السبيل ومن لامأوى

له المكان الذى يأوى إليه، ويجد فيها المريض الفقير المستشفى الذى يعالج فيه وهكذا.

الوقف وأثره فى نهضة الأمة وحضارتها:

إن الوقف يعمل على نهضة الأمة وحضارتها ويجعل كل أفرادها يعملون فلا تكون بينهم طاقات عاطلة لأن مشروعات الوقف النافعة تدير دولاب الحياة وتوجد عملاً أمن لا عمل له، وتيسر المأوى لمن لا مأوى له، وإن الذى يقوم بعمل الخير والوقف هو الذى ينتفع حقا بما له فى دنياه وفى أخراه ويجد ثواب ذلك يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فإن الذى يقدمه الإنسان ويوقفه للمحتاجين هو النافع له يوم الدين أما المال الذى يدخره، ولا ينفقه فإنه لا ينفعه ولا يكون معه فى أخره، عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«يتبع الميت ثلاث: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله»**، لأن الذى يدخره إما لورثته من بعده، وإما ينفقه أو يجعله وقفًا على مشروعات الخير فإنه باق، لأنه عند الله سبحانه وتعالى كما قال الله جل شأنه ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (سورة النحل الآية ٩٦).

ويتجلى أثر الوقف فى نهضة الأمة وحضارتها بإقامة المشروعات العمرانية والاستثمارية وإنشاء صروح العمل والإنتاج، ومد يذد العون للمحتاجين والنهوض بالأمة قدما للإمام فمما لا شك فيه أن الوقف يتنافس الناس عليه حبا فى الخير وابتغاء وجه الله ورجاء المثوبة والأجر دنيا وأخرى.

ومن أجل ذلك يدرك العقلاء أن الحكمة كل الحكمة هى فى أن تتكاتف الجهود وتتضافر القوى.. وكم من أصحاب أموال ورجال أعمال يمكنهم أن يتعاونوا فى قيام مشروعات حضارية وقلاع صناعية تنفع المجتمع والأمة وتقوم برعاية حاجات الناس.

الأمة من نهضة وحضارة ومن أجل ذلك كان أول من أسهم بالوقف هو الرسول ﷺ ليعطى القدوة بنفسه فى هذا المضمار عن عمر بن الحارث رضي الله عنه قال: «ماترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا إلا بلغته البيضاء التى كان يركبها وسلاحه وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة».

وهكذا أعطى رسول الله ﷺ القدوة من نفسه لأهمية الوقف حتى تظل الأمة محافظة عليه، اقتداء به كما قال الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب الآية ٢١).

وإننى أدعو أمتنا الإسلامية فى كل مكان إلى إحياء نظام الوقف وأدعو أيضًا وسائل الأعلام إلى التوعية به وبيان أهميته فى هذه المرحلة لتعزيز موقف الأمة فى مشروعاتها وفى مسيرتها لمواجهة سائر التحديات، ولقيام النهضة الحضارية التى تحتاج إليها الأمة ولتقويتها ولإعداد القوة لمواجهة كل التحديات، كما أمر الله تعالى حيث قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (سورة الأنفال الآية ٦٠).

وبالله التوفيق

هوامش:

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

(٤) رواه ابن ماجه.

(٥) رواه البخارى والترمزى والنسائى.

(٦) رواه البقوى.

(٧) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

الهبة

د. سعاد إبراهيم صالح

الهبة شرعاً:

الهبة من عقود التبرعات المحضة أو التصرفات الضارة ضرراً محضاً؛ وهى العقود التى يكون التمليك فيها من غير مقابل، فإن المتبرع لا يطلب عوضاً عما تبرع به.

والهبة شرعا هى التمليك لعين بلا عوض فى حال الحياة تطوعاً(١).

والهبة تقال لما يعم الهدية والصدقة، ولما يقابلهما.

والأصل فيها على الأول قبل الإجماع: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (سورة النساء الآية: ٤)، وقوله ﷺ: «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرش شاة». أى ظلفها(٢).

وانعقد الإجماع على استحباب الهبة بجميع أنواعها؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (سورة المائدة الآية: ٢).

والهبة بر لأنها سبب من أسباب التواد والتحاب، قال ﷺ: «تهادوا تحابوا»(٣).

وقد يعرض لها أسباب تخرجها عن ذلك:

ومن هذه الأسباب: الهبة لأرباب الولايات والعمال؛ فإنه يحرم عليهم قبول الهدية من أهل ولاياتهم ممن ليست له عادة بذلك قبل الولاية.

ومنها ما لو كان المتهب يستعين بذلك على معصية.

وصرفها فى الأقارب والجيران أفضل من صرفها فى غيرهم؛ لما فى الأول من صلة الرحم، ولما روى الثانى فى قوله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»**. والصرف إلى الأول أفضل(٤).

وبما أن الهبة تعد من التصرفات الضارة ضررًا محضًا فإنه لا يصح قبولها من الصبى مطلقًا، سواء أكان مميزًا أم غير مميز، لأنه يشترط فى الواهب الأهلية الكاملة. كما أنه لا يصح له أن يقبلها، لأنه يشترط فى الموهوب له أن يكون فيه أهلية الملك لما يوهب له وذلك بالعقل والبلوغ.

وعلى هذا: فلو وهب الأب لابنه شيئا قام مقامه فى القبض والقبول فالطفل لا يصح قبضه لنفسه، ولا يصح قبوله، لأنه ليس من أهل التصرف ووليه يقوم مقامه فى ذلك. فإن كان له أب أمين فهو وليه، لأنه أشفق عليه وأقرب له، وإن مات أبوه الأمين وله وصى فوليه وصيه؛ لأن الأب أقامه مقام نفسه فجرى مجرى وكيله. وإن كان الأب غير مأمون لفسق أو جنون، أو مات عن غير وصى فوليه الحاكم وأمين الحاكم يقوم مقامه. وكذلك وكيل الأب والوصى فيقوم كل واحد منهما مقام الصبى فى القبول والقبض إن احتيج إليه، لأن ذلك قبول لما للصبى فيه حظ فكان إلى الولى(٥).

وفى هذا يقول ابن المنذر[٦]: «أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن الرجل إذا وهب لولده الطفل دارا بعينها قبض له من نفسه وأشهد عليه أن الهبة التامة؛ وهذا قول مالك والثورى والشافعى وأصحاب الرأى. ثم إن كان الموهوب مما يفتقر إلى قبض كالمنقول، اكتفى بقوله قد وهبت هذا لابنى وقبضته له لأن القبض يغنى عن القبول. ولا يغنى قوله: قبلته، لأن القبول لا يغنى عن القبض. وإن كان لا يفتقر إلى قبول - كالعقار - اكتفى بقوله: قد وهبت هذا لابنى ولا يحتاج إلى ذكر قبض ولا قبول.

قال ابن عبد البر[٧]: «أجمع الفقهاء على أن هبة الأب الصغير فى حجره لا يحتاج إلى قبض، وأن الإشهاد فيها يغنى عن القبض، وأن وليه أبوه: لما رواه مالك عن الزهرى عن ابن المسيب أن عثمان قال: «من نحل ولدًا له صغيرًا لم يبلغ أن يحوز نحلة فأعلن ذلك وأشهد على نفسه فهى جائزة، وأن وليه أبوه».

والدليل على ذلك ما رواه البخارى عن حصين عن عامر قال: «سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنهما وهو على المنبر يقول: «أعطانى أبى عطية فقالت عمرة بنت رواحة: «لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله فقال: إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله» قال: **«أعطيت ولدك مثل هذا؟»** قال: لا قال: **«فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»**. فرجع فرد عطيته».

قال ابن حجر: «الحديث دليل على أن عطية الأب لابنه الصغير فى حجره لا تحتاج إلى قبض وأن الإشهاد فيها يغنى عن القبض، وأن الإشهاد فى الهبة مشروع وليس بواجب»[٨].

واشترط بعض الفقهاء فى قبول الأب الهبة عن ولده أن يقول: «قد قبلته» لأن الهبة - عندهم - لا تصح إلا بإيجاب وقبول. ويرد عليهم بأن قرائن الأحوال ودلالتها تغنى عن لفظ القبول. ولا أدل على القبول من كون القابل هو الواهب. فاعتبار لفظ لا يفيد معنى من غير ورود الشرع به تحكم لا معنى له.

وأجاز الحنفية هبة الأب لابنه الصغير، ويصير قابضًا له مع العقد[٩].

يرى مالك والشافعى أنه إذا فاضل الأب بين ولده فى العطايا أو خص بعضهم بعطية ثم مات قبل أن يستردها ثبت ذلك للموهوب

اشتراط التسوية بين الأولاد فى الهبة

اتفق جميع الفقهاء على أن التسوية بين الأولاد فى الهبة مشروعة؛ لقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾** (سورة النساء الآية: ٥٨).

ولما روى أن النبى ﷺ أمر فى حديث النعمان بن بشير بالتسوية والعدل بقوله: **«اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، إعدلوا بين أبنائكم»**[١٠].

ثم اختلفوا فى وجوب ذلك وعدم وجوبه:

فذهب المالكية والشافعية وأصحاب الرأى إلى استحباب ذلك دون وجوبه[١١].

وذهب الحنابلة والظاهرية إلى وجوب التسوية بين الأبناء فى العطية[١٢].

وهو رأى « طاووس ومجاهد والثورى وإسحاق وداود».

قال الشافعية وموافقوهم: يسن للوالد وإن علا العدل فى عطية أولاده بأن يسوى بين الذكر والأنثى. فلو فضل بعضهم على بعض أو وهب لبعضهم دون بعض يكون مكروهاً وليس بحرام.

واستدلوا على رأيهم بما روى فى الصحيحين عن النعمان ابن بشير رضى الله عنهما أنه قال: «وهبنى أبى هبة. فقالت أمى عمرة بنت رواحة: «لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ» فأتى رسول الله فقال: «إن ابنة فلان سألتنى أن أنحل ابنها غلامى». فقال: **«له أخوة؟»**. قال: «نعم». قال: **«فكلهم أعطيت مثل ما أعطيته؟»**. قال: «لا». قال: **«فليس يصلح هذا، وأنى لا أشهد إلا على حق»**[١٣].

قال الشوكانى[١٤]: الحديث دليل على الندب إلى التأليف بين الأخوة وترك ما يوقع بينهم الشحناء، أو يورث العقوق للآباء. وفى رواية: «فأشهد على هذا غيرى». قالوا: لو كان حرامًا أو باطلاً لما قال هذا الكلام. فإن قيل: قاله تهديداً

قلنا: الأصل فى كلام الشارع غير هذا، ويحتمل عند إطلاقه صيغة أفعل على الوجوب أو الندب، فإن تعذر ذلك فعلى الإباحة. وأما قوله ﷺ - فى رواية - **«لا أشهد على جور»** فليس فيه أنه حرام، لأن الجور هو الميل عن الاستواء والاعتداء، وكل ما خرج عن الاعتدال فهو جور سواء كان حرامًا أو مكروهًا.

قالوا: وقد وضح بما قدمناه أن قوله ﷺ: «أشهد على هذا غيرى» يدل على أنه ليس بحرام فيجب تأويل الجور على أنه مكروه كراهة تنزيه.

وفى هذا الحديث دليل - أيضًا - على أن هبة بعض الأولاد دون بعض صحيحة وأنه إن لم يهب الباقين مثل هذا استحب رد الأول(١٥).

وأيضًا فإن الأمر فى رواية **«اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»** محمول على الندب والاستحباب. والحكمة من هذا الأمر لئلا يفضى بهم الأمر إلى العقوق والتحاسد، ولأن الصديق رضى الله عنه فضل عائشة رضى الله عنها على غيرها من أولاده. وفضل عمر رضى الله عنه ابنه عاصمًا بشىء. وفضل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بعض ولده على بعض... ولأنها عطية تلزم بموت الأب فكانت جائزة كما لو سوى بينهم.

وذهب الحنابلة ومن معهم إلى وجوب التسوية بين الأبناء فى العطية إذا لم يُختص أحدهم بمعنى يبيح التفضيل، فإن خَصَّ بعضَهم أو فاضل بينهم فيها إثم، ووجبت عليه التسوية **بأحد أمرين**؛ إما رد ما فضل به البعض، أو إتمام نصيب الآخر.

واستدلوا على قولهم بما رواه النعمان بن بشير قال: «تصدق على أبى ببعض ماله. فقالت أمى عمرة بنت رواحة: «لا أرضى حتى تشهد عليها رسول الله ﷺ. فجاء أبى رسول الله ليشهده على صدقته. فقال: **«أكل أولادك أعطيت مثله؟»**. قال: «لا». قال: **«فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»**. قال: «فرجع أبى فردَّ تلك الصدقة». وهو حديث صحيح متفق عليه. والجور حرام، والأمر يقتضى الوجوب، لأن التفضيل لبعضهم يورث بينهم العداوة والبغضاء وقطيعة الرحم فمنع منه كتزوج المرأة على عمتها أو خالتها.

وقالوا: أما ما استدل به الشافعية ومن معهم من قول أبى بكر وغيره من الصحابة فلا يعارض قول النبى ﷺ ولا يحتج به معه. ويحتمل أن أبا بكر رضي الله عنه خصَّها بعطيته لحاجتها وعجزها عن الكسب مع اختصاصها بفضلها وكونها زوج رسول الله ﷺ وغير ذلك من فضائلها. ويحتمل أن يكون نحلها ونحل غيرها من ولده أو نحلها وهو يريد أن ينحل غيرها فأدركه الموت قبل ذلك ويتعين حمل حديثه على أحد هذه الوجوه، لأن حمله على مثل محل النزاع منهى عنه، وأقل أحواله الكراهة. والظاهر من حال أبى بكر اجتناب المكروهات.

وقول النبى ﷺ: «فأشهد على هذا غيرى» ليس بأمر، لأن أدنى أحوال الأمر الاستحباب والندب، ولا خلاف فى كراهة هذا. وكيف يجوز أن يأمره بتأكيده مع أمره برده وتسميته إياه جورا. وحمل الحديث على هذا حمل الحديث النبى على التناقض والتضاد. ولو أمر النبى ﷺ بإشهاد غيره امتثل بشير أمره ولم يرد، وإنما هذا تهديد له على هذا فيفيد ما أفاده النهى عن إتمامه.

وهذا الرأى هو الأرجح والأقوى، لما يترتب على التفضيل بين الأولاد من نشر روح التحاسد والتباغض والعقوق، ولأنه يتفق مع ظواهر النصوص التى جاءت بصيغة الأمر، والأمر يفيد الوجوب، والقرينة التى تصرفه إلى الندب قرينة ضعيفة، وحسبنا فى ذلك ما وجد يوسف النبى عليه السلام من إخوته حينما شعروا بحب أبيهم له وتعاطفه معه وأخيه، وما دبروه له من مكائد أدت إلى التفكير فى قتله والتخلص منه ليخلو لهم وجه أبيهم كما يصور ذلك القرآن الكريم:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ • إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (سورة يوسف الآيات ٧ - ٩).

وأحب: أفعل التفضيل، فالقرآن يصور لنا تذمر الإخوة لأن أباهم آثر يوسف وأخاه، وخصهما بدرجة أفضل فى الحب مع استوائهم جميعا فى الانتساب إليه، فسيطر عليهم الشيطان ودفعهم حسدهم إلى تدبير خطة للخلاص من يوسف لكى يخلص لهم أبوهم فيقبل عليهم ويحبهم حبّا كاملا.

وفى توجيه حديث النعمان بن بشير وبيان دلالته على وجوب التسوية فى العطية بين الأولاد يقول ابن القيم(١٦) فى أعلام الموقعين ممثلاً لموافقة السنة لما جاء فى القرآن وبيانها لما ورد مجملا:

«فهلا قلتم إن السنة بيان لمراد الله من القرآن، تفصيلا لما أجمله وتبيينا لما سكت عنه، وتفسيرًا لما أبهمه. فإن الله سبحانه أمر بالعدل والإحسان والبر والتقوى، ونهى عن الظلم والفواحش والعدوان والإثم، وأباح لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث. فكل ما جاءت به السنة فإنها تفصيل لهذا المأمور به والمنهى عنه، والذى أحل لنا والذى حرم علينا، وهذا يتبين بهذا المثال: وهو أن النبى ﷺ أمر فى حديث النعمان بن بشير أن يعدل بين الأولاد فى العطية فقال: **«اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»**. وفى الحديث: **«إنى لا أشهد على جور»**، فسماه جورا. وقال **«إن هذا لا يصلح»**. وقال: «أشهد على هذا غيرى» تهديدًا له، وإلا فمن الذى يطيب قلبه من المسلمين أن يشهد على ما حكم النبى ﷺ بأنه جور، وأنه لا يصلح، وأنه على خلاف تقوى الله، وأنه خلاف العدل.

وهذا الحديث من تفاصيل العدل الذى أمر الله به فى كتابه، وقامت به السماوات والأرض، وأسست عليه الشريعة، فهو أشد موافقة للقرآن من كل قياس على وجه الأرض، وهو محكم الدلالة غاية الإحكام، فرد بالمتشابه من قوله: **«كل أحد أحق بماله من ولده ووالده والناس أجمعين»**. فكونه أحق به يقتضى جواز تصرفه فيه كما يشاء، وبقياس متشابه على إعطاء الأجانب. ومن المعلوم بالضرورة أن هذا التشابه من العموم، والقياس لا يقاوم هذا المحكم المبين غاية البيان».

وقال بن قدامة فى المغنى (١٧):

«والأم فى المنع من المفاضلة بين الأولاد كالأب، لقول النبى ﷺ **«اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» ولأنها أحد الوالدين فمنعت التفضيل كالأب، ولأن ما يحصل بتخصيص الأب بعض ولده من الحسد والعداوة يوجد مثله فى تخصيص الأم بعض ولدها فثبت لها مثل حكمه فى ذلك»**.

وجوَّز بعض العلماء التفاضل إن كان له سبب؛ كأن يحتاج الولد لزمانته أو دينه أو نحو ذلك دون الباقين. وقال بعضهم: تجب التسوية إن قُصِدَ الإضرار (١٨).

وبين ابن قدامة أسباب التخصيص بقوله:

فإن خص بعضهم لمعنى يقتضى تخصيصه، مثل اختصاصه بحاجة أو زمانة أو عمى أو كثرة عائلة، أو اشتغاله بالعلم أو نحوه من الفضائل، أو صرف عطيته عن بعض ولده لفسقه أو بدعته أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله أو ينفقه فيها، فقد روى عن أحمد ما يدل على جواز ذلك لقوله فى تخصيص بعضهم بالوقف: لا بأس به إذا كان لحاجة، وأكرهه إذا كان على سبيل الأثرة والعطية فى معناه»(١٩).

أجمع الفقهاء على أن هبة الصغير فى حجره لا يحتاج إلى قبض وأن الإشهاد فيها يغنى عن القبض

وقيل: الظاهر المنع من التفضيل والتخصيص على كل حال، لكونه ﷺ لم يستفصل بشيرًا فى عطيته. والأولى أولى لوجود المعنى الذى من أجله حصل التفضيل(٢٠).

وذكر ابن حجر فى فتح البارى أجوبة من حمل الأمر بالتسوية على الندب وتعقبها بالمناقشة والرد من وجوه:

الأول: أن الموهوب للنعمان كان جميع مال والده، ولذلك منعه فليس فيه حجة على منع التفضيل. وتعقب: بأن كثيرًا ممن طرق حديث النعمان صرح بالبعضية. وقال القرطبى: «ومن أبعد التأويلات أن النهى إنما يتناول من وهب جميع ماله لبعض ولده وكأنه لم يسمع فى نفس هذا الحديث أن الموهوب كان غلامًا، وأنه وهبه له لما سألته الأم الهبة من بعض ماله». قال: وهذا نعلم منه على القطع أنه كان له مال غيره.

الثانى: أن قوله: «أرجعه» دليل على الصحة، ولو لم تصح الهبة لم يصح الرجوع، وإنما أمره بالرجوع لأن للوالد أن يرجع فيما وهبه لولده، وإن كان الأفضل خلاف ذلك، لكن استحباب التسوية رجح على ذلك فلذلك أمره به. وفى الاحتجاج بذلك نظر: والذى يظهر أن معنى قوله «أرجعه» أى لا تمضى الهبة المذكورة. ولا يلزم من ذلك تقدم صحة الهبة.

الثالث: التمسك بقوله: «ألا سويت بينهم» على أن المراد بالأمر الاستحباب، وبالنهى التنزيه. وهذا جيد لولا ورود تلك الألفاظ الزائدة على هذه اللفظة ولا سيما أن تلك الرواية بعينها وردت بصيغة الأمر أيضًا حيث قال: **«سووا بينهم»**.

الرابع: فى التشبيه الواقع فى التسوية بينهم بالتسوية بينهم فى بر الوالدين[٢١] قرينة تدل على أن الأمر للندب. لكن إطــــلاق الجور على عدم التسوية والمفهوم من قوله **«لا أشهد إلا على حق»** وقد قال فى آخر الرواية التى وقع فيها التثنية قال: **«فلا إذًا»**.

الخامس: عمل الخليفتين أبى بكر وعمر بعد النبى ﷺ على عدم التسوية قرينة ظاهرة فى أن الأمر للندب. فأما أبو بكر فرواه الموطأ بإسناد صحيح عن عائشة: أن أبا بكر قال لها فى مرض موته: «إنى كنت نحلتك نحلا، فو كنت اخترته لكان لك، وإنما هو اليوم للوارث». وأما عمر فذكره الصحاوى وغيره أنه نحل ابنه عاصما دون سائر ولده. وقد أجاب عروة عن قصة عائشة بأن أخوتها كانوا راضين ذلك. ويجاب بمثل ذلك عن قصة عمر.

السادس: أن الإجماع انعقد على جواز عطية الرجل ماله لغير ولده، فإذا جاز له أن يخرج ولده من ماله جاز له أن يخرج عن ذلك بعضهم. ذكره ابن عبد البر. ولا يخفى ضعفه لأنه قياس مع وجود نص.

وحديث بشير قضيته فى عين لا عموم لها، وترك النبى ﷺ الاستفصال يجوز أن يكون لعلمه بالحال. فإن قيل: «لو علم بالحال لما قال: «ألك ولد غيره؟». قلنا: «يحتمل أن يكون السؤال ههنا لبيان العلة».

وإذا فاضل الأب بين ولده فى العطايا أو خص بعضهم بعطية ثم مات قبل أن يستردها ثبت ذلك للموهوب له ولزم، وليس لبقية الورثة الرجوع، وهذا رأى مالك والشافعى وأصحاب الرأى والظاهر عند أحمد وأكثر أهل العلم. وذهب أحمد فى رواية أخرى إلى أن لسائر الورثة أن يرتجعوا ما وهبه، وهو قول عروة بن الزبير وإسحاق؛ ولأن النبى ﷺ سمى بذلك جورا بقوله: **«لا تشهدنى على جور»** والجور حرام لا يحل للفاعل فعله ولا للمعطى تناوله، الموت لا يغيره عن كونه جورا حراما فيجب رده.

كيفية التسوية

لا خلاف بين أهل العلم فى استحباب التسوية، وكراهة التفضيل. ولكنهم اختلفوا فى بيان كيفية التسوية:

ذهب بعض الفقهاء إلى أن التسوية المستحبة أن يقسم بينهم على حسب قسمة الله تعالى فى الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين، وبهذا قال عطاء وشريح وإسحاق ومحمد بن الحسن.

وذهب الآخرون إلى أن التسوية المستحبة أن تُعطَى الأنثى مثل الذكر وبهذا قال أبو حنيفة ومالك والشافعى.

واستدل الأولون على رأيهم:

بأن الله تعالى قسم بينهم فى الميراث فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين؛ وأولى ما نقتدى به هو قسمة الله تعالى. ولأن العطية فى الحياة أحد حالى العطية فيجعل للذكر منها مثل حظ الأنثيين كحالة الموت؛ يعنى الميراث؛ يحققه أن العطية استعجال لما يكون فينبغى على حسبه، كما أن معجل الزكاة قبل وجوبها يؤديها على صفة أدائها بعد وجوبها وكذلك الكفارات المعجلة. ولأن الذكر أحوج من الأنثى من قبل أنهما تزوجا جميعًا فالصداق والنفقة ونفقة الأولاد على الذكر، فكان أولى بالنفصيل لزيادة حاجته. وقد قسم الله تعالى وهو خير الحاكمين الميراث ففضل الذكر مقرونًا بهذا المعنى فتعلل به، ويتعدى ذلك إلى العطية فى الحياة.

واستدل الآخرون على قولهم بوجوب التسوية بين الذكر والأنثى بقوله ﷺ فى رواية مجاهد عن الشعبى عن أحمد: «إن لبنيك عليك من الحق. أن تعدل بينهم فلا تشهدنى على جور، أيسرك أن يكونوا إليك فى البر سواء؟» قال: «بلى». قال «فلا إذًا».

وفى رواية المغيرة عن الشعبى عند مسلم: «اعدلوا بين أولادكم فى النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر»[٢٢].

واختلاف الألفاظ فى هذه القصة الواحدة يرجع إلى معنى واحد. وهو وجوب التسوية، ولأن البنت كالابن فى استحقاق برها وكذلك فى عطيتها.

وعن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ: **«سووا بين أولادكم فى العطية؛ ولو كنت مؤثرًا لأثرت النساء على الرجال»**[٢٣].

ولأنها عطية فى الحياة فاستوى فيها الذكر والأنثى كالنفقة والكسوة وأجابوا على أدلة الأولين الذين قاسوا العطية على الميراث فى الحكم وهو تفضيل الذكر على الأنثى بأن الوارث رضى بما فرض الله بخلاف العطية؛ بل إن الأولى أن تفضل فى العطية، ولأن الذكر والأنثى إنما يختلفان فى الميراث بالعصوبة. فأما إذا كان بالرحم فهما سواء كالأخوة والأخوات من الأم[٢٤] وهذا ما نرجحه ونميل إليه لما يلى:

أولاً: لعموم قوله ﷺ: **«اعدلوا بين أولادكم فى النحل»** لأنه أمر والأمر يفيد الوجوب.

ثانيًا: لأن فى التسوية بينهم تأليفًا للقلوب، والتفضيل يورث الوحشة بينهم، فكانت التسوية أولى.

ثالثًا: لأن العطية تفارق الميراث فى المعنى فلا تقاس عليه. فالهبة مبنية على التطوع والاختيار. أما الميراث فمبنى على الوجوب. والله أعلم.

حكم رجوع الأب فى هبته لولده

ذهب جمهور الفقهاء إلى القول بتحريم الرجوع فى الهبة بعد أن تقبض: وذلك بالنسبة للأجنبى. واستدلوا على ذلك بما رواه ابن عباس أن النبى ﷺ قال: **«العائد فى هبته كالعائد فى قيئه»**[٢٥] وزاد أحمد والبخارى قوله: **«ليس لنا مثل السوء»**.

وعن طاووس أن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما رفعاه إلى النبى ﷺ فقال: **«لا يحل للرجل أن يعطى العطية فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطى ولده، ومثل الرجل يعطى العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب أكل حتى شبع قاء ثم رجع فى قيئه»**[٢٦].

وهذا ظاهر فى تحريم الرجوع فى الهبة والصدقة بعد إقباضهما، وهو محمول على هبة الأجنبى.

وقوله ﷺ فى رواية البخارى: **«ليس لنا مثل السوء»** أى لا ينبغى لنا معشر المؤمنين أن نتصف بصفة ذميمة يشابهنا فيها أخس الحيوانات فى أخس أحوالها فإذا قال الله تعالى: **﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾** (سورة النحل الآية: ٦٠).

ولعل هذا أبلغ فى الزجر عن ذلك وأدل على التحريم مما لو قال مثلاً: لا تعودوا فى الهبة[٢٧].

أما إذا وهب الوالد شيئًا لولده وأراد الرجوع فيه، فقد اختلفت آراء الفقهاء فى حكم هذه المسألة.

فذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الرجوع، وهو رأى المالكية والشافعية والمشهور عن أحمد، والأوزاعى وإسحاق وأبى ثور وابن حزم؛ وذلك إذا توافرت الشروط المعتبرة فى الرجوع.

وذهب الحنفية ورواية لأحمد إلى أنه ليس للأب الرجوع فيما وهبه، وبه قال الثورى والعنبرى[٢٨].

آراء الفقهاء القائلين بجواز الرجوع

قال المالكية[٢٩]: يجوز للأب فقط - لا الجد - اعتصارها أخذها من ولده قهرًا عنه بلا عوض مطلقًا، ذكرًا أو أنثى، صغيرًا أو كبيرًا، سفيهًا أو رشيدًا، حازها الولد أولاً.

وفى المدونة[٣٠]: «قال: أرأيت إن وهب لهم الأب وهم صغار فبلغوا رجالاً ولم يبلغوا دينا، ولم ينكحوا فأراد الأب أن يعتصر هبته، أيجوز ذلك فى قول مالك؟ قال: قال مالك فى الرجل يهب لولده الكبار هبة ثم يريد أن يعتصرها أن ذلك له ما لم يستحدثوا دينًا أو ينكحوا، فكذلك إذا وهب لهم وهم صغار ثم بلغوا فله أن يعتصر هبته ما لم يحدثوا دينًا أو ينكحوا أو تغير عن حالها». والمقصود بقوله ما لم يستحدثوا دينًا. إلخ أى ما لم يترتب عليه حق الغير وهو المعبر عنه بموانع الرجوع.

وقال الشافعية[٣١]: للأب الرجوع على التراخى فى هبة ولده الشاملة للهدية والصدقة، وكذا لبعضها كما فهم بالأولى من دون حكم حاكم، وكذا لبعضها كما فهم بالأولى من دون حكم حاكم، وكذا لسائر الأصول من الجهتين ولو مع اختلاف الدين على المشهور، سواء أقبضها الولد أو لا، غنيًا كان أو فقيرًا، صغيرًا أو كبيرًا.

وعندهم الوالد يشكل كل الأصول إن حمل اللفظ على حقيقته ومجازه. وإلا ألحق به بقية الأصول بجامع أن لكل ولادة كما فى النفقة وحصول العتق وسقوط القود.

وعندهم رأى ثان: وهو أنه لا رجوع لغير الأب من الأصول، مستدلين بقوله ﷺ: **«لا يحل لرجل أن يعطى عطية أو يهب هبة فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطى ولده»**[٣٢]. فالحديث قصر الوالد على الأب، وحملا للفظ على حقيقته. والرأى الأول أعم. وقالوا: يكره للوالد أن يرجع في هبته لأولاده إن عدل بينهم إلا لمصلحة كأن يستعينوا بما أعطاه لهم على معصية وأصروا عليها بعد إنذاره لهم بالرجوع فلا يكره[٣٣].

وقال الحنابلة فى المشهور عنهم[٣٤]: للأب الرجوع فيما وهب لولده، سواء قصد برجوعه التسوية بين الأولاد أم لم يرد».

وقال الظاهرية[٣٥]: «من وهب هبة صحيحة لم يجز له الرجوع فيها أصلاً مذ يلفظ بها، إلا الوالد والأم فيما أعطيا أو أحدهما لولدهما، فلهما الرجوع فيه أبدًا، الصغير والكبير سواء بسواء، تزوج الولد أو الابنة على تلك العطية أو لم يتزوجا، داينا عليها أو لم يداينا».

آراء القائلين بعدم صحة الرجوع

قال الحنفية[٣٦]: لو وهب الأب لذى رحم محرم منه نسبًا - ولو ذميًا أو مستأمنًا - لا يرجع. ولو وهب لمحرم بلا رحم كأخيه رضاعًا، ولمحرم بالمصاهرة رجع.

وقال القاضى فى الرواية الثانية عن أحمد: «الرجوع فى الهبة ليس من محاسن الأخلاق، والشارع ﷺ إنما بعث ليتمم محاسن الأخلاق»[٣٧].

سبب الاختلاف فى المسألة

أرجع ابن رشد بسبب الخلاف فى هذا الباب إلى تعارض الآثار؛ حيث احتج المانعون - مطلقًا - بالعموم الوارد في حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال: **«العائد فى هبته كالعائد يعود فى قيئه»**[٣٨]، وبما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «من وهب هبة يرى أنه أراد بها صلة رحم، أو على وجه الصدقة فإنه لا يرجع فيها. ومن وهب هبة أراد بها الثواب فهو على هبته يرجع فيها إذا لم يرض منها»[٣٩].

واحتج من استثنى الأبوين بحديث طاووس أن ابن عمر وابن عباس رفعاه إلى النبى ﷺ قال: **«لا يحل للرجل أن يعطى العطية فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطى ولده، ومثل الرجل يعطى العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب أكل حتى إذا شبع قاء ثم رجع فى قيئه»**[٤٠].

فقوله: **«إلا الوالد فيما يعطى لولده»** استدل به على أن للأب أن يرجع فيما وهب لابنه. قال الطبرى «يخص من عموم هذا الحديث (حديث ابن عباس) من وهب بشرط الثواب، ومن كان والدا والموهب له ولده، والهبة التى لم تقبض، والتى ردها الميراث إلى الواهب؛ لثبوت الأخبار بالاستثناء كل ذلك. وأما ماعدا ذلك كالغنى يثيب الفقير ونحو من يصل رحمه فلا رجوع»[٤١].

الأدلة:

استدل من قال بعدم الرجوع مطلقا بما روى عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: «من وهب هبة يرى أنه أراد بها صلة رحم، أو على وجه الصدقة فإنه لا يرجع فيها، ومن وهب هبة أراد بها الثواب فهو على هبته يرجع فيها إذا لم يرض منها»[٤٢].

والحديث يفيد بعمومه عدم صحة الرجوع فى الهبة مطلقا، ولأنها هبة يحصل بها الأجر من الله تعالى فلم يجز الرجوع فيها كصدقة التطوع.

واستدل من قال بجواز الرجوع بالألفاظ التى وردت فى حديث النعمان بن بشير فى قوله ﷺ: **«فاردده»** وقوله: **«فارجعه»** وهى تدل على الأمر بالرجوع فى الهبة، وأقل أحوال الأمر الجواز. وقد امتثل بشير بن سعد فى ذلك فرجع فى هبته لولده. ألا تراه قال فى الحديث: «فرجع أبى فرد تلك الصدقة». وحمل الحديث على أنه لم يكن أعطاه شيئا يخالف ظاهر الحديث لقوله «تصدق على أبى بصدقة» وقول بشير «إنى نحلت ابنى غلاما» يدل على أنه أعطاه. وقول النبى ﷺ **«فاردده»** وقوله: **«فارجعه»**: وروى طاووس عن أبن عمر وابن عباس يرفعان الحديث إلى النبى أنه قال: **«ليس لأحد أن يعطى عطية فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطى ولده»** وهذا يخصص عموم ما رووه ويفسره. وقياسهم على هبة الأجنبى منقوض، لأن الهبة إلى الأجنبى فيها أجر وثواب فإن النبى ﷺ ندب إليها[٤٣].

حكم رجوع الأم فيما وهبته لولدها:

تقاربت آراء الفقهاء فى حكم رجوع الأم فيما وهبته لولدها فذهب بعضهم إلى جواز رجوعها كالأب وهم الشافعية والمشهور عند الحنابلة، وذهب البعض الآخر إلى التفريق فى الحكم بين الأب والأم وهم المالكية.

قال الشافعية والحنابلة: «الأم كالأب فى جواز الرجوع فى الهبة لأنها داخلة فى قوله **«إلا الوالد فيما يعطى ولده»**؛ ولأنها لما دخلت فى قول النبى ﷺ: **«سووا بين أولادكم»** ينبغى أن تتمكن من التسوية؛ والرجوع فى الهبة طريق التسوية؛ ولأنها لما دخلت في المعنى فى حديث بشير بن سعد فينبغى أن تدخل فى جميع مدلوله لقوله: **«فاردده»**، وقوله: **«فارجعه»**؛ ولأنها لما ساوت الأب فى تحريم تفضيل بعض ولدها ينبغى أن تساويه فى التمكن من الرجوع فيما فضلته به تخليصا لها من الإثم وإزالة للتفضيل المحرم كالأب»[٤٤].

والمنصوص عن أحمد أنه ليس لها الرجوع. قال الأشرم: «قلت لأبى عبد الله «الرجوع للمرأة فيما أعطته ولدها كالرجل؟» قال: «ليس هى عندى فى هذا كالرجل لأن للأب أن يأخذ من مال ولده والأم لا تأخذ»، وذكر حديث عائشة: «أطيب مايأكل الرجل من كسبه وأن ولده من كسبه»[٤٥].

ورد الشوكانى على أصحاب هذه الرواية بقوله: «إن هذا الحديث حجة عليهم لأنه خص الوالد، وهو بإطلاقه إنما يتناول الأب دون الأم. والفرق بينهما أن للأب ولاية على ولده ويجوز جميع المال فى الميراث؛ والأم بخلافه»[٤٦].

أما المالكية(٤٧). ففرقوا بين الأب والأم فقالوا: «للأم أن ترجع إذا كان الأب حيّا دون ما إذا مات، والأم يجوز لها الاعتصار كما يعتصر الأب ما لم يستحدثوا دينا أو ينكحوا. ومحل كونها لها الاعتصار من ذى الأب ما لم يتيتم بعد الهبة، فإن تيتم فليس الاعتصار منه، لأن يتمه مفوق للاعتصار على المذهب فالحاصل أن الأم لها اعتصار ما وهبته لولدها غير اليتيم لا من تيتم ولو بعد الجعبة ولا يجوز لها الاعتصار وهبت للولد هبة وأريد بها الثواب لا مجرد ذات الولد لأنها صارت حينئذ كالصدقة، وكذا إذا أريد بها الصلة والحنان فتمنع الأم من الاعتصار(٤٨).

وذهب المؤيد بالله وأبو طالب والإمام يحيى إلى أنه لايجوز للأم الرجوع لأن رجوع الأب مخالف للقياس فلا يقاس عليه(٤٩).

موانع الرجوع فى الهبة:

بينا آراء الفقهاء فى حكم رجوع الأب والأم فيما وهباه لولدهما؛ ومنهم المجوزون، ومنهم المانعون ولقد اشترط المجوزون للرجوع شروطا لجواز الرجوع وهى:

أولا: أن تكون الهبة باقية فى ملك الابن، فإن خرجت عن ملكه ببيع أو هبة أو وقف أو إرث أو غير ذلك لم يكن له الرجوع فيها؛ لأنه إبطال لملك غير الولد وإن عادت إليه بسبب جديد كبيع، أو هبة، أو وصية أو إرث لم يملك الرجوع فيها لأنها عادت بملك جديد لم يستفده من قبل أبيه فلا يملك فسخه وإزالته.

ثانيا: أن تكون العين باقية فى تصرف الولد بحيث يملك التصرف فى رقبتها. فإن رهن العين وأفلس وحجر عليه لم يملك الأب الرجوع فيها؛ لأن ذلك إبطال لحق غير الولد فإن زال المانع من التصرف فله الرجوع؛ لأن ملك الابن لم يزل، وإنما طرأ معنى قطع التصرف مع بقاء الملك فمنع الرجوع، فإذا زال المانع زال المنع.

ثالثا: ألا تتعلق بها رغبة لغير الولد، فإن تعلقت بها رغبة لغيره مثل أن يهب ولده شيئا فيرغب الناس فى معاملته، وأدانوه ديونا أو رغبوا فى مناكحته فزوجوه إن كان ذكرا أو تزوجت الأنثى لذلك فلا يصح الرجوع؛ لأنه تعلق به حق غير الابن ففى الرجوع إبطال حقه. وقد قال ﷺ **«لاضرر ولاضرار»**. وقيل: له الرجوع لعموم الخبر الوارد فى الرجوع وهو قول رسول الله ﷺ: **«فارجعه»، «فاردده»**. ولأن حق المتزوج والغريم لم يتعلق بعين هذا المال فلم يمنع الرجوع فيه.

رابعا: ألا تزيد زيادة متصلة كالسمن والكبر وتعلم صنعة فان زادت فعلى رأيين:

أحدهما: لا يمنع الرجوع؛ وهو مذهب الشافعى ورواية لأحمد؛ لأنها زيادة فى الموهوب فلم تمنع الرجوع كالزيادة قبل القبض والزيادة المنفصلة.

والثانى: يمنع؛ وهو مذهب الحنفية ورواية لأحمد؛ لأن الزيادة للموهوب له لكونها نماء ملكه ولم تنتقل إليه من جهة أبيه فلم يملك الرجوع فيها كالمنفصلة، وإذا امتنع الرجوع فيها امتنع الرجوع فى الأصل لئلا يفضى إلى سوء المشاركة وضرر التشقيص. وعلى ذلك فلا فرق بين الزيادة فى العين كالسمن والطول ونحوهما، أو فى المعانى كتعلم الصناعة والكتابة أو القرآن، أو قضاء دين عنه، وأما الزيادة المنفصلة كولد البهيمة وثمرة الشجرة فلا يمنع بغير خلاف نعلمه.

خامسا: مرض الولد الموهوب له؛ فيمنع الرجوع لتعلق حق الورثة بالهبة، إلا أن يزول المرض فله الاعتصار.

سادسا: موت أحد العاقدين بعد التسليم، فلو مات بطل.

سابعا: لا يصح الرجوع إذا جن الأب؛ فيمتنع الرجوع حال جنونه، ولا رجوع لوليه بل إذا أفاق كان له الرجوع.

ثامنا: إذا أحرم الواهب، والموهوب صيد، فإنه لا يرجع فى الحال لأنه لا يجوز إثبات يده على الصيد فى الحال الإحرام.

تاسعا: إذا أرتد الوالد، فلو حل من إحرامه، أو عاد إلى الإسلام والموهوب باق على ملك رجع. ولو هب لولده شيئا ووهبه لولده لم يرجع الأول.

ألفاظ الرجوع:

وألفاظ الرجوع منها ما هو صريح كقوله: قد رجعت فيها أو ارتجعتها أو رددتها ومنها ما هو كناية تحتاج إلى نية كقوله: أخذته، أو قبضته. ولا يحتاج الرجوع إلى حكم حاكم، وبهذا قال الشافعى. وقال أبو حنيفة: لا يصح الرجوع إلا بقضاء قاض، لأن ملك الموهوب له مستقر. وللشافعى: أنه خيار فى فسخ عقد فلم يقتصر إلى قضاء كالفسخ بخيار الشرط ولا يحصل الرجوع ببيعه ولا وقفه، ولا هبته لكمال ملك الولد ونفوذ تصرفه فلا يؤثر فيه(٥٠).

هوامش:

١ - مغنى المحتاج ج ص: ٣٩٧.

٢ - يراجع: فتح البارى شرح صحيح البخارى ج٥ : ص١٤٤.

٣ - فتح البارى لابن حجر العسقلانى ج٥ ص١٤٤.

٤ - مغنى المحتاج ج٢ ص: ٣٩٦ ويراجع الفرق بين الهبة والهدية والصدقة فى الشرح الكبير ج٦ ص: ٢٨٩.

٥ - كشاف القناع ج٣ ص: ٤٥٨.

٦ - المغنى ج٦ ص: ٢٦٠.

٧ - نفس المصدر.

٨ - فتح البارى ج٥ ص: ١٥٩.

٩ - البدائع ج٨ ص: ٣٦٩٧.

١٠ - رواه أحمد وأبو داود والنسائى (نيل الأوطار ج٦ ص: ٤٨).

١١ - يراجع مغنى المحتاج ج٢ ص: ٤٠١، والبدائع ج٨ ص: ٣٦٩٧، الشرح الصغير ج٤ ص: ١٥١).

١٢ - يراجع المغنى ج٦ ص: ٣٧٠ المحلى ج٩ ص: ١٢٧.

١٣ - رواه أحمد ومسلم.

١٤ - نيل الأوطار ج٦ ص: ٨.

١٥ - صحيح مسلم ج١١ ص: ٦٥.

١٦ - أعلام الموقعين ج٢ ص: ٣٢٩.

١٧ - المغنى: ٦ ص: ٢٧٠.

١٨ - نيل الأوطار ج٦ ص: ١٠.

١٩ - المغنى ج٦ ص: ٢٦٤.

٢٠ - يراجع: فتح البارى شرح صحيح البخارى ج٥ ص: ١٥٩.

٢١ - وذلك ما روى عن مجاهد عن الشعبى عن أحمد «إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم، فلا تشهدنى على جور، أيسرك أن يكونوا إليك فى البر سواء» قال: «بلى». قال: «فلا إذًا» يراجع فتح البارى ج٥ ص: ١٥٧.

٢٢ - فتح البارى جـ ٥ ص: ١٥٧، صحيح مسلم جـ ١١ ص: ٦٥.

٢٣ - فتح البارى جـ ٥ ص: ١٥٧.

٢٤ - يراجع حكم هذه المسألة فى كل من:

١ - البدائع جـ ٦ ص: ٢٦٩٧.

٢ - المغنى جـ ٦ ص: ٢٦٢ وما بعدها.

٣ - مغنى المحتاج جـ ٦ ص: ٤٠١.

٤ - نيل الأوطار جـ ٦ ص: ٨ وما بعدها.

٥ - صحيح مسلم جـ ١١ ص: ٦٥.

٦ - متفق عليه.

٢٥- رواه الخمسة وصححه الترمذى: يراجع نبل الأوطار جـ ٦ ص: ١٢.

٢٦ - يراجع: فتح البارى جـ ٥ ص: ١٧٣.

٢٧- بداية المجتهد جـ ٢ ص: ٣٣٢، المحلى لابن حزم جـ ٩ ص: ١٢٧.

٢٨- الشرح الصغير جـ ٤ ص: ١٥١.

٢٩ - المدونة جـ ١٥ نجلد ٦ ص: ١٣٥.

٣٠ - مغنى المحتاج جـ ٢ ص: ٤٠١.

٣١ - رواه الترمذى والحاكم وقال: حديث حسن صحيح.

٣٢ - مغنى المحتاج جـ ٢ ص: ٤٠١.

٣٣ - المغنى جـ ٦ ص: ٢٧٠.

٣٤ - المحلى جـ ٩ ص: ١٢٧.

٣٥ - رد المختار على الدر المختار - لابن عابدين جـ ٤ ص: ٥١٨.

٣٦ - انظر المغنى لابن قدامة جـ ٦ ص: ٢٧٠ وما بعدها.

٣٧ - متفق عليه.

٣٨ - رواه مالك فى الموطأ.

٣٩ - رواه الخمسة وصححه الترمذى.. يراجع نيل الأوطار جـ ٦ص: ١٢.

٤٠ - الهبة منها ماهى هبة عين، ومنها ماهى هبة منفعة. وهبة العين منها مايقصد بها الثواب، ومنها مالا يقصد بها الثواب. والتى يقصد بها الثواب منها مايقصد بها وجه الله ومنها مايقصد بها وجه المخلوق.. بداية المجتهد جـ٢ ص: ٣٣٠.

٤١ - رواه مالك فى الموطأ.

٤٢ - أنظر المغنى جـ ٦ ص: ٢٧٠ ومابعدها، أعلام الموقعين جـ٢ ص: ٣٣٣.

٤٣ - يراجع: المغنى جـ ٦ ص: ٢٧٢، مغنى المحتاج جـ٢ ص: ٤٢.

٤٤ - المغنى جـ ٦ ص: ٢٧٢.

٤٥ - يراجع نبل الأوطار للشوكانى جـ ٦ ص: ١٢.

٤٦ - الشرح الصغير جـ ٤ ص: ١٥١، المدونة جـ ١٥. مجلد ٦ ص: ١٣٥.

٤٧ - هبة الثواب: اشتراط الواهب الثواب على هبته أى العوض عليها سواء عين الثواب أم لا ويجوز تلك، الشرح الصغير جـ ٤ ص: ١٥٣.

٤٨ - نبل الأوطار: جـ ٦ ص: ١٤ نقلا عن البحر الزخار.

٤٩ - تراجع شروط الرجوع فى كل من:

٥٠ - رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين.

٥١ - مغنى المحتاج جـ ٢ ص: ٤٢.

٥٢ - المغنى لابن قدامه جـ ٦ ص: ٢٧٢.

٥٣ - الشرح الصغير جـ ٤ ص: ١٥١.

٥٤ - المدونة الكبرى جـ ١٥ مجلد ٦ ص: ١٣٥.

٥٥ - المحلى لابن حزم جـ ٩ ص: ١٢٧.

حب النبى ﷺ في اتباع المنهج الربانى

الشيخ/ أحمد عبداللطيف الكلحى

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران: الآية ٣١) ذات يوم وهو ﷺ فى الطائف، حديث عهد بدعوته سلّط عليه أعداؤه بعض السفهاء، لقد جاشت نفسه، رموه بالأذى، سفهوا دعوته، ردوا نبوته، كذبوا قوله، أغروا به سفهاءهم، وقد جاءهم من مكة إلى الطائف، جاشت نفسه، وظهر ما فى نفسه من حب للخلق كافة ورفع بصره إلى السماء: يا رب، إن **لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ولك العتبى حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لى، جاءه جبريل عليه السلام، قال: يا محمد، لقد أمرنى ربى أن أكون طوع إرادتك، لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين**، فقال: لا، يا أخى، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون، لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله! من الذى حجزه عن أن يسمح بإهلاكهم؟ محبته للخلق، أحب الخلق، ولن تستطيع أن تكون هاديا للناس، إلا إذا أحببتهم، إلا إذا استوعبتهم، إلا إذا احتويتهم، إلا إذا قدرت ظروفهم، إلا إذا أردت إسعادهم.

ذات يوم يدخل على ولده الحبيب إبراهيم، وهو مسجى فى فراش الموت، يتدفق حنان محمد ﷺ غامرا، مفيضا، فلا يزيد على أن يقول، وعيناه تبكيان: تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون.

أصحاب النبى ﷺ رأوا القمر قد خسف، وظنوا أن هناك ارتباطًا بينهما، بين خسوف القمر، وبين موت إبراهيم، فبلغ ذلك النبى ﷺ، فقال: «**أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان، لا ينبغى أن تنكسفا لموت واحد من خلقه، ولا لحياته**». محبته لله عز وجل طغت على عاطفة الأبوة، أراد أن يفصل بين هذه الظاهرة الكونية، وبين أن تتخذ دليلا على قدسية النبى ﷺ، إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، والشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى، لا تنكسفان لموت واحد، ولا لحياته.

لا شىء يؤكد المحبة كالإخلاص، لذلك إذا أردت أن تكتشف ما إذا كنت محبًا لله عز وجل، فامتحن إخلاصك له، يقول ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

لا شىء يفسد المحبة كالنفاق، والرياء، لذلك كان ﷺ يدعو ربه ويستعيذ به من النفاق، ومن الرياء، ومن سوء الأخلاق، وكان يقول: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: **الرياء**».

فالرياء شرك أصغر، يقول الله عز وجل فى الحديث القدسى: إذا جزى الناس بأعمالهم: «اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون فى الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم

جزاء؟» الشرك، والنفاق، والرياء، هذه كلها تفسد المحبة، وأثمن ثروة تملكها أن يحبك الله ورسوله ﷺ، سيدنا النبى ﷺ قال: **«والله يا معاذ إنى لأحبك»**، إذا حظيت بمحبة الله، ومحبة رسوله، ومحبة أهل الحق، فهذه ثروة كبيرة لا تقدر بثمن.

النبى ﷺ يقول: **«لا يقبل الله عملا فيه مثقال حبة من خردل من رياء»**.

فالرياء، والشرك الأصغر، والنفاق، وعدم الإخلاص، هذا كله يفسد محبة العبد لربه، هذا عن محبة النبى ﷺ لله، فماذا عن حبه للناس؟

أحب الناس جميعا، لذلك كافأه الله عز وجل بأن جعله نبيّا للناس جميعا، ورسولا للناس جميعا، قال ﷺ: **«بعثت إلى الأحمر، وإلى الأسود، وإلى الناس كافة»**، وفى حديث آخر: **«بعثت إلى الناس كافة»** ويدعو النبى ﷺ إلى أن يحب الناس بعضهم بعضا، بل يجعل من الحب آية للإيمان، قال ﷺ: **«والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»**.

والنبى ﷺ يدعو أصحابه الكرام إلى أن يعبروا عن محبتهم بعضهم بعضا، فهذا جليس لرسول الله ﷺ، - وقد مر رجل - فقال: إنى أحب هذا الرجل، فسأله النبى الكريم: **«هل أعلمته بهذا؟»** قال: لا، قال: **«فأعلمه»**، فلحقه الرجل، وقال للذى أحبه: إنى أحبك فى الله تعالى، فأجابه صاحبه، أحبك الذى أحببتنى له.

وقد وضع ﷺ توجيها ثابتا، فقال: **«إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه»**، وكان يقول: **«إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه، واسم أبيه، وممن هو؟ فإنه أوصل للمودة»**.

يسأله ذات يوم سيدنا أبو ذر رضي الله عنه، يقول يا رسول الله: ما شأن الرجل يحب القوم، ولا يستطيع أن يعمل عملهم، فيجيبه ﷺ بعبارته الجامعة: **«أنت مع من أحببت»**.

قال الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى -:

أحب الصالحين ولست منهم	لعلى أن أنال بهم شفاعة
وأكره من بضاعته المعاصى	وإن كنا سواء فى البضاعة

هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، أنت مع من تحب، ليكن أحدنا عالما أو متعلما، أو مستمعا، أو محبّا، فالمحبة تقود صاحبها إلى الدرجات العلى، المحبة تقود إلى الاستقامة، المحبة تقود إلى فعل الخيرات، المحبة ترقى بصاحبها إلى أرقى الدرجات.

حرص الرسول ﷺ على تقوية أواصر المحبة بين الناس فسن آدابًا فى الصحبة وآدابًا فى العلاقات الاجتماعية.

يقول ﷺ: **«إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى»** قالوا: يا رسول الله: أخبرنا من هم؟ قال: **«هم قوم تحابوا فى الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها»**.

الإنسان أحيانا يحب أقرباءه بدافع فطرى، وقد يحب من ينفعه بدافع شهوانى، أما أن تحب أخا لا تربطك به قرابة، ولا نسب، ولا مصلحة، ولا تعامل، ولا درهم، ولا دينار، فهذه المحبة خالصة لوجه الله عز وجل، وقد ذكر النبى ﷺ عن هؤلاء فقال: **«والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»**، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (سورة يونس: الآية ٦٢).

حتى إن الحب عند رسول الله ﷺ هو الأصل، والبغضاء مشتقة من المحبة، فلأن النبى ﷺ يحب الله يبغض أعداءه، لأنه يحب الطائعين يبغض العصاة، لأنه يحب المؤمنين يبغض الكافرين، البغضاء يجب أن تنطلق من المحبة، لأن المحبة هى الأصل، ولكن مع مراعاة ما جاء فى الأثر: «أحبب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما».

ولحرص النبى ﷺ على تمتين أواصر المحبة بين الناس سن آدابا اجتماعية غاية فى الأهمية، فقال ﷺ: **«إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون ثالث، فإن ذلك**

يحزنه»، من آداب الصحبة، ومن آداب العلاقات الاجتماعية أننا إذا كنا جميعا فلا يتناجى اثنان دون ثالث، فإن ذلك يحزنه، من الآداب الاجتماعية التى تسبب النفور كذلك، أن تقول لفلان: قم لأقعد مكانك، هذا يسبب إحراجا، واستهانة بمكان الآخر، فنهى النبى ﷺ أن يقيم الرجل أخاه ليجلس مكانه.

شىء آخر: لا يحل كما قال ﷺ لرجل أن يجلس بين اثنين إلا بإذنهما، ومن دواعى المحبة إفشاء السلام بين الناس، فكان ﷺ يكثر من السلام على الناس، كان يسلم على الصبيان، وأمرنا بإفشاء السلام، وبذل الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام، حتى ندخل الجنة بسلام.

يقول ﷺ: «**إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن سلامك بركة عليك وعلى أهل بيتك**»، قل: السلام عليكم، يذهب عنهم الشيطان، يحل الوئام والمودة.

وكان يقول ﷺ: «**ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له فى المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه**»، تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له فى المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه، وكان يقول ﷺ: «**تصافحوا يذهب الغل**» أى الحقد من قلوبكم.

والوفاء مما يديم المحبة بين الناس، فالوفاء عنوان المحبة، والمحبة دليلها الوفاء، والوفاء والمحبة لا يفترقان.

ذات يوم زارته بالمدينة المنورة سيدة عجوز، فخف ﷺ للقائها فى حفاوة بالغة، وأسرع فجاء ببردته، وبسطها على الأرض لتجلس عليها، وبعد انصرافها سألته السيدة عائشة عن سر هذه الحفاوة البالغة، فقال: «**هذه كانت تزورنا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان**».

الوفاء دليل المحبة، بل إنه سور المحبة، وأما الخصام الذى يبدو بين الناس، فهو الذى يفتت المحبة، وهو الذى يذهبها، فكان ﷺ يقول: «**كفى بك إثما ألا تزال مخاصما**»، ومن هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه، ما لى أسمع أن فلانا خاصم فلانا سنتين، ولم يتكلما، وكلاهما مسلم، من هجر أخاه سنة كان كسفك دمه، والخصام قد يتأتى من المشاحنة، والمماراة، والجدل المغرض، لذلك مر النبى ﷺ يوما بأربعة من أصحابه هم: أبو الدرداء، وأبو أمامة، ووائل بن الأسقع، وأنس ابن مالك، رآهم يتجادلون، ويتمارون فى أمر من أمور الدين فغضب ﷺ غضبا شديدا، ثم قال: «**مهلا يا أمة محمد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ذروا المراء - المشاحنة - لقلة خيره فإن الممارى قد تمت خسارته، ذروا المراء فكفى بك إثما ألا تزال مماريا دعوا المراء فأنا زعيم لثلاثة أبيات فى الجنة لمن ترك المراء وهو صادق ذروا المراء فإن أول ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان هو المراء**».

مما يديم المحبة، ويجعلها مستمرة أن تقبل العذر من أخيك، قال ﷺ: «**من أتاه أخوه متنصلا - أى معتذرا - فليقبل منه محقًا كان أم مبطلا، فإن لم يفعل لم يرد على الحوض**»، شرار الخلق هم الذين لا يقبلون معذرة، إن أحسنت لم يقبل، وإن أسأت لم يغفر، وإن رأى خيرا كتمه، وإن رأى شرّا أذاعه، كان يقول ﷺ: «**إن أحبكم إلىّ أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلىّ المشاؤون بالنميمة، المنفرون بين الأحبة، الملتمسون للبراء**» أى: العيوب.

أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه، أحبوا النبى ﷺ، لأن محبته عين محبة الله عز وجل، أحبوا إخوانكم المؤمنين، فهم أجنحتكم، أحبوا الناس كافة، وهذا واجب على كل مسلم أن يحب الناس كافة لقول النبى ﷺ: «**الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**»، ومن بعض الأحاديث التى وردت فى كتب الأحاديث: «**ألا لا إيمان لمن لا محبة له، ألا لا إيمان لمن لا محبة له، ألا لا إيمان لمن لا محبة له**».

كان أصحاب رسول الله ﷺ مثلا أعلى فى المحبة، تروى كتب السيرة أن النبى ﷺ رأى رجلا بيده خاتم من الذهب، فأشار ﷺ إلى أن ينزعه من يده، فما كان من هذا الرجل إلا أن ألقى به على الأرض توّا، وحلف أن لا يأخذه بعد، وبعد أن طرح على الأرض، وقال له بعض من معه: لقد مضى رسول الله ﷺ فخذ هذا الخاتم، وانتفع بثمنه، فقال هذا الرجل: والله لا آخذه أبدا.

لأن النبى ﷺ أشار إلى هذا الرجل أن ينزعه من يده، ولم يرض النبى ﷺ أن يتحلى هذا الإنسان بخاتم ذهبى، ألقى الخاتم على الأرض، ورفض أن ينتفع بثمنه وفاء للنبى ﷺ.

يطرحها الأزهر الشريف:

مبادرة استرشادية لتشكيل تأسيسية الدستور

أنباء وأخبار

منير بيومى

أعلن الأزهر الشريف إعداد مبادرة حول مقترحات استرشادية تتضمن معايير ملائمة لتشكيل اللجنة التأسيسية للدستور، توضع بين يدى الهيئة البرلمانية المنتخبة لمجلسى الشعب والشورى للاسترشاد بها، انطلاقا من مبدأ الجمع بين تمثيل مختلف فئات الشعب وتحقيق أقصى درجة من الإفادة من الكفاءات الوطنية، واحترام النصوص الدستورية.

قال الأزهر فى بيان أصدره مؤخرا انه تم عقد اجتماع ضم نخبة من علماء الأزهر والمثقفين المصريين استجابة لتطلعات المصريين فى هذه المرحلة الدقيقة، ومناشدتهم الأزهر الشريف لمواصلة سعيه الحثيث نحو التوافق الوطنى، والوصول إلى كلمة سواء فى الشأن العام، تلتقى حولها القلوب، وتطمئن إليها العقول.

وأوضح أنه تم تدارس الموقف الراهن من كل جوانبه، وما تمليه الضرورة من احتكام جميع الفرقاء للعقل، وتغليب الصالح العام، واستلهام منطق الوسطية والتسامح والمحبة فى تراثهم الدينى وثقافتهم الحضارية، وتقاليد العيش المشترك الودود فيما بينهم، وإعمالاً لما أنجزه الأزهر والمثقفون من وثائق استرشادية، ارتضاها واتفق المجتمعون على مناشدة المسؤولين وعقلاء الأمة بضرورة مراعاة التأكيد العملى على سيادة الحق والقانون، وضرورة خضوع المواطنين كافة لأحكامه، والامتثال لأوامره ونواهيه، باعتبارها مناط الاستقرار، ودعامة الحل للمشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وأوضح البيان أن المجتمعين اتفقوا أيضا على وجوب الاحتكام فى هذا المسار القانونى للقضاء المصرى الرصين ذى التاريخ المشرف العريق، فى كل القضايا والتقلبات، مع الحرص الكامل على مراعاة استقلال القضاء ونزاهته، والحفاظ على هيبته، وتجنب ما يؤدى إلى زعزعة الثقة به، أو النيل من مكانته وأكد البيان أنه يتعين فى هذه المرحلة الانتقالية الحرجة الحفاظ الصارم على مبدأ الفصل بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، فى إطار التكامل الحقيقى والتوازن التام بينها، دون السماح بأن تطغى سلطة على أخرى أو تتدخل فى شؤونها، حتى لا ينتشر الفساد والطغيان ويختل ميزان العدل، وأكد المجتمعون أن اللحظة الراهنة فارقة فى مسار العمل الوطنى، وتتطلب أعلى درجة من التوافق لمواجهة التحديات المطروحة، مما يقتضى تنازل جميع الفرقاء عن جانب كبير من تحيزاتهم ومصالحهم ورؤاهم، حتى يلتقوا فى منتصف الطريق، وينجحوا جميعا فى تحقيق أهداف الثورة النبيلة، فى العيش المشترك والعدل الاجتماعى والحرية والكرامة، ويتمكنوا من صناعة مستقبلهم على أساس متين دون إحباط أو إخفاق. وكان قد حضر اجتماع الأزهر والمثقفين الدكتور حسن الشافعى رئيس مجمع اللغة العربية والدكتور جابر عصفور وزير الثقافة السابق والمستشارة تهانى الجبالى والدكتور مصطفى الفقى والدكتور محمود عزب مستشار الإمام الأكبر وكان قد سبق هذا اللقاء اجتماع الإمام الأكبر مع نقباء أربع نقابات على رأسها المحامون بحضور النقيب سامح عاشور. كما التقى الأمام الأكبر بالدكتور ياسر برهامى نائب رئيس الدعوة السلفية والمهندس عبد المنعم الشحات وأشار الدكتور محمود عزب مستشار الإمام الأكبر أنه سيتم على الفور إجراء الاتصالات لتفعيل المبادرة وعقد الإجتماعات بصورة مكثفة لضمان إجتياز المرحلة الحالية بنجاح وتحقيق أهداف الثورة.

نظمها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دورة تدريبية فى «فلفسة المواريث والوصايا فى الفقه الإسلامى والقانون المصرى»

تحت رعاية الأستاذ الدكتور محمد عبد الفضيل القوصى - وزير الأوقاف - نظم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية دورة تدريبية للأئمة والدعاة بدأت بالقاهرة الكبرى والجيزة تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد نجيب عوضين - الأمين العام للمجلس - تناولت الدورة الأولى فلسفة المواريث والوصايا فى الفقة الإسلامى والقانون المصرى شارك فيها مائة من الأئمة المتميزين لمدة أسبوع فى الفترة من ١٨ إلى ٢٢ مارس الماضى بمقر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

د. محمد نجيب عوضين يتحدث عن شروط وأسباب الميراث فى الإسلام

وصرح الدكتور محمد نجيب عوضين أن هذه الدورات يحاضر فيها كبار الأساتذة والأكاديميون من جامعة الأزهر وأعضاء ورؤساء اللجان العلمية بالمجلس كل حسب تخصصه ويأتى انعقاد هذه الدورات بالقاهرة كحل مؤقت لحين استئناف تنظيم الدورات المطولة بالإسكندرية.

بدأت فعاليات الدورة الأولى بمحاضرة للدكتور نجيب عوضين حول أهمية علم الميراث ومشروعيته وأدلته الثابتة بالنص القطعى، وبين مدى إنصاف الإسلام للمرأة فى الميراث بدليل أنها تحصل على أعلى فروض الميراث، وأحيانا تحصل على أضعاف ميراث الرجل. كما لو وزعت تركه بين البنت وعشرة من الأخوة فلها نصف التركة والأخوة العشرة يوزع عليهم بالتساوى بل أنها تحجب بعض الرجال عندما تكون عصبة مع الغير، لقوله ﷺ «إجعلوا الأخوات مع البنات عصبة».

ثم بين فضيلته شروط وأسباب الميراث وأركانه وطبيعة التركة، وهل كل ما يتركه الميت يدخل فى التركة ثم تحدث عن موانع الميراث وأن أهمها اختلاف الدين والقتل العمد والعدوان.

واستهدف بيان فلسفة الشرع فى كل فرض وبين من لا يحجبون أبداً أمن الورثة كالبنت والزوج والزوجة والأم والأب من أصحاب الفروض والابن من العصبات وضرب العديد من الأمثلة فى ذلك، وشارك الأئمة فى تنشيط المحور بالأسئلة والمداخلات.

كما تحدث الدكتور إبراهيم عبد الرحيم وكيل كلية دار العلوم

وزير الأوقاف والأمين العام للمجلس يوزعان شهادات اجتياز الدورة على الأئمة

- عن الأنصبة الشرعية، وتحدث الدكتور محمد نبيل غنايم - أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - عن الأصول المحاسبية وقضايا القول والرد والتخارج، وتناول الدكتور سعيد أبو الفتوح البسيونى - رئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق جامعة عين شمس - تطبيقات الوصية الواجبة والقانون المصرى، كما تناول الدكتور محمد عبد المنعم حبيش - أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة عين شمس - التطبيقات العملية للوصية الاختبارية فى الفقه والقانون.

جانب من الدعاة يتابعون فعاليات الدورة التدريبية

وفى نهاية الدورة قام الأستاذ الدكتور محمد عبدالفضيل القوصى - وزير الأوقاف - والأستاذ الدكتور محمد نجيب عوضين - الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بتوزيع شهادات التقدير واجتياز الدورة على السادة الأئمة

استغلال المساجد فى الدعاية الإنتخابية انتهاك لحرمتها

الأوقاف: استعادة هيبة بيوت الله مسئولية الأمة كلها

أكد الدكتور محمد عبد الفضيل القوصى - وزير الأوقاف - أن استخدام المساجد فى الدعاية الانتخابية لمرشحى الرئاسة تمثل انتهاكًا لحرمة المساجد. وأوضح أن الاستيلاء على المنابر عنوة واستخدامها للدعاية الانتخابية والسياسية هو ظاهرة تشعر تجاهها وزارة الأوقاف بالأسف والأسى لما آل إليه حال المسلمين من غياب للمفاهيم الإسلامية عند جميع المشاركين فى هذه الظاهرة أيًا كانت قدراتهم وانتماءاتهم.

وكانت ظاهرة استخدام المساجد فى الدعاية الانتخابية قد تزايدت مؤخرًا مع تعمد أغلب مرشحى الرئاسة فى مصر أن تتضمن برامج زياراتهم لمختلف المدن أداء الصلاة فى كبرى المساجد فى هذه المدن، وكذلك استغلال أحد المرشحين للمسجد الذى يعقد فيه درسًا أسبوعيًّا للترويج لحملته الرئاسية.

أوضح وزير الأوقاف أن الوزارة لا تملك قوة تنفيذية تمكنها من إزالة هذا التعدى على بيوت الله ولكنها تستصرخ فى الأمة جميعها، لأن تكون عونًا لها على استعادة هيبة بيوت الله، والابتعاد بها عن مهاترات السياسة.

وكان وزير الأوقاف قد أصدر توجيهات صارمة لمديرى الأوقاف بالمحافظات بالتنبيه على الأئمة وخطباء المساجد بعدم السماح باستخدام المساجد فى أية دعاية انتخابية لمرشحى الرئاسة حتى لا تتحول المساجد عن غايتها، وحتى تقتصر رسالتها السامية على نشر الدعوة الإسلامية، وترسيخ المفاهيم الدينية الصحيحة دون الزج بها فى صراعات السياسة.

يلتحق بها خريجو الجامعات

الأوقاف تبدأ تلقى طلبات الالتحاق بالمراكز الإسلامية

بدأت وزارة الأوقاف تلقى طلبات حملة المؤهلات العليا من راغبى الالتحاق بمراكز الثقافة الإسلامية التابعة للوزارة. وصرح الدكتور محمد عبد الفضيل القوصى بأن هذه المراكز يلتحق بها خريجو الجامعات المصرية من غير الأزهر الشريف ودار العلوم المسبوقة بالثانوية الأزهرية ممن يملكون الموهبة الدعوية ويرغبون فى الاستزادة من العلوم الشرعية.

وأعلن الوزير أن الوزارة تتولى تزويدهم بالعلوم الشرعية من خلال دراسة منتظمة لمدة عامين يتلقون خلالها عددا من المعارف الدينية التى تثرى فكرهم وتثقل قدراتهم وذلك بيد عدد من كبار أساتذة جامعة الأزهر والمتخصصين، وتوفر لهم الوزارة الكتب مجانا.

وأضاف القوصى أن الوزارة ستستمر فى تلقى الطلبات حتى ٣٠ أغسطس القادم وتبدأ الاختبارات يوم السبت الموافق ١٥ سبتمبر لمدة عشرة أيام، ويشترط فى المتقدم ألا يزيد على ٥٠ عاما فى أول أكتوبر القادم ويكون حافظا لثلاثة أجزاء على الأقل من القرآن ويجتاز الاختبارات التى تعقد فى فقة العبادات والسيرة النبوية والمعلومات العامة.

اعادة إفتتاح جامع الزيتونة بعد نصف قرن من الإغلاق

جامع الزيتونة بتونس أحد أبرز منارات الدين الإسلامى المعتدل فى شمال أفريقيا فى السابق، قررت تونس إعادة افتتاح التسجيل للتدريس فيه بعد أن استمر أكثر من ٥٠ عاما خلال عهدى بورقيبة وبن على مغلقا. الافتتاح يأتى سعيا لمواجهة التشدد الدينى الذى تقوده تيارات متشددة منذ اندلاع ثورة (الياسمين) التونسية العام الماضى.

وزير الأوقاف:

مصر وتركيا تقدمان نموذجا عالمياً للتعاون البناء

صرح الدكتور محمد عبد الفضيل القوصى - وزير الأوقاف - بأن التعاون بين مصر وتركيا فى شتى المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية يمكن أن يقدم نموذجا حضارياً جديدا للعالم يجمع بين فكر الإسلام وحضارة العصر، ويقدم رؤية جديدة للتقارب والتعاون بين جميع الشعوب دون النظر إلى الجنس أو العقيدة. جاء ذلك خلال حفل الاستقبال الذى أقامه السفير التركى حسين عونى بوطصالى للترحيب بنائب رئيس الوزراء التركى بشير أطالاى.

وأضاف د. القوصى أن ما بين الشعبين المصرى والتركى ليس مجرد مخزون ثقافى وحضارى ولكن علاقة تاريخ ومصير، وأشار وزير الأوقاف المصرى إلى أن زيارة نائب رئيس الوزراء التركى للقاهرة لحضور فعاليات المؤتمر العربى التركى الثانى للعلوم الاجتماعية إنما يأتى فى إطار حرص تركيا الدائم على دعم التعاون مع مصر فى المجالات الثقافية والاقتصادية.

بروتوكول مصرى تركى لترميم الأزهر والحسين والشافعى

وقع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ أحمد الطيب - شيخ الأزهر - اتفاقية تعاون بين الأزهر ووزارتى الأوقاف والآثار المصرية، وتركيا وتنص الاتفاقية على قيام الجانب التركى بأعمال الترميمات اللازمة فى «جامع الأزهر الشريف» وجامع أبو الذهب وتكية السلطان محمود وجامع الإمام الشافعى بالقاهرة وجامع الشوربجى وجامع إبراهيم تربانه، ومقبرة النبى دانيال بالإسكندرية، وتجديد فرش مسجد الحسين وتحديث شبكته الكهربائية، ومثل الجانب التركى خلال توقيع الاتفاقية بمشيخة الأزهر الدكتور سردام أتشام رئيس الوكالة التركية للتعاون والتنسيق «تيكا» وحسين عونى سفير تركيا بالقاهرة والدكتور أنور أربا رئيس دائرة الشرق الأوسط بالوكالة. كما أشاد الوفد التركى بعمق الروابط التاريخية بين الأزهر وتركيا وجهوده لخدمة قضايا الأمة فى ظل الظروف الراهنة التى تمر بها والتى كان لها أثر كبير فى بث روح الوعى فى نفوس أبنائها ودور الأزهر الشريف فى منهج الوسطية الذى يجسد روح الإسلام وسماحته مما جعله على مدى التاريخ كعبة للعلم والعلماء. من جانبه أكد الدكتور أحمد الطيب عمق الروابط التاريخية بين الأزهر وتركيا قديمًا وحديثًا، وأشاد بالدور المحورى الذى تلعبه تركيا فى خدمة قضايا الأمة، وقرر شيخ الأزهر منح مؤسسة «تيكا» التركية خمس منح دراسية بالأزهر الشريف لدراسة اللغة العربية مجانا.

تعقد بمقر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دورة تدريبية للأئمة حول الإعلام والخطاب الدينى

ينظم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية دورة تدريبية للأئمة والدعاة حول الإعلام وتطوير الخطاب الدينى ومناهج الأسلوب الدعوى تحت رعاية الدكتور محمد عبد الفضيل القوصى - وزير الأوقاف - صرح بذلك الدكتور محمد نجيب عوضين - الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مشيرا إلى أن هذه الدورة تأتى فى إطار حرص المجلس على تدريب وتأهيل أئمة ودعاة وزارة الأوقاف فى مواجهة ما يعرف بفوضى الخطاب الدينى، والرد على حملات التشكيك التى يتعرض لها الإسلام، والتأكيد على أن قواعد الممارسة المهنية للإعلام المعاصر وفى إطارها الأخلاقى تلتقى مع مبادئ الإسلام.

وأضاف أن هذه الدورة تأتى استكمالا للدورات التى بدأت الشهر الماضى مؤكدا أن تلك الدورات يحاضر فيها عدد من أساتذة جامعة الأزهر ورؤساء وأعضاء اللجان العلمية بالمجلس.

من ناحية أخرى قرر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية افتتاح منفذ لبيع الكتب الإسلامية وإصداراته بجوار مبنى كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالدراسة؛ وذلك تيسيرا على الطلاب ورفع مستواهم العلمى والفقهى.

النوم .. إعجاز وأسرار

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾

(سورة الروم الآية ٣٠)

د. محمـد الألفـى

ليس هناك شك أن كل من على ظهر الأرض من مخلوقات على اختلاف أشكالها وأنواعها تنام، ذلك النوم الذى يقضى فيه الإنسان قرابة ثلث عمره ولا نعرف عنه إلا القليل، هيا بنا نقترب منه قليلا ولنبدأ بهذا السؤال ماذا يحدث لا قدر الله لو حرم إنسان من النوم؟ والإجابة أنه لن تستقيم حياة بغير نوم فعندما يحرم إنسان من النوم لبعض الوقت تصبح تصرفاته وسلوكه عشوائية ويعانى من الهياج والاستثارة الشديدة ويفقد حدة الانتباه والذاكرة وتضمحل عنده القدرات العقلية فإذا ما طال هذا الحرمان إلى أربعة أو خمسة أيام تظهر بعض المواد الملوثة فى دمائه التى تؤدى إلى الهلاوس والهلاك، بل إن مجرد قلة النوم يؤدى إلى الغباء والكآبة والبدانة وظهور الأمراض كمرض السكر وضعف الجهاز المناعى وأجدنى أختلف مع ما قيل فى رباعيات الخيام حيث يقول الشاعر:

فما أطال النوم عمراً

ولا قصر فى الأعمار طول السهر

فإن قلة النوم تعمل على انخفاض متوسط الأعمار وكذلك كثرته تضر بالأبدان وتضيع الأعمار، والنوم يعرفونه بأنه حالة من فقدان الوعى وعدم الإدراك وأظن أن الأمر غير ذلك فمراكز المخ منتبهة وساهرة وتنذرنا إذا ما داهمتنا الأخطار أثناء نومنا بل وتحدث أثناء النوم أعقد العمليات الفسيولوجية فى الجسم ولعل النوم هو تغير لمعنى الوعى والشعور، والنوم يتم فيه إعادة ترتيب وتنظيم المخ والجسد، وتختلف ساعات النوم المطلوبة من شخص لآخر والعبرة بالراحة والتجدد بعد النوم، عزيزى يتعاقب فينا النوم واليقظة كتعاقب الليل والنهار والنوم ليس شيئا واحداً ولكنه أجزاء لكل جزء مراحله ولكل مرحلة دورها وأهميتها ولك أن تتخيل

النوم كبحر عميق فأما الجزء الأول منه فهو نوم لا تتحرك فيه العين حركة سريعة وينقسم هذا الجزء إلى أربعة مراحل المرحلة الأولى وهى مرحلة من النوم الخفيف جدا لدرجة أن الشخص لو استيقظ فى هذه المرحلة سوف يخبرك أنه لم ينم.

المرحلة الثانية وهو نوم خفيف ولكنه أعمق من المرحلة الأولى.

المرحلة الثالثة وهو نوم متوسط ينخفض معدل التنفس والنبض وكذلك الضغط والحرارة. المرحلة الرابعة وهى مرحلة النوم العميق وفيه يصل التنفس والنبض إلى أقل معدلاته حوالى ٦٠ نبضة فى الدقيقة وهذه المرحلة مهمة جدا لكى تحدث الراحة والإنتعاش واستعادة النشاط وينبغى أن نعمل على أن يدخل الإنسان فى هذه المرحلة ويأخذ وقته الكافى منها وألا نخرجه منها بالضوضاء العالية المتكررة لأنه فى هذه الحالة سيتكرر طفوه منها إلى أعلى أى أنه سيفقد مكانه فى عمق النوم إلى سطحه وإذا ما تكررت هذه الحالة، فإن النائم يحرم النشاط والتجدد والارتياح ،فإذا لم تتمكن من التخلص من الضوضاء العالية المتكررة فيمكننا أن نضيع تأثيرها بما يسمى بالضوضاء البيضاء وهى أن يكون فى الخلفية صوت متواصل ثابت الشدة كصوت مروحة أو تكييف بحيث تعزله عن الضوضاء الخارجية ويجب أن نعلم أن هناك أسباب مرضية للخروج من هذه المرحلة ومنها السمنة وخصوصا المفرطة منها.

حرمان الإنسان من النوم لبعض الوقت يصيبه بالهياج والاستثارة الشديدة ويفقده حدة الانتباه

وأما الجزء الثانى فهو الجزء الذى يصاحبه حركة سريعة للعين ويحدث فى هذا الجزء الأحلام وهى مهمة جداً لما فيها من ترميم وعلاج للنفوس، وتتابع دورات النوم ويمر الإنسان بأربعة إلى خمسة دورات ،والآن بعد أن عرفنا مراحل النوم ما الذى يجعلنا ننام ؟هناك أكثر من نظرية لتوضيح ذلك ومنها أنه أثناء اليقظة تفرز فى الجسم مواد باعثة على النوم هذه المواد تتراكم إلى أن تصل إلى مستوى معين وعنده يحدث النوم ، ومن هذه النظريات نظرية انخفاض الإشارات التى تنبه قشرة المخ وتعمل على استمرار اليقظة ومن هذه النظرية ربما يتضح لماذا يدخل علينا النوم إذا ما قلت الإشارات الخارجية عند الهدوء والكمون، وأيضا هناك نظرية تقول إن هناك مراكز خاصة تعمل على بدء النوم وأنه يوجد مركز ينظم النوم واليقظة. وقليل ما نعرفه عن النوم ولكن الذى أعرفه أنه آية من آيات الله يتوقف عقل الإنسان عاجزا عن فهم أسراره؛ تأمل معى قول الحق ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾ فسبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم.

استراحة المنبر

إعداد :
محمد سيد أحمد

من هدى القرآن الكريم

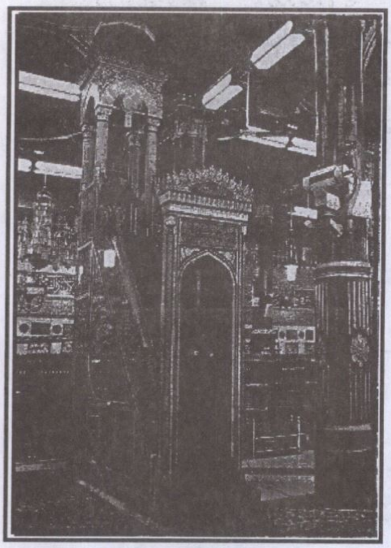

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ
وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾
إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا
وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾

سورة الأحزاب : الآيات ٧٠- ٧٣

رحم الله أميركم

وقف جرير بن عبد الله يوم مات المغيرة ابن شعبة وكان أميرًا لبنى أمية، فقام جرير فحمد الله وأثنى عليه وقال: «عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير فإنما يأتيكم الآن، ثم قال: استغفروا لأميركم فإنه كان يحب العفو، ثم قال: أما بعد: فإنى أتيت النبى ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط علىّ: «والنصح لكل مسلم» فبايعته على ذلك، ورب هذا المسجد إنى لناصح لكم، ثم استغفر الله ونزل. رواه البخارى - كتاب الإيمان.

فما أحوجنا ونحن على أعتاب اختيار رئيس إلى رجال يحترمون تاريخهم، ويخشون ربهم ويخافون سوء العذاب، ويسعون لرضا الله - عز وجل - من أجل صلاح هذا الوطن.

جوار الحبيب

روى البخارى عن عمرو ابن ميمون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - قال: يا عبد الله بن عمر، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - فقل : يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين. فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه. فسَلّم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى - حزنًا على أمير المؤمنين رضي الله عنه - فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أُريده لنفسى ولأوثرنه به اليوم على نفسى، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: ارفعونى، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك، قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين، أذنت. قال: الحمد الله، ما كان من شيء أهم إلىَ من ذلك. فإذا أنا قضيت فاحملونى ثم سَلِم، فقل يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين.

متفرقات

من ظن أنه ينجو بتقوى أصله كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه أو يُروى بشراب أبيه...

التقوى فرض عين لا يجزى فيها والد عن ولده ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ • وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ • وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (سورة عبس ٣٤ : ٣٦) إلا على سبيل الشفاعة...

■ «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى». صدق رسول الله ﷺ.**

■ الرجاء إذا لم يتقدمه عمل فهو غرور مصداقًا بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (سورة البقرة الآية ٢١٨) وقوله تعالى: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ ...

من معانى الكلمات

(رب العالمين): الرب فى الأصل مصدر بمعنى التربية، وهى إبلاغ الشىء إلى كماله حسب استعداده، وهو فى كلام العرب بمعنى السيد المطاع، وبمعنى المصلح للشىء، وبمعنى المالك وعليه فربنا جل ثناؤه السيد الذى لا شبيه له ولا مثل له فى ملكوته والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة، والمالك الذى له الخلق والأمر سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

(العالمين): جمع عالم لا واحد له من لفظه، والعالم اسم لكل صنف من أصناف المخلوقات، فالإنسان عالم، والجن عالم، والشجر عالم، والهواء عالم، والكواكب عالم، والملائكة عالم، وغير ذلك كثير مما لا نحيط بعلمه ولا يحصيه إلا الله الذى هو ربه وسيده ومليكه.

هكذا يكون الإيمان

ظل المسلمون فى دار الهجرة الأولى فى أمن ودعة، ناشرين للدعوة الإسلامية على مرأى ومسمع من النجاشى ولم يعودوا إلا بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، ثم أرسل النجاشى وفدًا من خيار قومه إلى الرسول ﷺ فأكرمهم رسول الله وأحسن وفادتهم، وبالغ فى خدمتهم حتى إن أصحابه قالوا له: نكفيك هذا يا رسول الله فقال: «**هؤلاء قد خدموا صحبى يوم كانوا فى الحبشة**».

المتواكلون

منشأ حالهم التمسك بصلاح الآباء والأمهات... فإن أباءهم مع صلاحهم وورعهم كانوا خائفين... ونظم قياسهم الذى سول لهم الشيطان: من أحب إنسانًا أحب أولاده... فإن الله قد أحب أباكم فهو يحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعات، فاتكلوا على ذلك واغتروا بالله، ولم يعلموا أن نوحًا عليه السلام، أراد أن يحمل ولده فى السفينة فَمُنِع، وأغرقه الله سبحانه وتعالى بأشد ما أغرق به قوم نوح....

وإن نبينا محمد ﷺ استأذن فى زيارة قبر أمه... وفى الاستغفار: فأذن له فى الزيارة ولم يؤذن له فى الاستغفار لها....

ونسوا قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ■ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ (سورة النجم الآيتان ٣٨-٣٩)

وصية للرئيس

قال ذو الإصبع العدوانى موصيا ولده أُسيد: «لن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وأبسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشىء يُسوِّدوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم، يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك واحم حريمك وأعزز جارك. وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك وأسرع النهضة فى الصريخ، فإن أجلاً لا يعدوك».

غرور الكافر

غرور الكافر، قسمان: منهم من غرته الحياة الدنيا... ومنهم من غره بالله الغرور.. أما الذين غرتهم الحياة الدنيا وهم الذين قالوا: النقد خير من النسيئة... ولذات الدنيا يقين.... ولذات الآخرة شك!!..... ولا يترك اليقين بالشك... وهذا قياس فاسد... وهو قياس إبليس لعنه الله تعالى فى قوله: أنا خير منه... فظن أن الخيرية فى النسب..

قانون سماوى

قال رسول الله ﷺ: «من سن فى الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شىء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة؛ فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء» (رواه أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه).

حكمة

عن علىّ قال: زين الحديث الصدق، وأعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب، وشر الندامة ندامة يوم القيامة.

طريق الحق

الطرق شتى وطرق الحق مفردة
والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم
فهم على مهل يمشون قصادُ
والناس فى غفلة عما يراد بهم
فجلهم عن سبيل الحق رقاد

يسألونك فى الدين والحياة

فضيلة الدكتور
على جمعة محمد

كفالة الأيتام

■■ **نحن جمعية لرعاية الأيتام نقوم بكفالة الأبناء داخل الجمعية حتى سن (٢١ عامًا) من جميع أوجه الرعاية (تغذية، ملبس، تعليم)، ونرجو من سيادتكم التكرم بإفادتنا بالآتى:**

١- فى أى سن يمكن أن تتوقف الكفالة المالية للأبناء؟ وهل يدخل فى كفالة اليتيم: كفالة مجهول النسب؟

٢- هل يمكن أن تتحول الكفالة إلى زكاة مال أو صدقة جارية للصرف على الأبناء؟ مع ملاحظة أن الكفالات تقوم بالصرف على الأبناء جميعا.

■ **الجواب:** اليتيم فى اللغة (فَعِيل) من اليُتْم، وهو فى الأصل: الانفراد؛ حيث صار منفردًا بعد وفاة أبيه، ويطلق أيضًا على الغفلة والضعف، ومن هذا المعنى سُمِّيَ اليتيم بذلك؛ لفقدانه أباه حين احتياجه إليه، كأنه أُغفِلَ فضاع، قال الأصمعى: (اليتيم من الناس: الذى مات أبوه، ومن البهائم: الذى قد ماتت أمه) ا. هـ نقلاً عن «جمهرة اللغة» لابن دُرَيد (٤١١/١، ط. دار العلم للملايين)، وجاء فى «المخصص» لابن سيده (٢٠٧/٤): (قال الطوسى: اليَتَم: الغَفْلة، ومنه اليتم، كأنه أُغْفِل فضاع، والإجماع أن اليتيم الفرد، ويتم إذا انفرد ومنه «الدرة اليتيمة») ا. هـ.

أما فى الاصطلاح: فهو من مات أبوه وهو لم يبلغ الحلم.

وكفالة اليتيم هى رعايته وتعهده بما يصلحه فى نفسه ماله، قال الحافظ ابن الجوزى الحنبلى فى «شرح مشكل الصحيحين» (٢٨٢/٢، ط. دار الوطن): (معناه: القيام بأمره وتربيته) ا. هـ، وقال الإمام النووى فى «رياض الصالحين» (ص ١١٦، ط. مؤسسة الرسالة): (كافل اليتيم: القائم بأموره) ا. هـ. قال شارحه العلامة ابن علان الصديقى الشافعى فى «دليل الفالحين» (٨١/٣، ط. دار المعرفة): (دينًا ودنيا، وذلك بالنفقة والكسوة، والتربية والتأديب، وغير ذلك) ا. هـ، وقد وسع الفقهاء معناها حتى جعلوها شاملة لكل مصلحة لليتيم صغُرَتْ أم كبرت؛ قال العلامة الزرقانى فى «شرح الموطأ» (٥٣٤/٤، ط. مكتبة الثقافة الدينية): (من جملة كفالة اليتيم إصلاح شعره، وتسريحه، ودهنه) ا. هـ.

والكفالة على نوعين: مالية، وأدبية، وهى بنوعيها من أنواع التبرع، وهو: بذل المُكَلَّف مالاً أو منفعة لغيره فى الحال أو المال بلا عوض، بقصد البر والمعروف غالبًا، وفى الكفالة المذكورة فى السؤال - والتى تقوم بها دور الأيتام عمومًا - يبذل الكافل للمكفول المال والمنفعة معًا. فهى متحققة شرعًا ويترتب عليها الثواب بحصول أحد

نوعيها أو كليهما - المالى منها، والأدبى-: قال الإمام النووى فى «شرح مسلم» (١٨/١١٣، ط. دار إحياء التراث العربى): (وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية) ا. هـ.

وكفالة اليتيم من أجلّ الأعمال وأعظمها ثوابًا عند الله تعالى ورسوله ﷺ؛ حيث ورد القرآن برعايته والقيام له بمصالحه والتحذير من إذايته وإهماله فى أكثر من عشرين موضعًا، وأخبر النبى ﷺ أن القائم بكفالة اليتيم فى المقام الأسمى والمحل الأرفع الذى هو غاية كل مسلم محب لله ورسوله ﷺ، وهو: رفقة النبى ﷺ فى الجنة؛ فأخرج البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى، وأخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة» وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى.

وقد رتب الشرع الشريف هذا الأجر العظيم على كفالة اليتيم لأن فى الكفالة جبرًا لضعف اليتيم وقيامًا مقام عائلة الذى فقده، وإنما ينجبر الضعف باستغناء اليتيم عن غيره وقدرته على القيام بنفسه، وهذا يقتضى أن الكفالة لا تتوقف بمجرد بلوغ اليتيم، بل تستمر حتى استغنائه عن الناس وبلوغه الحد الذى يكون فيه قادرًا على الاستقلال بشئونه والاكتساب بنفسه؛ فالكفالة باقية ما بقيت الحاجة إليه، وأجرها مستمر ما دام مقتضيها باقيًا.

وبذلك وردت نصوص الشريعة؛ فجعلت أحكام اليتم لا تنتهى ببلوغ اليتيم، وأن ما يترتب على وصف اليتم لا يرتفع عنه حتى يبلغ مبلغ الرشد ويصل حدًا يمكنه فيه الاستقلال بأموره والاكتساب بنفسه دون حاجة إلى غيره.

فجاء فى القرآن الكريم إطلاق اليتم على البالغين؛ كما فى قوله تعالى: ﴿**وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾ (سورة النساء الآية: ٦)، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾ (سورة النساء الآية: ٣).

قال الإمام أبو بكر الجصاص الحنفى فى «أحكام القرآن» (٢/٣٣٨، ط. دار إحياء التراث العربى): (وسماهم «يتامى» لأحد معنيين: إما لقرب عهدهم بالبلوغ، أو لانفرادهم عن آبائهم مع أن العادة فى أمثالهم ضعفهم عن التصرف لأنفسهم والقيام بتدبير أمورهم على الكمال حسب تصرف المتحنكين الذين قد جربوا الأمور واستحكمت آراؤهم) ا. هـ.

وقال الإمام الزمخشرى فى «الكشاف» (١/٤٦٣ - ٤٦٤، ط. دار الكتاب العربى): (وحق هذا الاسم «اليتيم» أن يقع على الصغار والكبار؛ لبقاء معنى الانفراد عن الآباء، إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال، فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم، وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم، زال عنهم هذا الاسم) ا. هـ.

وجاء فى حديث النبى ﷺ تحديد أمد الكفالة: بأنه يمتد إلى حين استغناء نفسه عن كافله؛ فأخرج ابن المبارك فى «الزهد»، وأبو داود الطيالسى والإمام أحمد وأبو يعلى فى «مسانيدهم»، والطبرانى فى «المعجم الكبير» فى حديث مالك - أو ابن مالك - رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من ضم يتيمًا بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة»، وإسناده حسن كما قال الحافظان: المنذرى فى «الترغيب والترهيب» (٣/٢٣٥، ط. دار الكتب العلمية)، والهيثمى فى «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٨/١٦١، ط. مكتبة القدسى)، وقال الحافظ البوصيرى فى «إتحاف الخيرة المهرة» (٥/٤٧٥، ط. دار الوطن): (ورواته ثقات) ا. هـ، ورواه الطبرانى فى «المعجم الأوسط» من حديث عدى بن حاتم رضي الله عنه، وكذلك ابن الفاخر الأصبهانى فى «موجبات الجنة» وزاد: فضم عدى سبعين يتيمًا إلى طعامه وشرابه حتى استغنوا عنه»، ورواه عبد بن حميد فى «المنتخب» والحارث بن أبى أسامة فى «مسنده» والخرائطى فى «مكارم الأخلاق» من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، ورواه الحافظ أبو طاهر السلفى فى «المشيخة البغدادية» من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى «فتح البارى» (٤٣٧/١٠، ط. دار المعرفة): (فيستفاد منه أن للكفالة المذكورة أمدًا) ا.هـ.

الأشجعى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة» وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى «امرأة آمت من زوجها ذات منصب، وجمال، حبست نفسها على يناماها حتى بانوا أو ماتوا»، وأخرجه الخرائطى أيضًا من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

قال الإمام ابن الأثير فى «النهاية فى غريب الحديث والأثر» (١٧٥/١، ط. المكتبة العلمية): (يقال: أبان فلان بنته وبينها؛ إذا زوجها، وبانت هى؛ إذا تزوجت، وكأنه من البين: البعد، أى بعدت عن بيت أبيها، ومنه الحديث الآخر «حتى بانوا أو ماتوا») ا.هـ.

وقال العلامة القارى فى «مرقاة المفاتيح» (٣١١٩/٨، ط. دار الفكر): (أى: إلى أن كبروا وحصلت لهم الإبانة، أو وصلوا إلى مرتبة كمالهم، فإن البين من الأضداد بمعنى الفصل والوصل، وقال شارح: أى حتى فضلوا، وزادوا قوة وعقلاً واستقلوا بأمرهم من البون وهو الفضل والمزية) أ.هـ.

وقال الشيخ صديق حسن خان القنوجى فى «حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة» (ص: ٢٦٨، ط. مؤسسة الرسالة): (ومعنى بانوا: انفصلوا واستغنوا) ا.هـ.

وأخرج أبو الشيخ فى «الثواب» والأصبهانى فى «الترغيب والترهيب» والديلمى فى «مسند الفردوس» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة فى ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله: واصل الرحم؛ يزيد الله فى رزقه ويمد فى أجله، وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتامًا صغارًا فقالت: لا أتزوج، أقيم على أيتامى حتى يموتوا أو يغنيهم الله، وعبد صنع طعامًا فأضاف ضيفه وأحسن نفقته، فدعا عليه اليتيم والمسكين فأطعمهم لوجه الله عز وجل» وفى سنده ضعف، ويشهد له ما قبله.

وبذلك صرح حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما؛ فروى الإمام مسلم فى «صحيحه» وغيره؛ أن نجدة الحرورى كتب إلى ابن عباس رضى الله عنهما يسأله؛ فكان فيما أجابه: «وكتبت تسألنى: متى ينقضى يتم اليتيم؟ فلعمرى، إن الرجل لتنبت لحيته وإنه لضعيف الأخذ لنفسه، ضعيف العطاء منها، فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتم».

قال الإمام الجصاص الحنفى فى «أحكام القرآن» (٣٣٨/٢): (فأخبر ابن عباس رضى الله عنهما أن اسم اليتيم قد يلزمه بعد البلوغ إذا لم يستحكم رأيه ولم يؤنس منه رشده؛ فجعل بقاء ضعف الرأى موجبًا لبقاء اسم اليتيم عليه) ا.هـ.

وقال القاضى عياض المالكى فى «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٢٠٧/٦، ط. دار الوفاء): (ذهب مالك وأصحابه وجميع العلماء: إلى أن يُتم اليتيم لا يخرجه مجرد البلوغ ولا علو السن؛ حتى يؤنس منه الرشد وضبطه المال، وهو قول الشافعى وأبى يوسف ومحمد بن الحسن وأحمد وإسحاق، وقال أبو حنيفة: إذا بلغ خمسًا وعشرين سنة دُفِعَ إليه ماله وإن كان غير ضابط له) ا.هـ.

وقال الإمام النووى الشافعى فى «شرح مسلم» (١٩١/١٢): (وفى هذا دليل للشافعى ومالك وجماهير العلماء أن حكم اليتم لا ينقطع بمجرد البلوغ، ولا بعلو السن، بل لابد أن يظهر منه الرشد فى دينه وماله، وقال أبو حنيفة: إذا بلغ خمسًا وعشرين سنة، زال عنه وصار رشيداً يتصرف فى ماله) أ.هـ.

ويشهد لذلك الأصل اللغوى لاسم اليتيم؛ فليس فى معناه لغة ما يفيد حدَّه بالبلوغ؛ فإن الانفراد والغفلة والضعف كلها معانٍ لا تتوقف على الصغر، وإن كانت تغلب فيه؛ ولذلك سمى العرب المرأة يتيمة حتى تتزوج، ومنهم من أطلق وصف اليتم على النساء من غير تقييد بالزواج.

يقول الإمام الجصاص فى «أحكام القرآن» (٣٣٨/٢): (واسم اليتيم قد يقع على المنفرد عن أبيه وعلى المرأة المنفردة عن زوجها، قال النبى ﷺ: «تُستأمَرُ اليتيمة فى نفسها»، وهى لا تستأمر إلا وهى بالغة، وقال الشاعر:

إن القبور تنكح الأيامى .·. النسوة الأرامل اليتامى

إلا أنه معلوم أنه إذا صار شيخًا أو كهلاً لا يسمى يتيمًا وإن كان ضعيف العقل ناقص الرأى؛ فلابد من اعتبار قرب العهد بالصغر، والمرأة الكبيرة المسنة تسمى يتيمة من جهة انفرادها عن زوج، والرجل الكبير المسن لا يسمى يتيمًا من جهة انفراده عن أبيه، وإنما كان كذلك لأن الأب يلى على الصغير ويدبر أمره ويحوطه فيكنفه فسمى الصغير يتيمًا لانفراده عن أبيه الذى هذه حاله فما دام على حال الضعف ونقصان الرأى يسمى يتيمًا بعد البلوغ، وأما المرأة فإنما سميت يتيمة لانفرادها عن الزوج الذى هى فى حباله وكنفه فهى وإن كبرت فهذا الاسم لازم لها؛ لأن وجود الزوج لها فى هذه الحال بمنزلة الأب للصغير فى أنه هو الذى يلى حفظها وحياطتها، فإذا انفردت عمن هذه حاله معها سميت يتيمة كما سمى الصغير يتيمًا لانفراده عمن يدبر أمره ويكنفه ويحفظه؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾، كما قال ﴿**وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ**﴾ فجعل الرجل قيمًا على امرأته كما جعل ولى اليتيم قيمًا عليه. ا. هـ

وجاء فى «تاج العروس» للعلامة الزبيدى (مادة: «يتم»): (قال أبو سعيد: يقال للمرأة يتيمة؛ لا يزول عنها اسم اليتم أبدًا، وأنشدوا: وينكح الأرامل اليتامى.

وقال أبو عبيدة: تُدعَى يتيمة ما لم تتزوج، فإذا تزوجت زال عنها اسم اليتم، وكان المفضل ينشد:

أفاطم إنى هالك فتثبتى .·. ولا تجزعى؛ كل النساء يتيمُ

وفى التنزيل العزيز: ﴿**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ**﴾ أى: اعطوهم أموالهم إذا آنستم منهم رشدًا، وسُمُّوا «يتامى» بعد أن أُونس منهم الرشد، بالاسم الأول الذى كان لهم قبل إيناسه منهم، وأصل اليتم، بالضم والفتح: الانفراد: وقيل: الغفلة، والأنثى: يتيمة، فإذا بلغت زال عنها اسم اليتم حقيقة، وقد يطلق عليها مجازًا بعد البلوغ، كما كانوا يسمون النبى ﷺ وهو كبير: يتيم أبى طالب؛ لأنه رباه بعد موت أبيه. وفى الحديث: «**تستأمر اليتيمة فى نفسها، فإن سكتت فهو إذنها**» أراد باليتيمة: البكر البالغة التى مات أبوها قبل بلوغها، فلزمها اسم اليتم، فدعيت به وهى بالغة مجازًا، وفى حديث الشعبى: أن امرأةً جاءت إليه فقالت: إنى امرأة يتيمة، فضحك أصحابه، فقال: «النساء كلهن يتامى»؛ أى ضعاف. ا. هـ.

وقال العلامة الحرالى: (اليتم: فقدان الأب حين الحاجة، ولذلك أثبته مثبت فى الذكر إلى البلوغ، والأنثى إلى الثيوبة، لبقاء حاجتها بعد البلوغ) ا. هـ نقلا عن «تاج العروس» (مادة يتم).

وقال العلامة أبو البقاء الكفوى فى «الكليات» (ص: ٩٧٨، ط. مؤسسة الرسالة): (كل شىء فرد يعز نظيره فهو «يتيم»، وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار؛ لبقاء الانفراد عن اعتبار الأخذ والإعطاء من الولى بالنظر إلى حال نفسه، إلا أنه غلب أن يسمى به قبل أن يبلغ مبلغ الرجال، فإذا بلغ زال عنه هذا الإسم، وعلى وفق هذا ورد عرف الشرع) ا. هـ.

ولا يعارض ذلك قول النبى ﷺ: «**لا يتم بعد احتلام**»؛ فإن نفى اليتم فيه بعد الاحتلام يقصد به نفى أحكام الصغر عن اليتيم إذا بلغ؛ فهو مسوق للتفريق بين أحكام الصغار والكبار حيث إن اليتيم إذا بلغ الحلم جرت عليه أحكام الرجل البالغ المحتلم المكلف؛ فتتوجه إليه التكاليف الشرعية إلزامًا والتزامًا، ولا يكون وصف اليتم حينئذ حائلاً بينه وبين ما قد يترتب عليه من مسئولية ومؤاخذة؛ فهو بيان للأحكام الشرعية لا نفى لاسم اليتم عنه.

يقول الإمام الزمخشرى فى «الكشاف» (١/٤٦٣ – ٤٦٤): (وأما قوله ﷺ: «لا يتم بعد الحلم» فما هو إلا تعليم شريعة، لا لغة؛ يعنى: أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار) ا. هـ.

واليتيم يكون أحوج ما يكون إلى الكفالة رعاية وكفاية وإصلاحًا فى المرحلة التى تلى البلوغ؛ إذ هى أكثر مراحل العمر حرجًا، بل إن الواقع يشهد بأن توقف الكفالة فى هذه السن قد يكون سببًا فى ضياعه وانقلابه على المجتمع الذى تركه دون أن يضع قدمه على الطريق أو تكتمل له عناصر النجاح.

فكفالة اليتيم لا تتوقف ببلوغه، وإن زال عنه وصف اليتم عرفًا، أو بالتكليف الشرعى الذى يقصد به

خروجه عن حد الصغر، وإنما تستمر بعد بلوغه إلى وقت حصول رشده؛ كما فى إيتاء الأموال فى قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (سورة النساء الآية: ٦)، وذلك يتحقق بحصول الأهلية الكاملة لليتيم، التى تبيح له أن يباشر جميع التصرفات بنفسه، وتسقط بها وصاية غيره عليه، وتنهض بها مسئوليته الكاملة عن كل ما يصدر عنه من أعمال، ويخرج بها اليتيم عن وصف «القاصر».

فتحصّل من ذلك: أن الشريعة قصدت بكفالة اليتيم رعايته فى جميع شئون حياته ومعيشته مأكلاً ومشربًا وملبسًا ومسكنًا وتأديبًا وتعليمًا وتثقيفًا وزواجًا، وغير ذلك من ضروريات الحياة وحاجياتها؛ كما يصنع الوالدان بولدهما سواءً بسواء؛ حتى يصل إلى مرحلة الاستقلال التامة نفسيًا واجتماعيًا وماليًا بحيث يكون قادرًا على بناء أسرته قائمًا بشئونه منفقًا على نفسه وعلى من يعول.

وتحديد المرحلة أو السن التى يتم فيها استقلال اليتيم بنفسه رعاية وكفاية واكتسابًا بحيث تنتهى كفالته عندها: هو أمر يخضع لحالته وقدراته الذاتية واستعداده النفسى، كما قال الفقهاء فى حد العطاء فى الزكاة؛ فيجوز إعطاء الإنسان من الزكاة حتى تخرجه من حد الحاجة إلى حد الغنى بل ويعطى عند جماعة من الفقهاء ما يغنيه عمره كله بتقدير العمر الغالب لأمثاله؛ وهذا يقتضى أن كفالة الأيتام تشمل توفير فرص العمل لهم، فإن كان استعداد اليتيم متوائمًا مع الجانب الحرفى أنفق عليه حتى يتقن الحرفة التى يمكنه أن يتمهر فيها، ثم أعطى من الآلات فى حرفته ما يكفيه لتمام نفقته، وإن كان صاحب علم أعطى من المال ما يغنيه ويفرغه لهذا العلم من كتب وأجرة تعلم ومعلم وغيرها، ومن ذلك منح التفريغ التى تعطى لمن أراد الحصول على مؤهل علمى معين يناسب كفاءته العلمية وقدرته العقلية، أو حتى لمن يحتاج إلى هذا المؤهل العلمى للإنسلاك فى وظيفة تدر عليه دخلاً يكفيه ومن يعوله؛ حيث اقتضت طبيعة العصر وابتناء الوظائف وفرص العمل فيه على المؤهلات العلمية أن صار المؤهل بالنسبة له كالآلة بالنسبة للحرفى علاوة على ما يكتسبه فى ذلك من علم يفيده ويفيد أمته... وهكذا.

واليتيمة تظل فى الكفالة حتى تتزوج، وكذلك ذوو الاحتياجات الخاصة من الأيتام؛ يبقون فى الكفالة ما بقى احتياجهم لغيرهم.

ومجهولو النسب لهم أحكام اليتامى، كفالتهم تعد من كفالة اليتيم، بل هم أولى بالعناية؛ فإن العلة فى فضيلة كفالة اليتيم حرمانه من أبيه، وهذه العلة متحققة فى مجهول النسب بصورة أشد تأثيرًا فى النفس وفى أمور الحياة التى تحتاج إلى مزيد من العناية؛ لكون اليتيم معلوم الأب، لم يلحقه عار بموت أبيه، كما أن له عائلة ينتمى إليها، وأقارب قد يصلونه فى يوم من الأيام، أما هذا فجهالة نسبه قد تجعله عرضة لنبذ المجتمع، مع كونه لا أب له ولا أقارب ينتظر وصلهم له أو سؤالهم عنه، وليست له عائلة ينتمى إليها، فقد تحقق فيه أصل معنى اليتم اللغوى - وهو التفرد - بالحرمان من الأب، وزاد عليه؛ بالحرمان من الأهل والأقارب والعائلة، فتحققت فيه علة الحكم وزادت فى وصفها؛ فشمله الحكم من باب أولى، وتأكدت فى حقه فضيلة الكفالة التى رغب فيها النبى ﷺ، ورتب عليها الأجر العظيم؛ ولذا كانت العناية به أوجب من اليتيم معروف النسب.

ويجوز أن تكون كفالة اليتيم من أموال الزكاة: فإن صدق على المكفول الوصف بكونه من أحد أصناف الزكاة الثمانية صغيرًا كان أو كبيرًا، كأن يكون فقيرًا ليس لديه مال أو غير قادر على الإنفاق على نفسه على الوجه السابق، ذكره فى بيان انتهاء كفالة اليتيم: فإنه يعطى من الزكاة حتى يصل إلى مرحلة الاستقلال والاستغناء عن غيره والاكتساب بنفسه.

ويجوز الإنفاق على المكفولين من التبرعات والصدقات أيضًا؛ فإن الصدقة أمرها أوسع من الزكاة؛ حيث تجوز للفقير وغيره والمسلم وغيره؛ وكفالة اليتيم فى أصلها نوع من أنواع التبرعات والصدقات. أما الصدقة الجارية فتكون فيما يجرى نفعه وأجره ويدوم، وهذا إنما يتصور فيما لا يستهلك من أعيان الصدقات، أى فيما تبقى عينه لتدر نفعًا وفائدة لمن أعطيت له أو وقفت عليه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

حكم سهو الإمام فى صلاة الجماعة

■■ **نصلى فى العمل يوميًا، ويصلى بنا أحد الزملاء، وكان يصلى بنا صلاة الظهر؛ وهى صلاة رباعية، ولكنه بعد الركعة الرابعة قام ليأتى بركعة خامسة، فقام أكثر من شخص من المصلين بتنبيهه بكلمة «سبحان الله»، ولكنه لم يستجب لهم وأتى بالركعة الخامسة رغم هذا التنبيه، ثم أتى بسجود السهو بعد الركعة الخامسة وسلم، وعند سؤاله عن عدم الاستجابة للتنبيه بكلمة «سبحان الله» رد قائلاً: أنا كنت للوقوف أقرب من القعود؛ لذا أتيت بالركعة الخامسة.**

والسؤال: هل هذه الصلاة صحيحة أو غير صحيحة؟ وما حكمها؟

■ **الجواب**: إذا كان الإمام قد فعل ذلك سهوًا أو شكًّا وبنى على الأقل فقام لتتميم صلاته؛ فصلاته صحيحة. وتنبيه المأمومين له بقولهم: «سبحان الله» إنما يوجب عليه الجلوس إن تذكر يقينًا أنها خامسة لا رابعة، فإن لم يتذكر فى نفسه، وجزم أو ظن بخطأ من وراءه فلا يجوز له الجلوس، بل يمضى فى صلاته، فإن جلس وهو على هذه الحالة بطلت صلاته.

أما المأمومون؛ فمن تيقن منهم خطأ الإمام لزمه أن لا يتابعه، وعليه أن ينوى مفارقته ويتم الصلاة منفردًا، أو ينتظره حتى يجلس للتشهد الأخير ويتم صلاته معه، ومن لم يتيقن منهم خطأه فعليه متابعته.

قال الإمام ابن حجر الهيتمى فى «تحفة المحتاج فى شرح المنهاج» (٢/١٩٤، ط. المكتبة التجارية الكبرى): (ولو قام إمامه لزيادة؛ كخامسة؛ سهوًا لم يجز متابعته، ولو مسبوقا أو شاكا فى فعل ركعة، ولا نظر لاحتمال أنه ترك ركنا من ركعة؛ لأن الفرض أنه علم الحال أو ظنه، بل يفارقه ويسلم، أو ينتظره؛ على المعتمد) ا. هـ.

هذا كله إذا لم يتذكر الإمام فعلاً أنه قد صلى أربعًا وأنه قد قام إلى الخامسة يقينًا، أما إذا تذكر من تذكير المأمومين له أنه يقوم إلى الخامسة فعلاً فإنه لا ينفعه حينئذ ما أراد به تصحيح فعله بأنه كان أقرب إلى القيام، بل كان الواجب عليه وقتها أن يرجع فيجلس للتشهد، فإن لم يفعل بطلت صلاته؛ لأنه لم ينتقل مما هو من سنن الصلاة إلى ما هو من فروضها، بل زاد فى الصلاة عمدًا ما ليس منها.

مجلة منبر الإسلام
تفتح آفاقها على العالم الإسلامى
بكل جديد ومفيد
مجلة الفردوس للطفل المسلم «هدية»
سارع باقتناء نسختك

نافذة على القراء

أحمد فاروق الهلباوى

faroukahmed22@yahoo.com

جمهورية مصر العربية
القاهرة
مجلة منبر الإسلام
٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة

النجاة من الفتن

الطريق الصحيح للنجاة من الفتن هو الاعتصام بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وسلف الأمة فقد روى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ستكون فتن فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن ابتغى العزة في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين والنور المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم ومن أسباب النجاة من الفتن لزوم جماعة المسلمين وإمامهم فهذا الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى قال حذيفة رضي الله عنه يا رسول الله: إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال ﷺ نعم قال فهل بعد ذلك الشر فى خير قال نعم وفيه دخن قال وما دخنه قال قوم يهدون بهدى تعرف منهم وتنكر قال فهل بعد ذلك الخير من شر قال ﷺ نعم دعاه إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قال صفهم لنا يا رسول الله قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا وإمامهم قال يا رسول الله ﷺ فإن لم يكن جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرقة كلها ولو أن تعفى بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك (البخارى ومسلم وأحمد).

فلا نجاة لنا من الفتن إلا باللجوء إلى علام الغيوب والاستعانه به وصدق الرجوع إليه والتمسك بكتاب الله لزوجك وسنة نبيه ﷺ.

الله قنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

من القارئ: عبد الباسط منصور عسكر - الكوم الأخضر - حوش عيسى - بحيرة.

وبعد فإن الفتن المحيطة بالبلاد والعباد ما أكثرها والنجاة منها بمزيد من تقوى الله واللجوء إليه فى كل الملمات وأنا أدعو أهل مصر المحروسة وكل القائمين على هذا البلد أن تكون طاعة الله هى غايتهم والموت فى سبيل الله أغلى أمانيهم والبعد عن دهاليز السياسة وما فيها من الاعيب.

الدستور ولجنته المنحلة

ومن القارئ إبراهيم حافظ بالمعاش. الذى يعرض لموضوعات شتى عن الدستور ولجنته المنحلة وكذلك الأوضاع فى مصر بصفة عامة والخلافات بين المجلس العسكرى وبعض الثوار وما آلت إليه الأمور فى مصرنا العزيزة.

ويقترح القارئ الفاضل بعض الحلول وكلها مثالية وتحتاج كثيرًا من الوقت حتى نقوم بحلها.

وللقارئ العزيز نقول: إن مصرنا العزيزة فى حاجة ماسة لكل عقل مصرى يفكر ويبدع وأن نترك كل مجال لأهله الذين يبدعون فيه.

العقل مهبط الفتوحات الإلهية

العقل منحة الله تعالى للإنسان.. وبدون العقل لا يكون للإنسان رسالة ولا هدف.. ولا مكانة ولا منزلة فالعقل صنع الله تعالى.. وهو من أكبر المواهب.. الإلهية للبشرية جمعاء إلى جانب نعم الله تعالى التى لا تعد ولا تحصى.

والعقل هو الذى يفكر ويتفكر. ويتدبر ويتأمل. ويبحث ويوازن ويحلل ويستنتج. ويبدع ويبتكر ويدقق ويقارن ويصوغ المعانى. ويسوق الأدلة. ويُقنع ويقتنع ويقيم الحجة. ويسعى للدليل السليم.. والمنطق القويم.

والعقل مهبط الفتوحات الإلهية. لذلك يتطلع لكشف أسرار الكون. ويسعى لنيل مفاتيح الغيب والذى يقرأ القرآن الكريم يجد أن القرآن يلفت الأنظار فى كثير من آياته إلى استخدام العقل فى التفكر فى ملكوت السماوات والأرض. وفى الخلق والكون. والأنفس والآفاق.

وجاءت تعبيرات القرآن متنوعة ومتعددة في هذا المعنى فمنها **﴿أفلا يعقلون - لعلهم يعقلون - أفلا يتدبرون - أفلا يتفكرن﴾** وغيرها من الآيات التى تخاطب أولى الألباب وأولى النهى.. وهذه الآيات تستحث العقل على القيام بدروه فى التفكير. وهذا أمر بديهى للعقل لأن ذلك من أهم خصائص العقل..

أحمد أبو الوفا صديق - فرشوط - قنا

وبعد أعتقد أن المعنى القرآنى للتفكير والتفكر والتدبر وإعمال العقل: هو أن يصل الإنسان في نهاية تفكيره وتفكره إلى توحيد الخالق المبدع واتباع هديه وشرعه. وكذلك إسعاد البشرية جميعًا بكشف أسرار الله تعالى فى كونه الفسيح. وعمارة الدنيا للآخرة.

رسائل قصيرة:

القارئ: عبد الرحمن إبراهيم مندوه العجمى: وصلتنا رسالتك وفيها شئ جميل عن الشباب ودوره فى رفع راية هذا البلد واستشهادك بنبيين كريمين هما سيدنا يوسف وسيدنا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

القارئ: الشيخ علاء شيخون عبد العال: أتمنى أن تكون موضوعاتك قصيرة حتى نستطيع نشرها كاملة.

القارئ: حربى مصطفى حسن: شكرًا لك على رسالتك التى أوردت بها بعض الأخطاء الواردة فى المجلة وهى أخطاء وردت بسبب السرعة فى إنهاء المجلة لذا لم يقم أهل الطباعة بإنزال الأخطاء ولك الشكر.

الإمام محمد الغزالى (أديب الدعوة)

الشيخ محمد الغزالى: هو (قصة الدعوة والداعية) فإذا أردت معرفة الدعوة فتعرف على الغزالى، وإذا أردت أن تتعرف على الداعية فهو الغزالى لم يكن الشيخ رحمه الله من أئمة الأخوان المسلمين فقط بل كان إمام الأئمة فى عصره لن يجود الزمان بمثله، ولد الغزالى فى قرية نكلا العنب التابعة لايتاى البارود بمحافظة البحيرة فى الخامس من ذى الحجة ١٣٣٥هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٩١٧م ونشأ فى أسرة متدينة وله خمسة إخوة وأتم حفظ القرآن بكتاب القرية فى العاشرة، يقول الإمام الغزالى عن نفسه كنت اتدرب على إجادة الحفظ بالتلاوة فى غدوى ورواحى وأختم القرآن فى تتابع صلواتى وقبل نومى وفى وحدتى، وقد سمى الغزالى بهذا الاسم رغبة من والدة بالتيمن بالإمام أبو حامد الغزالى فلقد رأى فى منامه الشيخ الغزالى وقال له، إنه سوف ينجب ولداً ونصحه أن يسميه على اسمه الغزالى فما كان من الأب إلا أن عمل بما رآه كانت أمنية الشيخ أن يدفن بجوار رسول الله ﷺ وشاءت قدرة الله أن يدعى لمؤتمر فى الرياض بالسعودية فى مارس ١٩٩٦م رغم نصائح الأطباء له بعدم الاجهاد إلا أنه أصر على السفر للمشاركة فى المؤتمر رغم الخوف من أى تطاول عليه من قبل البعض بعد معركته مع أهل الحديث فى كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) وفى المؤتمر انفصل كثيراً خاصة بعد أن اتهمه البعض بمعاداته للسنة النبوية وعلى إثر ذلك أصيب بأزمة قلبية وفاضت روحه إلى بارئها جاءت لحظة الدفن فى البقيع حيث أخبر الرجل القائم بعملية الدفن فقال إن صاحبكم أمره غريب يقصد الشيخ الغزالى، كلما شرعت فى حفر حفرة أجد الأرض لا تلين معى، حيث جئت إلى هنا فلانت معى الأرض بين قبرى نافع مولى عبد الله بن عمر - وأنس بن مالك ولذلك سمى بصاحب (الميتة المخرصة) أى دفن بين أهل الفقه وأهل الحديث وكان هذا الموقف رداً على اتهامه ببراءة أهل الفقه وأهل الحديث منه، رحم الله الشيخ محمد الغزالى العطرة ذكراه جزاء بما قدم لخدمة الإسلام والمسلمين.

القارئ: شعبان عبد العال إبراهيم - محافظة المنيا - بنى حسن الشروق

وبعد فإن الحديث عن الشيخ الغزالى ممتع لما فى الرجل من صفات نجلها ونحترمها وتحسب أنه كان من العلماء العاملين الذين رفعوا راية العلم والحق ضد كل من تسول له نفسه الوقوف ضد كل ما هو إسلام يرحم الله الشيخ محمد الغزالى.

ترقبوا

• وسطية الإسلام
سلسلة دراسات إسلامية
• تصدر فى منتصف كل شهر عربى
• الردة عن الإسلام
سلسلة قضايا إسلامية
• تصدر غرة كل شهر عربى فى فرع المجلس

إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
من أمهات كتب التراث الإسلامى

ترقبوا
الموسوعات
المتخصصة
موسوعة
الفقه الإسلامى الجزء ٣٧

موسوعات متخصصة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف
مع مجلة «منبر الإسلام» الشهرية

مسابقة منبر الإسلام الدينية - جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ

اقلب الصفحة

الاكتفاء الذاتى

لا شك أن الزراعة من أهم العوامل التى تعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتى لأى دولة وتضمن الحصول على السلع الغذائية الضرورية لحياة البشر والكائنات الحية ومن - فضل الله - عز وجل أن المناخ فى بلدنا الحبيب مصر يسمح بتعدد أنواع النبات مما يسمح لنا أن نحقق اكتفاء ذاتيًا من السلع الغذائية الضرورية، حتى لا يتحكم غيرنا فى قرارنا فمن لا يملك قوته لا يملك كلمته.

ولا شك أن الإسلام يدعونا إلى القيام بالزراعة يقول رسولنا الكريم: «ما من قلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» ويقول ﷺ: «إذا قامت القيامة وفى أحدكم فسيلة فليغرسها».

من القارئ: حربى مصطفى حسن

فعلينا أن نعتنى بالزراعة وعلى كل مواطن يستطيع أن يعتنى بالزراعة وعلى كل مواطن يستطيع أن يغرس شجرة ويرعاها أن يفعل وعلى كل صاحب أرض زراعية أن يحافظ عليها ولا يسعد بتبوير الأرض فهو يضيع ثروة لا يمكن أن تعوض.

مسابقة منبر الإسلام الدينية جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ

السؤال: «ومن أجل ذلك يدرك العقلاء أن الحكمة كل الحكمة هى فى أن تتكاتف الجهود وتتضافر القوى...» فى أى مقال وردت هذه العبارة؟ وما اسم كاتبها؟.

عنوان المقال: .... اسم الكاتب: ....

العنوان: ....

العمل: ....

اسم المتسابق: .... رقم التليفون: ....

تاريخ الميلاد: ....

رقم البطاقة: .... جهة الصدور: ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٣٢هـ حتى شعبان ١٤٣٣هـ

بريد التعارف

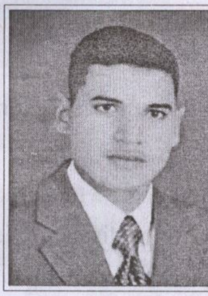

الاسم : محمد لطفى أحمد عامر

الهواية : قراءة القرآن الكريم - الخطابة

العنوان : الرفاعيين - فاقوس شرقية.

الاسم : شعبان عبد العال إبراهيم

الهواية: مطالعة الكُتب الدينية

العنوان: المنيا - بنى حسن الشروق.

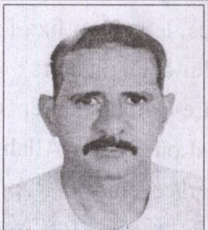

الاسم : الفولى عبد الظاهر الفولى

الهواية : قراءة القرآن الكريم، ودراسة علومه.

العنوان : جزيرة طما - سوهاج.

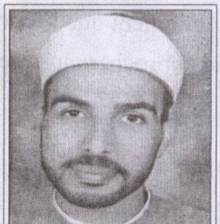

الاسم : إبراهيم أحمد محمد جاد الكريم

الهواية : سماع القرآن الكريم والتفسير وحضور الندوات الدينية

العنوان : فرشوط - قنا

الاسم : أحمد كمال أبو زيد

الهواية : القراءة، الاطلاع على الكتب الدينية، والثقافية

العنوان : سوهاج - شارع ٢٧ .

الاسم : إسماعيل إبراهيم شرقاوى مرعى

الهواية : قراءة القرآن الكريم والكُتب الدينية.

العنوان : غمازة الكبرى - الصف - جيزة.

الاسم : علاء الدين شيخون عبد العال

الهواية : الخطابة والندوات الدينية

العنوان : بندر سوهاج

الاسم : عبد الرحمن أحمد محمد عويس

الهواية : الاطلاع الدينى - تحفيظ القرآن الكريم

العنوان : الصف - جيزة.

تعارف منبر الإسلام

الاسم ....

الهواية: ....

العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

fants et je n'ai jamais embrassé l'un d'eux !» Le Prophète ﷺ rétorqua : " La miséricorde n'est point donnée à celui qui ne fait pas preuve de miséricorde". Hadith agréé.

D'ailleurs, nous mentionnons les exemples suivants :

- Le Prophète ﷺ rendit visite à un garçon juif malade qui le servait. Il lui disait : "Dis : il n'y a de dieu qu'Allah, lailahaillaallah». Sur ce, le garçon fixa le regard sur son père. Celui-ci lui dit alors : «Obéis à Abou Al Qaçim». Le garçon le répéta et le Prophète reprit : «Louanges à Allah qui l'a sauvé de l'Enfer grâce à moi «. Rapporté par Al Boukhâri.

4- La miséricorde envers les orphelins

Le prophète enseigne aussi la miséricorde envers l'orphelin dans la mesure où il exhorte les hommes à prendre en charge l'orphelin pour assurer à ceux qui ont perdu leurs parents le parrainage et l'éducation dont ils ont besoin jusqu'à ce qu'ils atteignent la majorité. Un âge où ils deviennent alors capables de travailler pour gagner leur vie. Le Prophète ﷺ dit ainsi : "Quiconque a joint un orphelin à lui ou à un autre (dans le sens de le prendre en charge) jusqu'à ce qu'Allah le rendra si riche qu'il se passe de lui (le tuteur), le paradis lui sera prescrit". Il lia aussi celui qui prend en charge l'orphelin à lui-même en disant : "Moi et le tuteur de l'orphelin nous serons au Paradis, comme ceux-ci". Et il montra ses deux doigts : l'index et le majeur en les écartant".

5- la miséricorde ﷺ envers les faibles, les nécessiteux, les pauvres, les besogneux, les malades et les éprouvés :

Le prophète enseigne aussi la miséricorde envers les faibles, les nécessiteux, les pauvres, les besogneux, les malades et les handicapés.

Le Messager d'Allah ﷺ partit alors de ce principe dans son comportement avec les faibles et les nécessiteux dès le début de sa mission. Ils étaient le premier soutien dans la da'wah islamique. Ils étaient les premiers qui y crurent et le protégèrent. Il s'asseyait avec eux et les rapprochaient tellement que les notables parmi ses gens le reprochèrent parce qu'il les préférait.

D'ailleurs, le Messager d'Allah ﷺ appelait les musulmans à la compassion et la miséricorde envers eux, à les secourir et à les aider. Qui le fait en sera récompensé pleinement, une récompense que seuls les plus rapprochés auprès d'Allah mériteront. Dans ce contexte, on rapporta que le Prophète dit : "Celui qui entretient par son travail la veuve et le nécessiteux est comme le combattant dans le sentier d'Allah ou comme celui qui passe toute la nuit à prier et qui jeûne la journée".

Le prophète rendait visite au malade en invoquant Allan en son faveur. Les hadîths qui le montrent sont multiples

De même, le Messager d'Allah ﷺ mentionna un code médical dont la médecine d'aujourd'hui ne sort de son cadre : le remède doit correspondre à la maladie pour assurer la guérison. Il l'exprima ainsi :" À chaque maladie correspond un remède ; si celui-ci est convenable à la maladie, celle-ci va être guérie si Allah le veut".

De là, cette miséricorde doit englober tous les membres de la société. Le prophète la fonda sur une miséricorde mêlée de l'affection. Il leur apprend comment construire une communauté de convivialité, de compassion mutuelle et de sérénité en leur disant : «L'exemple des croyants dans leur affection, leur compassion réciproque et leur sympathie, est comme le corps ; si un de ses membres souffre, le corps entier souffrira aussi en restant éveillé et fiévreux». De plus, il guidait sa communauté vers ce qui pourrait consolider cette construction et dit : «Aucun d'entre vous ne peut se prétendre croyant jusqu'à ce qu'il aime pour son frère (ou prochain) ce qu'il aime pour lui-même».

Le Prophète le lui apprit en disant : « Dès que deux Musulmans qui se rencontrent se serrent la main. Allah leur remet les péchés avant qu'ils ne se séparent».

Par cette méthode, le Messager d'Allah ﷺ fonda la société de la miséricorde et de l'affection : par la bonne parole, le serrement réciproque et amical des mains, l'amour sincère, l'échange du salut,: " le vrai Musulman est celui dont les gens sont à l'abri de sa langue et de sa main."

Cette miséricorde à laquelle appelle l'Islam doit englober les êtres humains, musulmans ou non, amis et ennemis et même les animaux et objets. Le prophète en donne l'exemple à suivre pour ces tous les différents aspects de la miséricorde.

1- La miséricorde envers les parents

L'Islam appelle à prendre soin d'eux et à être bienfaisant et miséricordieux envers eux en vertu du verset suivant : «Allah a décrété que vous n'adorerez que Lui, et que (vous manifestez) la bienséance envers vos parents : si l'un d'entre eux ou tous les deux doivent atteindre la vieillesse auprès de toi, alors ne leurs dit pas « Fi» et ne les brusque pas, mais adresse leurs des paroles généreuses. Et par miséricorde, abaisse pour eux l'aile de l'humilité, et dis : « Seigneur, Fais leur à tous deux miséricorde comme ils m'ont élevé tout petit « (Sourate Al Isrâ', le Voyage nocturne, V.23-24).

2- La miséricorde envers les proches

L'Islam incite de même à être miséricordieux envers les proches, en désignant «la parenté» par le mot «rahim» et en appelant la miséricorde envers les proches « silata rahim (ou lien de parenté). Allah créa donc le rahim et lui accorda secours et protection en vertu du hadîth du Messager d'Allah ﷺ où il dit : " Allah dit : "Je suis Allah ! Je suis le Tout Miséricordieux. Je créai le rahim (littéralement la matrice ou les liens de parenté) et Je lui donnai un nom dérivé de Mon Nom. Or, celui qui l'observe, Je reste lié avec lui et celui qui le rompt, Je romps avec lui».

3 - La miséricorde envers les enfants

L'Islam exhorte à être miséricordieux envers les enfants. Cette miséricorde est un sentiment inné et instinctif. Le Prophète ﷺ l'était évidemment. A ce propos Abou Hourayrah rapporte : le Messager d'Allah ﷺ embrassa Al-Hassan Ibn 'Ali (son petit-fils) en présence d'Al Aqra' Ibn Habis At-Tamimi qui lui dit alors : «Je possède dix en-

La miséricorde en Islam (I)

Par Dr. Sami Mandour
Professeur et Chef de Département de Français,
Université Al Azhar

La miséricorde est une qualité que doit posséder l'homme car elle est l'un des attributs les plus sublimes d'Allah. Le Coran insiste davantage sur ce sentiment : le mot "Rahmah" (miséricorde) et ses dérivés sont mentionnés plus de deux cents cinquante fois dans le Noble Coran. Il initie donc les musulmans à la miséricorde. Nous en citons en particulier les verstes qui évoquent la miséricorde d'Allah:

« …Il S'est à Lui-même prescrit la miséricorde. » (Sourate Al -'An'âm, Les Bestiaux, V. 12).

Cette miséricorde divine se caractérise par son immensité : « ….Et Ma miséricorde embrasse toute chose... ». (Sourate, Al-'A'râf, V.156)

Allah a aussi descendu sur terre une autre forme de miséricorde, le Prophète dit : «Allah a fait que la miséricorde soit formée de cent parties dont Il garda quatre-vingt-dix-neuf par-devers Lui, et envoya une seule partie sur la terre. C'est grâce à cette partie que tous les êtres sont animés d'un sentiment de bonté les uns envers les autres si bien que la bête de somme écarte son sabot de son petit de peur de le blesser».

De même, le Prophète ﷺ était une miséricorde pour toute l'humanité. Allah l'a qualifié ainsi lorsqu'il dit : "Et Nous ne t'avons envoyé qu'en miséricorde pour l'univers».

(Sourate Al 'Anbiâ', les Prophètes V.107).

Le Prophète ﷺ a dit : "Je ne suis envoyé que pour être miséricorde".

D'ailleurs, le prophète exige que la miséricorde soit la qualité inhérente à la personnalité du musulman dans plusieurs hadiths. Nous en citons :

- Le Prophète ﷺ dit :"Est déçu et perdu un serviteur dont le cœur est privé (par Allah) de la miséricorde envers les humains."
- le Prophète ﷺ dit aussi : "Celui qui n'est pas miséricordieux envers les gens, Allah ne sera pas miséricordieux envers lui. Et celui qui ne pardonne pas, on ne lui pardonnera pas".

Ces hadiths sont une bonne annonce pour les miséricordieux et une invocation contre les sévères et les cruels.

Ce sentiment de la miséricorde doit être ancré dans les cœurs des hommes. Elle doit régner le foyer entre mari et épouse. Allah (que Son nom soit exalté): « Et parmi Ses signes Il a créé de vous, pour vous, des épouses pour que vous viviez en tranquillité avec elles et Il a mis entre vous de l'affection et de la bonté. Il y a en cela des preuves pour des gens qui réfléchissent. « (Sourate, Ar-Roûm 'Les Byzantins, V. 21).

present state is reasonable, but then civilization destroys itselt.

4. There is other intelligent life in the galaxy, but it has not bothered to come here.

Multiverseen0, wikipedia encyclopedia. org/ wiki/Multivers.

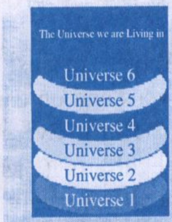

The multiverse (or metauniverse, . metaverse) is the hypothetical set of multiple possible universes (including the historical universe we consistently experience).

"Bubble universes": every disk is a bubble universe (Universe 1 to Universe 6 are different bubbles; they have physical constants that are different from our universe); our universe is just one of the bubbles.

﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ (سورة الفاتحة الآية ٢)

[All] praise is [due] to Allah , Lord of the worlds(Al-Fatiha / The Opening, 2))

Our cosmos was "bruised"(مرضوض، مهروس) in collisions with other universes. Now astronomers have found the first evidence of these impacts in the cosmic microwave bacground.

References

1.Extraterrestrial (www.disf.org/en/default.asp)

2.Extraterrestrial life could be extremely rare(physicsworld.com/cws/article/news/46736).

3.Civilizations beyond Earth: Extraterrestrial Life and Society (www.amazon.com Books History)

4.Extraterrestrial Life(www.halexandria.org).

5.Exclusive: NASA Scientist Claims Evidence of Alien life on Meteorite (exclusive-nasa-scientists-claim).

6.Is there any other life in the universe? (www.thekeyboard.org.uk/Extraterrestrial%20life.htm

7.Extraterrestrial life (BBC)

8.Has Evidence for Alien Life Been Found?(news.discovery.com Space News

9.Life in the Universe, Stephen Hawking (www.hawking.org.uk/index.php?option...id.)

10.Nasa scientists claims evidence of extraterrestrial life (www.guardian.co.uk/science/.../nasa-scientist-eviden..)

11.Enveladus named sweetest spot for aliens life (www.nature.com/news/2011/.../news.2011.337.html

a.SETI Institute Features (www.seti.org/)

12.Wired Science News for Your Neurons

13.Top 5 Bets for Extraterrestrial Life in the Solar System(www.wired.com/wiredscience/2009/01/et-life/

وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية ٨٣)

[83] Do they seek other than the religion of Allâh (the true Islâmic Monotheism - worshipping none but Allâh Alone), while to Him submitted all creatures in the heavens and the earth, willingly or unwillingly. And to Him shall they all be returned.

٣ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (سورة إبراهيم الآية ١٩)

[19] Do you not see that Allâh has created the heavens and the earth with truth? If He wills, He can remove you and bring (in your place) a new creation!

٤ - ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (سورة الإسراء الآية ٥٥)

[55] And your Lord knows best all who are in the heavens and the earth. And indeed, We have preferred some of the Prophets above others, and to Dâwûd (David) We gave the Zabûr (Psalms).

٥ - ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (سورة النمل الآية ٢٥)

Which means((as Shaitân (Satan) has barred them from Allâh>s Way) so they do not worship (prostrate themselves before) Allâh, Who brings to light what is hidden in the heavens and the earth, and knows what you conceal and what you reveal. (Tafsir At-Tabarî)).

٦ - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (سورة فاطر الآية ٤٤)

Which means: ((Have they not traveled in the land, and seen what was the end of those before them - though they were superior to them in power? Allâh is not such that anything in the heavens or in the earth escapes Him. Verily, He is All-Knowing, All-Omnipotent

٧ - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (سورة فاطر الآية ٤٤)

Which means: ((Whosoever is in the heavens and on earth begs of Him (its needs from Him). Every day He is (engaged) in some affairs (such as giving honor or to some, life or death to some, etc.))!

٨ - ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (سورة الرحمن الآية ٢)

Which means: ((Whosoever is in the heavens and on earth begs of Him (its needs from Him). Every day He is (engaged) in some affairs (such as giving honor or to some, life or death to some, etc.))!

Origin of life away of the creator is unsolved:

We do not know how DNA molecules first appeared. The chances against a DNA molecule arising by random fluctuations are very small. Some people have therefore suggested that life came to Earth from elsewhere, and that there are seeds of life floating round in the galaxy. However, it seems unlikely that DNA could survive for long in the radiation in space. And even if it could, it would not really help explain the origin of life, because the time available since the formation of carbon is only just over double the age of the Earth.

Why have we not been visited?

1.The probability of life appearing is very low.

2. The probability of life is reasonable but the probability of intelligence is low.

3. The probability of evolving to our

mologists speculate that a multitude of other universes exist, each with its own laws of physics. Recently physicists at MIT have shown that in theory, alternate universes could be quite congenial to life, even if their physical laws are very different from our own.

The statitistics:

1) The number of galaxies: An estimated 50 billion galaxies are visible with modern telescopes and the total number in the universe must surely exceed this number by a huge factor, but we will be conservative and simply double it. That's 100,000,000,000 galaxies in the universe.

2) The number of stars in an average galaxy: As many as hundreds of billions in each galaxy. Let's call it just 100 billion. That's 100,000,000,000 stars per galaxy.

3) The number of stars in the universe So the total number of stars in the universe is roughly 100 billion x 100 billion. That's 10,000,000,000,000,000,000,000 stars, 10 thousand, billion, and billion, properly known as 10 sextillion. And that's a very conservative estimate.

4) By the stars "wobble". Better technology. So far around 100 planets have been discovered. Most cosmologists believe that planetary formation around a star is quite common place. That calculation results in10, 000,000,000,000,000 planets in the universe. The conservative estimate reaches to ten million billion planets capable of supporting life. Let's assume that this is very rare among planets and rate it at only one in a million. Simple division results in: 10,000,000,000 planets in the universe capable of producing life. Ten billion! Frank Drake's own estimate puts the number of communicating civilizations in our Galaxy alone at 10,000.

Top 5 Bets for Extraterrestrial Life in the Solar System:

1. Enceladus: The sixth-largest moon of Saturn has been called the most promising bet for life thanks to its welcoming temperature and the likely presence of water and simple organic molecules.

2. Europa: Jupiters moon Europa also seems a possible stomping ground for E.T.

3. Mars: As far as planets go, by far the front-runner for life is our next-door neighbor, Mars.

4. Titan: Saturns largest moon looks suspiciously like it might have hosted life

5- Io: Jupiters moon Io is one of the few solar system moons to support an atmosphere, and it contains complex chemicals promising for life

Qur'an and life on the cosmos:

Is there intelligent life beyond Earth? If so, what is the nature of that intelligence? In the Holy Qur'an several signs refer to the existence of creatures in general and Extra Terrestrial Intelligence. The following are some of these signs:

Unique sign - Allah says:

١ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (سورة الشورى الآية ٢٩)

Which means: ((And among His Ayât (proofs, evidences, lessons, signs, etc.) is the creation of the heavens and the earth, and whatever moving (living) creatures He has dispersed in them both. And He is All-Potent over their assembling (i.e. resurrecting them on the Day of Resurrection after their death, and dispersion of their bodies) whenever He wills)).

٢ - ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

Extraterrestrial life: Quran and SETI Institute

Quran is not so much to obtain new facts as to discover new ways of thinking about them.

By: Dr. Hosni Hamdan

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (سورة الأنعام الآية ٣٨).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (سورة الشورى الآية ٢٩)

This means:

And of his signs is the creation of the heavens and earth and what He has dispersed throughout them of creatures. And He, for gathering them when He wills, is [(Surat Ash-Shraá (The Consultation), 42:29]

Are we alone in the universe?

Fifty years ago, a young astronomer named Frank Drake pointed a radio telescope at nearby stars in the hope of picking up a signal from an alien civilization. Thus began one of the boldest scientific projects in history: the Search for Extraterrestrial Intelligence (SETI).

Aliens: 1- A resident born in or belonging to another country who has not acquired citizenship by naturalization (distinguished from citizen). 2. A foreigner.3.A person who has been estranged or excluded. 4. A creature from outer space;

The **SETI** team (Search for Extra Terrestrial Intelligence) has been scanning the heavens for many years searching for a radio signal from an alien source, but so far without success. Radio signals do seem to be the logical way to send messages over astronomical distances, but an alien society with a mere hundred years advantage in technology

could be using something very different.

Consideration the length of Time: We need to take into consideration the length of time it would take for a signal to reach us. A message from the opposite side of the galaxy would take 100,000 years to reach us. From our nearest spiral galaxy, the Andromeda Spiral Galaxy is over 2,000,000 light years away.

when **What is the probability of life existing elsewhere in the universe?** When considering the vastness of the universe, containing in all probability many millions of planets, it is difficult to imagine that our planet is the only one that harbors' life. Bill Watterson said "Sometimes I think the surest sign that intelligent life exists elsewhere in the universe is that none of it has tried to contact us."

Is there any other life in the universe? From the scientific point of view, a definitive answer is impossible, since we have no way of directly studying other universes. But cos-

Fatwa
Banditry penalty

The reader, **Ahmad Al-Sherbiny** is asking about the draft law of applying banditry penalt Fatwa Banditry penalty, in order to put an end to the crime of bulling that causes chaos in society and threatens people's security. Therefore, is this draft law is suitable nowadays?

Prof. Muhammad Naguib Awadeen,
Secretary General of the Supreme Council for Islamic Affairs answers:

Allâh Almighty reserved for Himself putting the penalty of some crimes that affect the security and stability of the whole society. He- may He be exalted- did not leave them to the judge's discretionary power, but put the penalties by Himself as He is the Creator of man and knows how the self, sometimes, tends to harm the others.

Among these penalties is that which Allâh Almighty adopted upon the bullies. Those who rape women, rob at gunpoint, kill, threaten and frighten people. Therefore, Allâh Almighty says in the Glorious Qur'an:

"The recompense of those who wage war against Allâh and His Messenger and do mischief in the land is only that they shall be killed or crucified or their hands and their feet be cut off on the opposite sides, or be exiled from the land. That is their disgrace in this world, and a great torment is theirs in the Hereafter. Except for those who (having fled away and then) came back (as Muslims) with repentance before they fall into your power; in that case, know that Allâh is OftForgiving, Most Merciful." (Al-Mâ'idah: 3334-)

Allâh, Himself, put the penalty for those who refuse to submit to state's sovereignty, and thus achieving determent. On the other side, those who are afraid of applying Islamic Law claim that those penalties contradict Human Rights and would increase the handicapped. From our side, we ask them: Are you satisfied with that mischief in land? Or rather, we should all seek putting an end to that phenomenon, especially when the Creator decrees the penalty!

To those we say, **"Do you know better or does Allâh (know better)?"** Moreover, where were you when human rights were violated in Iraq, Bosnia and Herzegovina... etc? In addition, this penalty is for determent; if executed once, those crimes would end immediately. Permitting repentance is a proof that Islam is not seeking revenge, but rather endeavoring treatment. Moreover, the penalty is only executed after condemnation.

Those who refuse that deterrent penalty know well that the penalty of positive law is weak. Refusing the Divine punishment is because they refuse all that of a Divine authority. They fear that applying a Divine rule, would achieve success and consequently lead to applying the rest of Divine rules that keeps security in society. This actually bothers them!

Are they satisfied with this mess? Is there any reasonable person refuses a solution leads to stability?!

محتويات مجلة منبر الإسلام «جُمادى الآخرة» ١٤٣٣ هـ

■ كلمة التحرير ١

■ مقارنات ظالمة .... د. محمد عبد الفضيل القوصى «وزير الأوقاف» ٢

■ أنت تسأل والأمين العام يجيب .... د. محمد نجيب عوضين المغربى ٥

■ السنن الكونية تنقاد للمسلم وغير المسلم .... فضيلة الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان ١٠

■ مصر بين الفتنة وواجب الدعاة .... إسماعيل الفخرانى ١٥

■ ويسألونك عن الإمام .... د. محمد عمارة ١٦

■ غابت الرؤية فهل من فجر جديد .... مصطفى إبراهيم خيان ١٩

■ فتنة الرئاسة والدستور وضرورة وحدة الصف .... أحمد فاروق الهلباوى ٢٦

■ حد الحرابة.. حكم ربانى لأمان المجتمع وردع الفاسدين .... محمد كامل شاهين ٣٠

■ التفسير اللغوى للقرآن الكريم (١٠) .... د. عبد الغفار حامد هلال ٣٥

■ خطورة الشائعات ومنهج الإسلام فى مواجهتها .... د. محمد عثمان الخشت ٣٩

■ الصكوك الإسلامية وسبل تطبيقها فى مصر .... د. سمير عبد الحميد رضوان ٤٤

■ آيات من القرآن فى خلق الأرحام .... د. عبد المعبود عمارة ٥٠

■ الإعجاز الربانى فى الجهاز المناعى .... د. محمد فتحى فرج بيومى ٥٣

■ نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية .... د. طه مصطفى أبو كريشة ٥٦

■ الوقف على المكتبات فى حضارتنا العربية والإسلامية .... د. ناصر أحمد سنه ٦٢

■ الغضب وأثره المدمر على الفرد والمجتمع .... د. ربيع خليفة عبد الصادق ٦٥

■ الدعوة الإسلامية وأهمية العمل الاجتماعى .... د. ليلى بيومى ٦٨

■ إدارة الأزمات فى المنظور الإسلامى .... د. عبد الفتاح عبد الكافى ٧٢

■ الحضارة الرأسمالية .. انهيار بعد إبهار .... د. حامد محمود مرسى/ عرض/ محمد سيد بركة .. ٧٧

■ التطوع فى الإسلام .... د. أحمد عوض محمد عبد الرحمن ٨٠

■ دور الوقف فى نهضة الأمة .... د. أحمد عمر هاشم ٨٢

■ الهبة .... د. سعاد إبراهيم صالح ٨٧

■ حب النبى ﷺ .... أحمد عبد اللطيف الكلحى ٩٦

■ أنباء وأخبار .... منير أحمد بيومى ٩٩

■ النوم إعجاز وأسرار .... د. محمد الألفى ١٠٤

■ استراحة المنبر .... محمد سيد أحمد على الدين ١٠٦

■ أنت تسأل والمفتى يجيب .... د. على جمعة محمد ١٠٩

■ نافذة على القراء .... أحمد فاروق الهلباوى ١١٥

■ La miséricorde en Islam (1) .... D. Sami Mandour ١٢٢

■ Extraterrestrial life: Quran and SETI Institute .... D. Hosni Hamdan ١٢٦

■ Fatwa Banditry penalty .... D. Muhammad Naguib Awadeen ١٢٧

■ المحتويات ١٢٨

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
أمهات
كتب
التراث
موطأ الإمام مالك
المنتخب من السنة
المجلد الخامس
أصول الدين للرازى
شرح الدرر السنية في نظم السيرة النبوية
نظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب
صور من الهدايات الربانية للكائنات الحية
فتح الكبير في أحكام الاستعاذة والتكبير
موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي
التسامح والإخاء الإنساني في الإسلام
سلسلة قضايا ودراسات إسلامية
إخراج فنى : علاء حسن خليل

MINBAR AL-ISLAM

Year (71), Vol. (6), Jumada Ahkira, 1433 H.
may 2012 - Price: E.P. 1.50

Issued by
Ministry of Al-Awqaf
The Supreme Council for Islamic Affairs

Chairman
Prof. Dr. Mohammad Abdel Fadeil Al-Qusy
Minister of Al-Awqaf & President of
The Supreme Council for Islamic Affairs

Editor-in-Chief
Prof. Dr. Mohammad Najeeb Awadain Al-Maghraby
Secretary General
The Supreme Council for Islamic Affairs

Executive Editor-in-Chief
Mr. Ismael El-Fakharany

Board of Editors
Prof. Dr. Ahmad Mohammad At-Tayyeb
Prof. Dr. Ahmad Kamal Abul Majd
Sheikh / Mohammad Abdel Majeed Zeidan

E-mail Address: islamic_council_eg@yahoo.com

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر